

جمهورية العراق
ديوان الوقف الشيعي

العميد

مجلة فصلية محكمة

تُعنى بالأبحاث والدراسات الإنسانية
تصدر عن

العتبة العباسية المقدسة

مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات

مجازة من

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مُعتمدة لأغراض الترقية العالمية

السنة الرابعة. المجلد الرابع. العدد الخاص الرابع

ربيع الأول ١٤٣٧هـ. كانون الأول ٢٠١٥م



الترقيم الدولي

ردمد: Print ISSN: 2227-0345

ردمد الألكتروني: Online ISSN: 2311 - 9152

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ١٦٧٢ لسنة ٢٠١٢م
كربلاء المقدسة - جمهورية العراق

Tel: +964 032 310059 **Mobile:** +964 771 948 7257

<http://alameed.alkafeel.net>

Email: alameed@alkafeel.net



دار العميد
للطباعة والنشر والتوزيع



المشرف العام
السيد أحمد الصافي

رئيس التحرير
السيد ليث الموسوي
رئيس قسم الشؤون الفكرية والثقافية

الهيئة الإستشارية

- أ.د. طارق عبد عون الجنابي. كلية التربية. الجامعة المستنصرية
أ.د. رياض طارق العميدي. كلية التربية للعلوم الإنسانية. جامعة بابل
أ.د. كريم حسين ناصح. كلية التربية للبنات. جامعة بغداد
أ.د. تقى بن عبد الرضا العبدواني. كلية الخليج. سلطنة عمان
أ.د. غلام نبيل خاكي. جامعة كشمير. مركز دراسات آسيا الوسطى
أ.د. عباس رشيد الدده. كلية التربية للعلوم الإنسانية. جامعة بابل
أ.د. سرحان جفات سلمان. كلية التربية. جامعة القادسية
أ.د. مشتاق عباس معن. كلية التربية. ابن رشد. جامعة بغداد
أ.م.د. علاء جبر الموسوي. كلية الآداب. الجامعة المستنصرية



مدير التحرير

أ.م.د. شوقي مصطفى الموسوي (كلية الفنون الجميلة/ جامعة بابل)

سكرتير التحرير التنفيذي

سرمد عقيل أحمد

سكرتير التحرير

رضوان عبدالمهادي السلامي

هيئة التحرير

أ.د. عادل نذير يبري (كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة كربلاء)

أ.د. علي كاظم المصلاوي (كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة كربلاء)

أ.د. فؤاد طارق العميدي (كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة بابل)

أ.م.د. عامر راجح نصر (كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة بابل)

أ.م. حيدر غازي الموسوي (كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة بابل)

أ.م.د. أحمد صبيح محسن الكعبي (كلية التربية/ جامعة كربلاء)

أ.م.د. خميس الصباري (كلية الآداب والعلوم / جامعة نزوى) سلطنة عمان

م.د. علي يونس الدهش (جامعة سدني) أستراليا

تدقيق اللغة العربية

أ.م.د. شعلان عبدعلي سلطان (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة بابل)

أ.م.د. علي كاظم علي المدني (كلية التربية / جامعة القادسية)

تدقيق اللغة الإنكليزية

أ.د. رياض طارق العميدي (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة بابل)

أ.م. حيدر غازي الموسوي (كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة بابل)

الموقع الإلكتروني

سامر فلاح الصافي

الإدارة والمالية

عقيل عبدالحسين الياسري

قواعد النشر في المجلة

مثلاً يرحّب العميد أبو الفضل العباس عليه السلام بزائريه من أطراف الإنسانية، تُرَحَّبُ مجلة (العميد) بنشر الأبحاث العلمية الأصيلة، وفقاً للشروط الآتية:

1. تنشر المجلة الأبحاث العلمية الأصيلة في مجالات العلوم الإنسانية المتنوّعة التي تلتزم بمنهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالمياً، ومكتوبة بإحدى اللغتين العربية أو الإنكليزية، التي لم يسبق نشرها.
2. يُقدّم الأصل مطبوعاً على ورق (A4) بنسخة واحدة مع قرص مدمج (CD) بحدود (5,000-10,000) كلمة، بخط Simplified Arabic على أن ترقّم الصفحات ترقيماً متسلسلاً.
3. تقديم ملخص للبحث باللغة العربية، وآخر باللغة الإنكليزية، كلّ في حدود صفحة مستقلة على أن يحتوي ذلك عنوان البحث، ويكون الملخص بحدود (350) كلمة.
4. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على اسم الباحث وعنوانه، جهة العمل (باللغتين العربية والإنكليزية) ورقم الهاتف والبريد الإلكتروني، مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث في صلب البحث، أو أية إشارة إلى ذلك.
5. يُشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش التي تنشر في أواخر البحث، وتراعى الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة بأن تتضمن: اسم الكتاب ورقم الصفحة.

٦. يزوّد البحث بقائمة المصادر منفصلة عن الهوامش، وفي حالة وجود مصادر أجنبية تضاف قائمة بها منفصلة عن قائمة المصادر العربية، ويراعى في إعدادها الترتيب الأبجدي لأسماء الكتب أو الأبحاث في المجلات، أو أسماء المؤلفين.
٧. تطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلة، ويُشار في أسفل الشكل إلى مصدره، أو مصدره، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.
٨. إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلة للمرة الأولى، وعليه أن يُشير فيما إذا كان البحث قد قَدّم إلى مؤتمر أو ندوة، وأنه لم ينشر ضمن أعمالهما، كما يُشار إلى اسم أية جهة علمية، أو غير علمية قامت بتمويل البحث، أو المساعدة في إعداده.
٩. أن لا يكون البحث مستل أو قد نشر سابقاً، وليس مقداً إلى أية وسيلة نشر أخرى، وعلى الباحث تقديم تعهّد مستقلّ بذلك.
١٠. تعبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنية.
١١. تخضع الأبحاث المستلمة لبرنامج الاستلال العلمي Turnitin.
١٢. تخضع الأبحاث لتقويم سرّي لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أقبِلت للنشر أم لم تقبل، وعلى وفق الآلية الآتية:
أ) يبلغ الباحث بتسلّم المادة المرسلة للنشر خلال مدّة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسلم.

ب) يخطر أصحاب الأبحاث المقبولة للنشر موافقة هيئة التحرير على نشرها و موعد نشرها المتوقع .

ج) الأبحاث التي يرى المقومون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها، مع الملاحظات المحددة، كي يعملوا على إعدادها نهائياً للنشر .

د) الأبحاث المرفوضة يبلغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض .

هـ) يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه .

١٣ . يراعى في أسبقية النشر :

أ) الأبحاث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار .

ب) تاريخ تسلم رئيس التحرير للبحث .

ج) تاريخ تقديم الأبحاث التي يتم تعديلها .

د) تنوع مجالات الأبحاث كلما أمكن ذلك .

١٤ . لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة

التحرير، إلا لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، على أن يكون

خلال مدة أسبوعين من تاريخ تسلم بحثه .

١٥ . يحق للمجلة ترجمة البحوث المنشورة في أعداد المجلة الى اللغات

الأخرى، من غير الرجوع الى الباحث .

١٦ . ترسل البحوث على الموقع الإلكتروني لمجلة العميد المحكمة

من خلال ملئ إستمارة إرسال البحوث، alameed.alkafeel.net

أو تُسلم مباشرةً الى مقر المجلة على العنوان الآتي: العراق، كربلاء

المقدسة، حي الحسين عليه السلام، مجمع الكفيل الثقافي .



No :

عدد ٥٣ / ٢٠١٤ / ٢٠١٤

Date:

٢٠١٤ / ٢ / ١٤



الجمعية العلمية للجامعة / قسم التطوير الفكري والثقافي

و/ مجلة العلمية

تعليقة طيبة...

نشكركم على رسالتكم الالكترونية الواردة بتاريخ ٢٠١٤/٢/٢٠ و بكتابكم المرقم بـ ١/٢٢٢٢
في ٢٠١٢/٢/٢٠ ونظرا لاهتمامنا بكم (مجلة العلمية) على التواجد الدولي (ISSN) الخاص بها
نقدم لكم بعض المقالات التي نأمل ان تكون مفيدة

مع التقدير

أ.م.د محمد علي عطية السراج
المستشار العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠١٤/٢/١٤

تسعة مني الي :

- المحل: التطوير قسم التطوير العلمي
- السيرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

... كلمة العدد ...

أهل بيت النبوة ومهبط الوحي ﷺ منارٌ يستنير به أهل العلم والمعرفة على مر العصور، ومن سطرّ المداد في حقهم وفضلهم وعلمهم وآثارهم يصف كمالهم بأدواتنا البشرية العاجزة. لذا فإن ما يُقال أو يُكتب عنهم لا ينضب بل تتجدد كلماته وتُضاء أفكاره، وتتسع رؤاه كلما أقبل الدارسون على استلهاهم تراثهم المعطاء وسيرتهم الإنسانية العطرة.

ولا ريب في أن الكتابة في فضائلهم وعلومهم لها مذاقها الخاص، ونكهتها المميزة، وكيف لا يكون ذلك وهم الطريق الواضحة لله تعالى، وبابه الواسعة بالرحمة والمغفرة، وسفينته النجاة التي من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك.

وقد عقدت مجلة العميد العلمية المحكمة العزم ممثلة ببيأتها (الاستشارية والتحريرية) أن تخصّ عددها الخاص لهذا العام عن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وأوكلت العزم إلى مجموعة من الباحثين الأكاديميين للكتابة حول هذه الشخصية الفريدة من نوعها التي تجلّى حضورها وتأثيرها في عقول الدارسين بمختلف الاتجاهات الأدبية والتاريخية والمعرفية الأخرى، فكتبوا عن صورتها التكاملية بلحاظ مرويات الإمام الصادق (عليه السلام)، ورصدوا أثرها في نفوس الشعراء

وما ألهمته إياهم سيرتها العطرة طيلة حياتها وبعد استشهادها وما مثلت لهم من معانٍ متنوعة ووقفوا عند خطبتيها الجليلتين ليُظهروا القصديّة، والتماسك النصيّ، وكسر أفق التوقع من خلالها، وبحثوا في الروايات التاريخية في محتتها بعد أبيها ﷺ فاستضاء هذا العدد بضوئها المهيب واستظل بظلال شفاعتها الوارفة.

وإذ نقدّم اليوم هذه القراءات الجديدة المضافة إلى السجل الضخم الذي سجلته الأعلام في حق فاطمة الزهراء ﷺ وعلمها وفضائلها وآثارها، فإننا نطمح إلى إفادة القراء والباحثين وتوجيه عنايتهم للكتابة عن تراث أهل البيت ﷺ وعلومهم فهم بحق منبع العلوم الإنسانية ومدادها.

أ. د. كريم حسين ناصح الخالدي جامعة بغداد . كلية التربية للبنات قسم اللغة العربية	القضية في خطبة السيدة الزهراء <small>عليها السلام</small>	١٩
أ. د. حميد سراج جابر جامعة البصرة كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم التاريخ	الصورة التكاملية بين مقام السيدة الزهراء <small>عليها السلام</small> وفلسفة تسميتها في فكر المعصوم <small>عليه السلام</small> (الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> أنموذجا)	٦٣
أ. د. انسية خزعلي جامعة الزهراء <small>عليها السلام</small> . طهران	التناسك النصي في خطب السيدة الزهراء وابنتها زينب <small>عليها السلام</small>	٨٥
أ. د. علي كاظم محمد علي المصلاوي جامعة كربلاء . كلية التربية للعلوم الإنسانية . قسم اللغة العربية	الفاطميات ... النشأة والتطور حتى القرن السابع للهجرة	١٠٩
أ. م. د. داود سلمان خلف الزبيدي جامعة بغداد كلية التربية - ابن رشد قسم التاريخ	السيدة الزهراء <small>عليها السلام</small> بين سلطة النص السهامي وسلطة الموروث (قراءة معاصرة للروايات التاريخية في محتتها بعد ابيها <small>عليها السلام</small>)	١٤٥
أ. م. د. طلال خليفة سلمان جامعة بغداد . كلية التربية للبنات قسم اللغة العربية	كسر أفق التوقع في خطبة السيدة الزهراء <small>عليها السلام</small>	١٧١

أ.م.د. ناصر قاسمي أ.م.د. مجتبی عمراني بور جامعة طهران . فرديس . فارابي	٢٠١ صورة فاطمة الزهراء <small>عليها السلام</small> في شعر ناصر خسرو القبادياني
م.م. محمد فيصل حسن الموسوي جامعة القادسية . مديرية تربية القادسية	٢٢٧ الصيغ الصرفية وأثرها الدلالي في خطبة الزهراء <small>عليها السلام</small>
Asst. Lect. Zainab Hussein Alwan Karbala University/ College of Tourist Sciences/ Dept. of Religious Tourism	The Verb "TAKE" and its Synonyms in Sayyidah Fatima Al-Zahraa's Two Sermons: A Semantic Study 15



عطر الياضج

قراءات في سيرة البصعة الطاهرة

فاطمة الزهراء عليها السلام

القَصْدِيَّةُ فِي خُطْبَةِ
السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ (عليها السلام)

**Intentionality
in the Sermon of
Al-Sayadat. Al-Zahrah**

أ.د. كَرِيمُ حُسَيْنِ نَاصِحِ الْخَالِدِيِّ

جامعة بغداد . كلية التربية للبنات

قسم اللغة العربية

Prof. Dr. Kareem H. N. Al-Khalidi

Department of Arabic

College of Education for Girls

Baghdad University

خضع البحث لبرنامج الاستئلال العلمي

Turnitin - passed research

ملخص البحث

يستقري البحث وجوه (القصدية) في خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام من طريق إيجاءات الألفاظ والجمل والآيات الكريمة التي استشهدت بها عليها السلام وقد وظفت مصطلح القصدية المعروف في علم النصّ لما له من اتساع في الاستعمال، كما وظفت مصطلح (المقاصد) لأنه أكثر دقة في التعبير عن معناه لكون البحث كشف عن مقاصد متعددة لا يستطيع مصطلح (القصدية) التعبير عنها بلفظه. يضم البحث مقدمة ومبحثين وخاتمة، وضحت في المقدمة مفهوم القصدية عند علماء النصّ المحدثين، وعند المعتزلة لكونهم أكثر من استعمل هذا المصطلح بلفظ آخر هو القصد.

ودرست في المبحث الأول القصدية في خطبة الزهراء عليها السلام تحدّث فيه عن مجموعة من المقاصد منها: العقيدية والتعبدية والسلوكية والسياسية والمقاصد الخاصة بملكيتها (فدك). وكان المبحث الآخر تقويمياً هو (قصدية خطبة الزهراء في الميزان) أردتُ به الكشف عن وجهة مقاصد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بإيراد ما يؤيد تلك المقاصد من البراهين والشواهد من القرآن الكريم وأقوال الأئمة الأطهار عليهم السلام وحاول البحث تأكيد أن المقاصد العقيدية والسياسية هي الأساس في ما قصدته السيدة الزهراء عليها السلام لبيان حق الإمام علي عليه السلام في الخلافة بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وآله لإكمال مسيرة الدين وتثبيت مبادئه وأصوله وفروعه.

ABSTRACT

In the Name of Allah, Most Merciful, Most Gracious

Thanks be to Allah for whatever guidance and knowledge of His grandeur He grant; He bestow upon me the willing to thank and express my gratitude. Peace be upon the greatest prophet whom some perceive for his great niche finding its mention in the Glorious Quran: And thou standard on an exalted standard of character. Peace be upon his immaculate posterity and brave chosen companions.

For the time being, the meant research paper is one of an avalanche of certain papers engraved for my sayadati and mawlati Fatima Al-Zahrah bent the prophet of peace and the science of piety, Mohammed (peace be upon him and his posterity) as it is entitled (Intentionality in the Sermons of Al-Sayadat .Fatima Al-Zahrah) such a title emulates the contemporary textual studies that give standards to the text; intentionality is one of these.

I do find many a researcher gives no importance to the true intentionality for such an obstinate sermon .As such I exert myself into tackling the intentions intellectual, doctrinal, educational, message-laden, psychological and social Al-Sayadat. Fatima Al-Zahrah wants to convey to the Islamic nation in the hardest time of Islam; it is the time of the departure the nation prophet, leader and teacher .Such a phase is very critical Allah test the intention and cast the mind into ordeals to find their ways and to get the succor or fall in the snares of Satan.

It is of essentiality for the study to explicate certain vantage points of the text to expose the explicit and implicit meanings. I do explicate the utterances, sentences and phrases for the sake of the structural semantics and what shades of content the context manifests.

For my knowledge I feel such a sermon grows larger and larger in my mind to be manipulated for its significance and its origin; it is for the daughter of the prophet and the wife of the man of "asking me before losing me"; the portal of science, the pioneer of the greatest deeds in Islam, Ali Bin Ibitalib. As much as I could guide myself to the intentions of the sermons through scrutiny to decipher its structures for the sake of having the meant intentions of such an extraordinary sermon in the Islamic thoughts throughout ages.

... المقدمة ...

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين على ما منح وأعطى، من هداية إلى معرفة جلال قدره، وعظيم شأنه، ومنحني القدرة على الشكر والعرفان بعظيم آلائه ومننه، والصلاة والسلام على النبي الأعظم الذي قلّ عارفوه، لما له من شأن عظيم نطق الله في كتابه المحكم برفعته، فقال ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ والسلام على آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغرّ المتجيين.

أما بعد فهذا بحث من مجموعة بحوث كتبها عن خطبة سيدتي ومولاتي فاطمة الزهراء (عليها السلام) بنت نبي الهدى وعلم التقى محمد (صلى الله عليه وآله) وسمته بـ (القصدية في خطبة السيدة فاطمة الزهراء) وهو عنوان استقيته من الدراسات النصّية المعاصرة التي وضعت للنصّ معايير كانت القصدية واحداً منها.

ولقد وجدت كثيراً من الباحثين يهمل القصد الحقيقي لتلك الخطبة العصماء، ويولي الأمور الأخرى اهتماماً أكبر، ممّا دفعني إلى التفكير في المقاصد الفكرية والعقيدية والتربوية والرسالية والنفسية والاجتماعية التي كانت تريد السيدة فاطمة الزهراء إيصالها إلى الأمة الإسلامية في وقت من أشد أوقات الإسلام حلكت، هو زمن رحيل نبيّ الأمة، وقائدها، ومعلمها، إلى جوار ربّه في عليّين، وتلك مرحلة حرجة اختبر الله فيها النفوس، وابتلى فيها العقول، ووضعها على المحك لاستجلاء الطريق، والبحث عن مسالك النجاة، أو السقوط في حبال الشيطان.

وقد وجدت أنَّ خير سبيل لاستجلاء المقاصد هو تحليل جوانب من النصِّ، والكشف عن المعاني الظاهرة والباطنة في النصِّ، فوقفت على الألفاظ والجمل والمقاطع أستنطقها محاولاً عدم تكرار ما فصلت القول فيه من دلالات عرضتها في شرحي للخطبة مكتفياً بالوقوف على الدلالات البياتيَّة، وما يكشفه السياق من وجوه معنوية تستخلص القصد.

وإني لأعلم أنَّني أضعف من أن أقف على مقاصد امرأة ليست كغيرها من البشر فهي ابنة النبوة وربيبه الوحي، ورضيعة العلم الرباني، وزوجة من قال أسألوني قبل أن تفقدوني، باب مدينة العلم، وصاحب أعظم المآثر في الإسلام، علي بن أبي طالب عليه السلام ولكنني حاولت ما استطعت البحث عن الأدوات المعرفية التي ترشدني إلى شيء من مقاصد الزهراء داعياً العلي القدير أن يعينني على الفهم والبصيرة في قراءة خطبة سيدتي الزهراء عليها السلام قراءة فاحصة متأنية، والوصول إلى بعض مقاصدها. وقد بذلت بعض الجهد والتفكير في فحص تراكيبها ومكوناتها وربط بعض تلك المكونات ببعض، وموازنة بعضها ببعض سعياً إلى تحقيق ما أصبو إليه وهو الوصول إلى الحكمة من كل مقطع من مقاطع هذه الخطبة النادرة، التي قلَّ نظيرها في الفكر الإسلامي في عصوره المتعاقبة ومن الله التوفيق.

... تمهيد ...

مفهوم القصد والقصدية

القصد في اللغة: استقامة الطريقة، وقَصَدَ يَقْصِدُ قَصْدًا فهو قاصد^(١)، ويراد به إتيان الشيء. والنحو نحوه قال الراغب الأصفهاني: «القصد استقامة الطريق يُقال قَصَدْتُ قَصْدَهُ: أي نحوت نحوه... وأقْصَدَ السهم: أصابَ وقتلَ مكانه، كأنه وجدَ قَصْدَهُ قال: فأصابَ بقلبٍ كغيرِ أنلم تُقْصِدِ». ^(٢)

ومما تقدم يتضح أن المراد بالقصد من الكلام هو إيصال المعنى بطريق مستقيم، واضح المعالم، لأن من يقصد مكاناً يتجه نحوه، ومن يقصد مخاطباً يتجه نحوه، ليوصل ما يريد من معنى. وقد أولى أهل الكلام القصد أهمية كبيرة، وجعلوه أساساً ليكون الكلام ذا دلالة، وقد استعمل المعتزلة مفهوم القصد بمعنيين:

المعنى الأول: هو القصد على مستوى (فعل القول) أي تحديد أي من المعاني المتواضع عليها يقصده المتكلم في كلامه وهذا يقابل المعنى الوضعي... للألفاظ والتراكيب أو النظم، والمعنى الآخر: لمفهوم القصد لدى المعتزلة هو القصد بمعنى المغزى الكلامي أو المغزى الفعلي للكلام بحسب المصطلح الحديث. ^(٣)

وعدَّ عبد السلام المسدي القصد قانوناً داخلياً للمواضعة قال «وهكذا يُصبح القصد قانوناً داخلياً في صلب المواضعة، يحدّد نوعية أجناس الخطاب من خبر أو أمرٍ أو استخبارٍ فيتحوّل بالصياغة اللسانية من الوظيفة الإبلاغية إلى الوظيفة الإقتضائية كما في الأمر والنهي والطلب». ^(٤)

ولا يكون كلام المتكلم دالاً على المعنى إذا لم يقصد ما يريد، قال القاضي عبد الجبار «اعلم أنّ من حقّ المواضعة أن تؤثر في كونه دلالة؛ وإن كان لا بدّ من المواضعة من الاستدلال به على المراد... لأنه لو تكلم به من غير قصد لم يدل، فإذا تكلم به وقصد وجه المواضعة فلا بدّ من كونه دالاً إذا عُلِمَ من حاله أنّه يبيّن مقاصده»^(٥). ويرى بعض الباحثين أن القصد على درجتين: الأولى: قصد من أصل الوضع. الأخرى: قصد عند استعمال الموضوع. فالتكلم عندما يقصد استعمال الموضوع، إنّما يقصد بذلك إثارة المعنى الملازم لأصل الوضع.^(٦)

وفي العصر الحديث جعل اللسانيون المعاصرون ما سمّوه (القصدية) معياراً من معايير النصّ وكتب الذين درسوا علم النصّ أو نحو النصّ بحثاً مطولة عن القصدية في النصّ، ورائدهم في ذلك فان دايك^(٧)، وزاد عليه روبرت دي بوجراند كثيراً من التفصيل والترتيب قال «القصد هو ما يتضمن موقف منشئ النصّ، من كونه صورة ما من صور اللغة، قصد بها أن تكون نصّاً يتمتع بالسبك والإلتحام وأنّ مثل هذا النصّ وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها»^(٨).

وقد وضّح الدكتور أحمد عفيفي مفهوم القصد بقوله «القصد يعني التعبير عن هدف النصّ، أو تضمن موقف منشئ النصّ واعتقاده أنّ مجموعة الصور والأحداث اللغوية التي قصد بها أن تكون نصّاً يتمتع بالسبك والإلتحام، وأنّ مثل هذا النصّ وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها، تلك الغاية مقصد المنشئ»^(٩). وقد قسّم بعض الباحثين دلالات مفهوم القصد في المعالجات النظرية على ثلاث دلالات هي:

١ الدلالة على الإرادة.

٢ الدلالة على معنى الخطاب.

٣ الدلالة على هدف الخطاب. (١٠)

ومما تقدّم يظهر أنّ النصّ هو وحدة كلامية متكاملة، لها دلالة على معنى يقصد المتكلم إيصاله إلى المخاطب. ولا يعدّ الكلام نصّاً إذا لم يكن القصد واضحاً في طبيّاته، وقد يكون القصد ظاهراً صريحاً، وقد يكون باطنياً تلميحياً، يُفهم بتأويل الكلام، وفهم رموزه، كما في الكنايات والاستعارات، وخروج الاستفهام أو الأمر، أو النهي إلى معانٍ أخرى كقول الشاعر:

دع المكارمَ لاترحلْ لُبغيتِها واقعدُ فإنّك أنتَ الطاعمُ الكاسي

فظاهر البيت هو المدح ولكنّ قصد الشاعر هو الذم.

ولابد من الإشارة إلى أمر يتناوله التداوليون في الدراسات المعاصرة، وهو فكرة الإقناع في النصّ، أي يقصد المشي من نصّه إقناع المخاطب وإفهامه ما يريد بوضوح من غير لبس أو غموض.

المبحث الاول

القصد في خطبة الزهراء عليها السلام

لقد ألفت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام هذه الخطبة في حشد كبير من المسلمين من الأنصار والمهاجرين، بعد أيام قليلة من وفاة أبيها خاتم الأنبياء وسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وهذا الوقت المشحون بالحزن والألم والحسرة والخوف والقلق يشير إلى أنها لم تخرج من مأتم أبيها إلا لتقول للمسلمين قولاً ثقيلاً، ولتبلغ الحاضرين رسائل مستوحاة من جوهر دين الله، ووحيه، وقرآنه، إذ وجدت أن المرحلة بعد هذا الحدث الجلل، وما أحدثه من هزات في النفوس، تستوجب أن تتصدى لقضايا خطيرة، وتتبنى مواقف حاسمة، فألقت تلك الرسائل وبلغت من كان غافلاً أو متغافلاً، أو من سحره بريق مغريات الحياة من الحاضرين الذين يسمعون كلامها، أو من سيصل إليه كلامها.

ومن يتتبع الأفكار التي وردت في هذه الخطبة تذهله عقلية السيدة فاطمة الزهراء وتصعقه تلك القدرات الفكرية والعلمية التي تمتلكها، فلا يصدق أنه يستمع إلى امرأة تنتمي إلى عصر بدء الرسالة المحمدية وهو عصر كان الناس فيه متعلمين يجهلون كثيراً من المعارف الإسلامية، فلم نسمع في هذا العصر بوجود فقيهة أو عالمة لها مثل هذه الحجج المستمدة من عمق الفقه الإسلامي، ولم يحدثنا التاريخ بمتحدثة في هذا العصر لها مثل هذه الملكة في الخطابة والفصاحة والبلاغة.

لذا أستطيع القول إنّ الباث أو المرسل في هذه الخطبة كما يصطلح عليه المححدثون شخصية فريدة المواهب، منحها الله تعالى قدرات مذهلة في نشر العلم وإيصاله إلى المخاطبين، وتجلّت تلك القدرات في امتلاك ناصية البيان، ومعرفة أسرار القرآن الكريم، واستيعاب علومه، قبل أن تظهر العلوم الإسلامية بوضوح في حلقات الدرس والمناقشة، وتنضج في عقول العلماء. ولذا بادرت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بخطبتها العصماء هذه لتوصل المقاصد التي رامت إيصالها إلى المسلمين من مهاجرين وأنصار في زمن كانت الأمة فيه تتخبط في كيفية تقرير حياتها السياسية والعقيدية، وفي وقت ظهرت فيه نفوس ادعت الإسلام في العلن وأضمرت جاهليتها، وارتدت عن عقيدتها. وتقسم هذه المقاصد إلى ما يأتي:

١) المقاصد العقيدية

وهي المقاصد التي ترمي إلى تثبيت أركان العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين، استمراراً لما أرساه أبوها عليه السلام في عقول المسلمين وتأكيداً له وفي ضوء القرآن الكريم، بل أكاد أزعّم أنّ كلامها كلّ مستوحى من نصوص القرآن الكريم. وأهم تلك المقاصد:

المقصد الأول:

تأكيد أهمية الثبات على الإيمان بالله تعالى في كل الظروف وحمده وشكره:

يبدو أن السيدة فاطمة الزهراء كانت تحشى على الأمة أن يرتدّ عدد من المهاجرين أو الأنصار عن دينهم بناءً على معرفتها بما تضمّره بعض النفوس في ضوء الآية الكريمة التي أوردتها في خطبتها **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ**

الرُّسُلُ أَفَانٌ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ [آل عمران ١٤٤] فالله تعالى أنبأ نبيه ﷺ والمؤمنين بأنَّ ثمة من سينقلب على عقبه ولذا تؤكد السيدة الزهراء ﷺ في المقطع الأول من الخطبة وهو مقطع الافتتاح ضرورة الرسوخ على ما دعا إليه رسول الله ﷺ في كل خطبه على أهمية حمد الله وشكره في كل حال لأننا ما خلقنا الله إلا لنشكره ونعبده.

وفي هذا المقام لابد من تأكيد ما ذكرته آنفاً من أنَّ السيدة فاطمة الزهراء ﷺ حين قالت خطبتها هذه كانت مفجوعة بفقد خير الأنام، وأعظم من يمشي على قدم في الأرض كلها، فُجعت بفقد أبيها الذي كان يعزها ويحلها ويكرمها ويسميها أمَّ أبيها ويقول ((فاطمة بضعة مني))، وفي مثل هذه الفاجعة الكبرى تهتز مشاعر أمة فتاة وتنكسر نفسها، وتشعر باليتم والخذلان، ولكنَّ السيدة فاطمة الزهراء ﷺ التي فُجعت بأبيها وهي في ريعان الشباب، تقف أمام الملائماتحمد الله وتمجده، وتشكره على آلائه ونعمائه فتقول بقلب مؤمن، ونفس مطهرة من شوائب الدنيا متعلقة برَّبها ((الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما أهدى، والثناء بما قدّم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن أولها، جمّ عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمددها، وتفاوت عن الإدراك أهددها)) والحمد في هذا الموقف الصعب الذي فقدت فيه والدها رسالة أرادت إيصالها إلى المسلمين؛ هي أنّ محمداً ﷺ الذي بعثه الله برسالته للبشريّة كلها، واختاره من بين الناس رسولاً، هو بشر ولد وعاش ومات كغيره من الناس، وسيموت الناس جميعاً، ولن يبقى إلا وجه الله الخالق والمصور والمعطي والمناح، وما على البشر إلا أن يحمده على ما أنعم من نعم، ويشكروه على ما أهدى النفوس من تقوى الله، لأن الله يلهم النفس فجورها وتقواها، وسعيد من أعانه الله على اختيار التقوى، وحريّ به أن يشكره على ما أهدى وأعان.

وهذا المقصد ينبع من روح المؤمنة بأن الحياة زائلة وأن الحياة هي الآخرة، وأن الموت طريق للولوج إلى حياة السعادة الأبدية، ومن هذا الفهم لحتمية الموت استوجب الحمد والشكر، لا الجزع والارتداد عن دين الله تعالى. ولم تنس السيدة العالمة أن تنبه الناس على قضية مهمة هي أن الله يجازي على الشكر بما يستوجب شكراً آخر فقالت: ((ونذبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها، واستحمد الله الخلائق بإجزالها، وثنى بالنذب إلى أمثالها «قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام في تأكيد ذلك « من أعطي الشُّكرُ أعطي الزيادة يقول الله عزَّوجلَّ ﴿وَإِذِ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم ٧]]. (١١)

المقصد الثاني:

تأكيد أهمية الثبات على العقيدة الإسلامية بأصولها الخمسة

يتجلى هذا المقصد في الخطبة في أكثر من وجه على النحو الآتي:

الوجه الأول: قصد تثبيت وحدانيّة الله سبحانه وتعالى وهو الأصل الأول من أصول الدين في قولها عليها السلام ((وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له)) لتقطع دابر الشرك والإلحاد لما أدركته من أن هذا الأصل هو الأساس الأول للدين الإسلامي جاهد رسول الله صلى الله عليه وآله والمجاهدون من المسلمين الأوائل لترسيخه وتثبيته في النفوس. ولم تقف عند حدّ تثبيت الشهادة بل تخطت ذلك بعقل المفكرة العالمة إلى الخوض في تفصيل صفاته فقالت: ((الممتنع عن الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كفيته))، فالله سبحانه لا تدركه الأبصار لأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى ١١]، فليس هو ممّا يدركه بصر الناظرين بخلاف الأصنام والأوثان التي يصنعها البشر ويعبدها، ويمسها ويرأها، بل وياكلها إذا جاع، وهي لاتبصر ولا ترى، لأنّها

جمادات لاتدرك، أما الله سبحانه وتعالى فهو فوق قدرات حواس البشر، وفوق طاقاته، لذا عجزت الألسن عن ذكر أوصافه غير ما ذكره هو عن نفسه في القرآن الكريم، والله لا يُؤَيِّن ولا يُكَيِّف؛ لذا امتنع عن الأوهام ذكر حالاته وكيفياته قال الإمام علي عليه السلام ((لاتدركه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان))^(١٢).

وقد تحدث الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن هذا الموضوع، إذ روي عن أبي هاشم الجعفري أنه قال: سألته -أي الإمام الرضا عليه السلام- عن الله هل يوصف؟ فقال عليه السلام: أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قال: أما تقرأ قوله تعالى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام ١٠٣]، قلت: بلى، قال: فتعرفون الأبصار؟ قلت: بلى، قال: ما هي؟ قلت: أبصار العيون، فقال: إنَّ أوهام القلوب أكبر من أبصار العيون، فهو لا تدركه الأوهام وهو يدرك الأوهام.^(١٣)

وهذا القصد وهو الخوض في وحدانية الله، وامتناع الوصول إلى صفاته وكيفياته، لا يتحدث فيه في ذلك الزمن إلا رسول الله صلى الله عليه وآله أو وصيّه لما فيه من عمق المعنى وغور الفكر.

ولم تقف مواهب السيدة فاطمة الزهراء عند الحديث عن الشهادة الأولى، ومنع الخوض في ماهية الله، وكيفياته بل تحدثت سلام الله عليها بحديث بعيد الغور عن قدرات الله العظيمة في بدء خلق الكون مفسرة ما لم يكن يدور في خلد المخاطبين في ذلك الزمان قائلة ((ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امثلها، كوّنّها بقدرته، وذراها بمشيئته، من غير حاجة منه إليتكوينها، ولا فائدة لهفي تصويرها، إلا تثبيتاً لحكمته، وتنبهتاً على طاعته، وإظهاراً لقدرته، وتعبداً لبريته، وإعزازاً لدعوته)).

ومن يتأمل في هذه الجمل يجد عجباً من القول لامرأة تتحدّث عن حكمة الله في مخلوقاته وتكشف عن أسرار الخلق في أول تكوين الكون فتذكر أنّ الله جلّ جلاله لم يحدّ حدّواً أحد قبله، ولم ينتهج نهج أحد سبقه؛ بل ابتدع الأشياء، وابتكرها، وأنشأها، لا حاجة له في خلقها، وإنّما لتثبيت حكمته، وتنبية الخلق على طاعته، وعبادته، وهذا هو القصد الذي أرادت ﷺ تبليغه وهو ضرورة الاستمرار في عبادة الله؛ الذي خلق هذه المخلوقات وأوجدها بقدراته الخارقة لكي تعبده، وتشكر نعمه.

وقد وضح الإمام جعفر الصادق ﷺ هذه القضية التي حاولت سيدتنا فاطمة الزهراء ﷺ إيصالها إلى الناس قائلاً: ((لم يزل الله عزّ وجلّ ربّنا والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، فلمّا أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على المبصر والقدرة على المقدور)).^(١٤)

الوجه الثاني: تثبت نبوة محمد ﷺ: وهو الأصل الثاني من أصول الدين، ولم تأت هذه الدعوة اعتباطاً بل تعرف السيدة فاطمة ﷺ وهي العالمة أنّ كثيراً من المسلمين دخل الإسلام لغاية في نفسه، وكان كثير منهم يبغض النبي محمد ﷺ لثارات من جراء الحروب التي دارت بين المسلمين والمشرّكين أو أحقاد في نفسه، لذا كان موت النبي محمد ﷺ فرصة سانحة للإنتقال والردة ولو في السر في أول الأمر، لذا أرادت السيدة فاطمة ﷺ تبليغ رسالتها بتثبيت مبدأ النبوة في هذا الوقت فقالت ﷺ ((وأشهد أنّ أبي محمداً ﷺ عبده ورسوله، اختاره قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتبه، واصطفاه قبل أن ابتعثه)).

والواضح أنّ قصد السيدة فاطمة ﷺ لم يقتصر على إرادة تثبيت النبوة في الأذهان بل فسّرت حكمة نبوّته فقالت: ((ابتعثه الله تعالى إتماماً لأمره، وعزيمة على إمضاء

حكمه، وإنفاذاً لمقادير رحمته)) فالنبوة إرادة إلهية ترتبط بوحداية الله، وقدرته على تمضية مشيئته، وإنفاذاً أوامره، وما نهى عنه من محرّمات، ومن أنكر النبوة فقد أنكر وحادانية الله وحكمه الرباني.

وأوضحت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام أن لنبوة محمد صلى الله عليه وآله أبيها فضلاً كبيراً على العرب كافة فهو صلى الله عليه وآله الذي وحّد أديانها بعد أن كانت متفرّقة مشتتة القوى، وأنقذهم من عبادة النار والأوثان، وأنار ظلمها وهدى الناس وأنقذهم من الضلالة والشرك وهداهم إلى الطريق السليم، ولذا سيكون من يخرج عن الإيمان بنبوته خاسراً في دنياه حيث أنكر فضل من تفضّل عليه، وخسر آخرته لأنّه أغضب ربّه. قالت عليها السلام: ((فأنار الله بأبي محمد صلى الله عليه وآله ظلمها وكشف عن القلوب بهمّها، وجلى عن الأبصار غمّمها، وقام في الناس بالهداية، وأنقذهم من الغواية، وبصرهم من العمية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم)). وهذا ما أكّده الإمام علي عليه السلام في كثير من خطبه مبيناً فضل النبي على العرب كافة.

قال الإمام علي عليه السلام عن نبوة محمد صلى الله عليه وآله ((بعثه بالحق نبياً دالاً عليه وهادياً إليه، فهدى به من الضلالة، واستنقذنا به من الجهالة، من يطع الله ورسوله، فقد فاز فوزاً عظيماً، ونال ثواباً جزيلاً)).^(١٥)

الوجه الثالث: أرادت السيدة فاطمة عليها السلام بيان أحقية الإمام علي عليه السلام والأئمة من ولده بأن يكونوا أولياء أمور المسلمين بعد نبيه صلى الله عليه وآله، وهو الأصل الثالث في الدين أي الإمامة، بعد أن رأت عليها السلام أنّ ذلك لا يلقي آذاناً صاغية لكثرة الراغبين بالخلافة، فذكرت المخاطبين بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله ((إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله المنزل وعترتي أهل بيتي))^(١٦)، فقالت ((زعمتم حقاً لكم، الله فيكم عهدٌ قدّمه إليكم، ونحن بقيةٌ استخلفها عليكم، كتابُ الله الناطق، ومعنا

القرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بينة بصائرهُ، وآي فينا منكشفة سرائره، وبرهانٌ منجليّةٌ ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائدٌ إلى الرضوان اتباعه، مؤدٍ إلى النجاة استماعه، فيه بيانٌ حججِ الله المنوّرة، وعزائمه المفسّرة، ومحارمه المحذّرة، وبيّناتُه الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرايعه المكتوبة)) وليس من أحد يسمع هذه الحجج الدامغة إلا ويعرف عظمة هذه المبلّغة التي تتثال الجمل على لسانها، متدفقة كالسيل يجرف كلّ البدع والضلالات التي حاول أناسٌ خلط الأوراق بها، فأكدت البقية التي استخلفها الله على المخاطبين، وأنّ آل البيت ﷺ هم القرآن الناطق لأنّهم يعبران عن الإسلام تعبيراً صادقاً وتلك رسالة كان الوقت ملحاً لإيصالها لما رأته ﷺ من ارتجاج في آراء المسلمين، وكررت ذلك أكثر من مرة فقالت: ((وطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً من الفرقة)).

الوجه الرابع: تأكيد ضرورة الاعتقاد بالعدل وهو من أصول الدين، قالت ﷺ ((والعدل تنسيقاً للقلوب)) ولاشك في أنّ العدل من المبادئ الأساسية قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة ٨]، والعدل أساس الملك فلا تستقيم الحياة من غير عدل، وقد عدّ الإمام عليّ ﷺ الإمام العادل أفضل عباد الله قال ((فاعلم أنّ أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هُدي وهُدى فأقام سنّة معلومة وأمات بدعة مجهولة)) (١٧)، وقال ﷺ في تعريفه بين العدل والجود ((العدل يضع الأمور في مواضعها والجود يخرجها من جهتها، والعدل سائسٌ عام، والجود عارضٌ خاص، فالعدل أشرفهما وأفضلهما)) (١٨).

الوجه الخامس: قصدت السيدة فاطمة الزهراء ﷺ تنبيه الناس على أنّ الحياة زائلة وأنّ الآخرة هي دار البقاء التي يعيش فيها المؤمنون في النعيم، قالت ﷺ عن

وفاة أبيها محمد ﷺ: ((ثم قبضه الله إليه قبضاً رافعةً واختياراً، ورغبةً وإيثاراً، فمحمدٌ من تعبِ هذه الدار في راحةٍ، قد حُفَّ بالملائكة الأبرار، ورضوانِ الربِّ الغفار، ومجاورةِ الملكِ الجبار))، وهَدَّدَتْ ﷺ مناوئي آل محمد بالعذاب في الآخرة قائلة: ((فدونكها مخطومةٌ مرحولةٌ تلقاك يوم حشرِك فنعِم الحَكَمُ اللهُ، والزعيمُ محمد، والموعِدُ القيامةُ وعند الساعةِ يخسرُ المبطلون ولا ينفَعُكم إذ تندمون و ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَفَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام ٦٧] ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [هود ٣٩] وقالت مخاطبة الحاضرين: ((فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر، نِقْبَةُ الخُفِّ، باقية العار موسومة بغضب الجبار وشنار الأبد موصولة بـ ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلُعُ عَلَى الْأَثْنَةِ﴾ [الهمزة ٦-٧]). والسيدة الزهراء ﷺ تذكر النَّاسَ بالمعاد الذي تحشر الناس فيه في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٩﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء ٨٩].

٢) المقاصد التعبدية والسلوكية

ونريد بها المقاصد التي أكدت فهم الفروع والفرائض وبيان الحكمة منها: وهو أمر عظيم أرادت السيدة فاطمة الزهراء تأكيده في أذهان الناس، وتحويل العقول إلى التفكير فيه، والتأمل في مضامينه.

وما قالته العالمة الحكيمة في بيان حكمة كل فريضة أو أمر من أوامر الله أو نهي من نواهيه، يدل على عقلية علمية تفوق عقول كثير من العلماء، إذا قرُن كلامها بزمنه، فهي لا تطلب أداء تلك الفرائض فقط، ولا تأمر بالالتزام بتلك الأوامر، أو تلك النواهي كما يدعو إلى ذلك الوُعَاظ بل تعطي حكمة كل واحدة منها، كما علّمها سيّد المرسلين، وفهمته من دراسة القرآن الكريم، فأعطت ﷺ كل

عبادة وفريضة وسلوك إيماني علة شرعية تسوّغ الالتزام بها وتطبيقها بوعي وفهم، قالت ﷺ موضحة عللها الشرعية: ((فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزكيةً للنفس ونماءً في الرزق، والصيام تثبيناً للإخلاص، والحجّ تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً من الفرقة، والجهاد عزاً للإسلام، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، وبرّ الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منسأة في العمر، ومناة للعدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالندى تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكايل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وترك السرقة إيجاباً للعفة، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية)). ومن يتأمل في هذه الرسالة البليغة يحكم بأن قائلة هذه الحكم امرأة لامثيل لها في تاريخ الإسلام فهي قد أعطت لكل حكم علة، بل وضعت ﷺ كثيراً من أحكام الدين بين يدي المخاطبين مسوّغة بالعقل والمنطق، والفهم الدقيق، والحكمة البالغة التي يستسيغها العقل والوجدان. وإني لعليّ يقين أنّ كثيراً من المخاطبين لم يكن يعرف هذه الحكم، وإن كان قد سمعها من رسول الله ﷺ فما كان ليفقهها؛ لأنّ أكثرهم ما كانوا فقهاء في الدين، ولا يعرفون غير أداء الفرائض، لذا كانت رسالتها هذه كالصرخة التي توقظ العقول التي غلّفها الجهل، وقد أوجزت القول في هذه الوجوه لأنّي أوفيتها في شرحي للخطبة المباركة (١٩).

٣) المقاصد التقويمية

وهي المقاصد التي أرادت منها ﷺ وضع الأمور في مواضعها التي أمر الله سبحانه أن توضع فيها، ومن تلك المقاصد:

١. التنويه بمكانة العلماء والتقاة في الإسلام: لأنَّ الجهلة، وأعراب الإسلام لا يقودون أمة؛ بل يُردونها في الهاوية، لذا ذكَّرت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام المخاطبين بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران ١٠٢] وطالبتهم بإطاعة الله سبحانه وتعالى فقالت عليها السلام: ((وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه))، واستشهدت بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر ٢٨]. والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام أرادت أن توصل رسالة جريئة وغنية بالمعرفة والفكر العميق مفادها أنَّ الدولة المبنية على أصول وفروع واضحة بينة، وأساس تشريعها كتاب أحكمت آياته، لا يدرك علومه ومعارفه وأحكامه أيُّ مسلم، إلا من حباه الله العلم الربَّاني، والمعرفة الإلهية، هذه الدولة لاتقاد بعصبيَّة قبلية جاهليَّة، ولا عادات وقوانين موروثه من عصر ما قبل الاسلام؛ بل يقودها رجال أودع الله فيهم أسرار علومه، ومنحهم القدرة على الفهم والاستيعاب، وتوجيه الأحكام المتشابكة، والتمييز بين الحق والباطل، ومعرفة أوامر الله ونواهيه، والعلم بتفسير كتاب الله، رجال يخشون الله ويتقون، وتلك هي من صفات علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من ولده عليهم السلام وهم الأولى بقيادة الأمة الإسلاميَّة وذلك بوصية من رسول الله صلى الله عليه وآله. روى ابن بابويه: حدَّثنا محمد بن علي رحمه الله، قال حدَّثنا عمِّي محمد بن أبي القاسم عن محمد بن علي الكوفي، عن محمد بن سنان عن المفضَّل بن عمر، عن ثابت بن أبي صفية، عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((معاشرَ الناسَ مَنْ أحسنُ من الله قِيلاً وأصدق من الله حديثاً. معاشرَ الناسِ إنَّ ربَّكم جلَّ جلاله أمرني أن أقيمَ لكم علياً علماً وإماماً وخليفةً ووصياً وأنَّ أخذه أخاً ووزيراً. معاشرَ الناسِ إنَّ علياً باب الهدى بعدي والداعي إلى ربِّي، وهو صالح المؤمن، ومَنْ أحسنُ قولاً ممَّن دعا إلى الله، وعملَ صالحاً وقال إنَّني

من المسلمين. معاشر الناس إنَّ علياً مَنِّي، ولُدُّه ولدي، وهو زوج حبيبتي، أمره أمري، ونهيه نهبي. معاشر الناس عليكم بطاعته واجتناب معصيته؛ فإنَّ طاعته طاعتي، ومعصيته معصيتي. معاشر الناس إنَّ علياً صديق هذه الأمة وفاروقها، ومحدثها، إنَّه هارونها وأصفها وشمعونها، إنَّه بابُ حطِّتها، وسفينة نجاتها، وإنَّه طالوتها، وذو قرنيها. معاشر الناس إنَّه محنة الوري، والحجة العظمى، والآية الكبرى، وإمام أهل الدنيا، والعروة الوثقى. معاشر الناس إنَّ علياً مع الحق والحق مع عليٍّ وعلى لسانه. معاشر الناس إنَّ علياً قسيم الجنة لا يدخلها عدوُّ له، ولا يُزحزح عنه وليُّ له. معاشر أصحابي قد نصحتُ لكم، وبلَّغْتُكم رسالة ربِّي، ولكن لا تحبُّون الناصحين، أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم)). (٢٠)

٢. تأكيد أنَّ أسرة آل محمد ﷺ ليست كسائر الأسر؛ بل هي أسرة ترتبط برسول الله محمد ﷺ الصادق الأمين، وهي أسرة شرفها الله بنزول الوحي في بيتها فلا تنطق إلا الحق، ولا تدعي إلا بما أمر الله أن يكون لها، وأنَّ المتحدثة ليس على وجه الأرض ابنة نبي غيرها، وهذا الانتساب يمنحها الشرعية في أن تعظ الأمة بما وعظتهم به، وتدعوهم إلى ما دعيتهم إليه، فقالت ﷺ: ((أيها الناس اعلموا أنَّي فاطمة، وأبي محمد ﷺ أقول عوداً وبدأ، ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً)) **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ** [التوبة ٢٢] فإنَّ تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نساءكم، وأخا ابن عمِّي دون رجالكم، ولنعم المعزِّي إليه)). وهذه الرسالة من أفسى الرسائل على قلوب المخاطبين لأنَّها تصرخ بالحقيقة التي حاول بعضهم التغاضي عنها، وهي أنَّ المتحدثة السيدة الزهراء ﷺ ليست كسائر نساءهم؛ بل هي ابنة نبيِّهم التي قال عنها ﷺ: ((مَنْ عَرَفَ هَذِهِ فَقَدْ عَرَفَهَا وَمَنْ لَمْ يَعْرِفَهَا فَهِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَهِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي، وَهِيَ قَلْبِي وَرُوحِي الَّتِي بَيْنَ جَنبِيَّي

فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله))^(٢١) وأنَّ علي بن أبي طالب عليه السلام أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وابن عمِّها عليه السلام، ومَن ينكر مؤاخاة رسول الله صلى الله عليه وآله علياً بعد الهجرة؟ فضلاً عن كونه ابن عمه وربيبه ووصيه وخليفته، قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ((وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله الله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليدٌ يضمُّني إلى صدره ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمُّني عَرفه وكان يمضغ الشيء ثمَّ يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطله في فعل، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه))^(٢٢). وهي بذلك التصريح بحقيقة نسبتها إلى خير الأنام تزيد سبباً آخر يدعوهم إلى تحقيق ما تدعوهم إليه في خطبتها فضلاً عن سبب آخر لا يقل أهمية عن الأول وهي أنها أرادت أن تفهمهم بأن المتكلمة هي فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله العاملة المحدثة الطاهرة البتول وليست امرأة أخرى، لا تقول ما تقول غلطاً، ولا تفعل ما تفعل شططاً، بل هي تلميذة رسول الله صلى الله عليه وآله، حافظة القرآن الكريم، وأحاديث أبيها التي جمعتها في مصحفها المسمَّى باسمها، فأقوالها مفروضة الطاعة على من آمن بالله ورسوله لأنَّها لم تنطق إلا بما جاء في القرآن الكريم، وقد أثبت ذلك في بحث عنونته بـ (موقف فاطمة الزهراء من القرآن الكريم المنهج والأثر).

٤) المقاصد السياسية

وهي مقاصد فكرية تخص الحكم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أرادت منها السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام تنبيه الطامعين بالسلطة، والحكم، والجاه، والمال، على حقيقة حالهم قبل الإسلام وفضل الله تعالى ونبية محمد صلى الله عليه وآله في إنقاذهم من الواقع المزري الذي كانوا يعيشونه في الجاهلية. فقالت عليها السلام ((وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب،

ونَهزَةَ الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطُّرُق، وتقتاتون القُدَّ، أدلَّة خاسئين، ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ [الأنفال ٢٦] من حولكم فأنتذكم الله تبارك وتعالى بمحمد ﷺ بعد اللتيا والتي، وبعد أن مُني بِهِم الرجال وذُوبان العرب، ومردة أهل الكتاب)).

وهذه التذكرة قاسية جداً لمن كان ذا لبّ فالعرب قبل الإسلام كانوا حفاة، وبعضهم عراة لا يجد ما يستر به نفسه، يأكل بعضهم الجلود، ويشربون ما تخوض به الحيوانات، وكانوا أدلة خاسئين يخشون من حولهم وقد وصفهم المؤرخون بأكثر من ذلك، قال د. جواد علي: «ولم يكن في وسع كثير من الجاهليين الحصول على اللحم لفقرهم فكانوا يأندمون (الصليب) وهو الودك، ودك العظام، يجمعون العظام ويكسرونها ويطبخونها ثم يجمعون الودك الذي يخرج منها ليأندموا به، وقد عُرفوا (بأصحاب الصلب) ولما قدم الرسول مكة أتاه أصحاب الصلب الذين يجمعون العظام إذا لحب عنها لحمها فيطبخونها بالماء ويستخرجون ودكها ويأندمون به، ولم يكن باستطاعة الفقراء أكل الخبز لغلائه... لذلك عدّ أكله من علائم الغنى والمال، وكان الذي يُطعمُ الخبز والتمر يُعدُّ من السادة الكرام، وكان أحدهم يفتخر بقوله (خبزت القوم وتمرهم)... وكان منهم من لا يستطيع شراء الملابس ليلبسها فيستر جسمه بالأسمال البالية وبالجلود ويعيش متضوراً جوعاً وقد ذكر أنّ الفقراء من الصحابة كانوا لا يملكون شيئاً ويتضورون جوعاً وينامون في صفة المسجد يرزقهم الرسول من رزقه، تنبعث منهم روايح كثيرة من عدم الغسيل، ويلعب القمل في شعرهم وينتقل على أجسامهم حيث يشاء». (٢٣)

وهذه الصورة المأساوية لحال كثير من العرب غيرها الإسلام إلى حال أخرى فزاد الغنى وكثرت العطايا، ونزلت عليهم البركة من الله تعالى؛ لوجود المصطفى

البشير ﷺ بين ظهرانيهم، ولدعائه المستجاب، لكنهم سرعان ما نسوا فضل رسول الله ﷺ وما أسبغته عليهم من نعم، وخير، وثناء، فتسابقوا يبحثون عن الملك، والحكم، وتولي الخلافة، وهو مازال مسجى في بيته، لم يبق معه غير علي بن أبي طالب ﷺ يغسله ويكفنه ونخبة من آل بيته (عليه السلام)، لذا جاءت السيدة الزهراء (عليها السلام) تذكرهم بما كانوا عليه قبل الاسلام وما آلوا إليه بفضل أبيها لكي يثيبيوا إلى رشدهم ويعودوا إلى دينهم.

ومن تلك المقاصد السياسية تثبيت حق الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) فيها عهدته الله إليه من ولاية أمر المسلمين: وفي اعتقادي أنّ هذا هو القصد الأهم الذي حمل السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) على أن تلوث خمارها على رأسها، وتشتمل بجلبابها، وتقبل في لمة من حفدتها، ونساء قومها تطأ ذيوها ما تحرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ وتخرج من بيتها لتدخل المسجد النبوي لتلقي خطبتها تلك التي هزت بها المشاعر وزلزلت الأرض تحت أقدام سامعيها. والذي يحملني على هذا الاعتقاد هو أنّ السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) لم يكن يهّمها ويقلقها إلا بقاء الدين الإسلامي الحنيف من غير تحريف أو تغيير. ورغبتها في نشر الرسالة الإسلامية السليمة بين الناس، والاستمرار في تغيير العادات الجاهلية المقيتة، واستبدالها بمبادئ الدين القويم الذي نزل على صدر والدها وعانى ما عانى في سبيل نشره وترسيخه في العقول والقلوب، وهي تعرف بل هي على يقين أنّ كثيراً من المسلمين مازال الإسلام مترجراً في نفوسهم، وما زالت الأفكار والاعتقادات الجاهلية تعشعش في عقولهم لذا كانت تحشى أن ينحرف الإسلام بحسب أهوائهم وميولهم وعقائدهم، وهي تعلم علم اليقين أنّ من ولاه الله أمر المسلمين وهو علي بن أبي طالب (عليه السلام) وحده القادر على قيادة سفينة الأمة إلى بر الأمان فقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة ٥٥] وأكثر التفاسير

نصت على أنّ هذه الآية نزلت في الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (٢٤). ولإعادة تأكيد هذا الحق ذكرت السيدة الزهراء عليها السلام فضائل عليّين أبي طالب عليه السلام وما قدّمه للإسلام من تضحيات وبطولات حمت الإسلام، بسيفه وفكره النير حتى وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله في واقعة الخندق بأنه الإيمان كله برز لمحاربة الكفر كله، فكان في جهاده وبطولاته يعدل جيش الإيمان كله، فقالت السيدة الزهراء عليها السلام مستشهدة بقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة ٦٤]: أو نجم قرن للشيطان، أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في هواتها، فلا ينكفي حتى يطاء صماخها بأخصه، ويحمد هبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله صلى الله عليه وآله، سيّداً في أولياء الله، مشمراً ناصحاً، مجداً كادحاً، لا تأخذه في الله لومة لائم، وأنتم في رفاهية من العيش، وادعون فاكهون آمنون. فالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كان أول المضحين في سبيل الإسلام، والمدافعين عن مبادئه وعقائده.

وقد حاولت السيدة الزهراء تبين مكانته عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وأهليته لتوحي أمر المسلمين فقالت عليها السلام متحدثة عن أحواله: ((مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله صلى الله عليه وآله، سيّداً في أولياء الله مشمراً ناصحاً مجداً كادحاً، لا تأخذه في الله لومة لائم)). وتلك هي صفات ولي أمر المؤمنين، يكّد، ويتعب، ويرهق نفسه في ذات الله؛ لأنه يعرف الله حق معرفته ويحبه ويخشاه، لا يفكر إلا في ما يرضي الله، لا تغريه الدنيا بغرورها، ولا يطول أمله فيها، وقد صور الإمام علي عليه السلام رؤيته للدنيا فقال ((يادنيا يادنيا إليك عني، أي تعرّضت أم إليّ تشوّقت، لاحان حينك، هيئات غري غيري، لا حاجة لي فيك قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعيشك قصير، وخطرك يسير، وأملك حقير، أه من قلّة الزاد وطول الطريق بعد السفر وعظيم المورد)). (٢٥)

فالإمام علي عليه السلام رجل تقي مؤمن لا تأخذه في الله لومة لائم، يحب الله ويحبه الله لذا ترى السيدة فاطمة عليها السلام أنّ خير من يؤدي الأمانة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هو علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد عبّرت عن ذلك بقولها عليها السلام ((سيداً في أولياء الله مشمراً ناصحاً، مجداً، كادحاً، لا تأخذه في الله لومة لائم))، وكان الإمام علي عليه السلام سيداً في أولياء الله بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بإرادة الله لا برغبة راغب.

ومن المقاصد السياسية: كشف ما بطن في نفوس كثير من المنافقين، ومواجهتهم بحقيقة أمرهم: لقد أبدت السيدة فاطمة عليها السلام شجاعة في كشف بواطن النفوس الخبيثة التي تستتر بالإسلام وتدّعي بما لا تؤمن به، وقد ظهر زيف تلك النفوس وطمعها وخداعها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت من غير مجاملة ولا مواربة: ((فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه ومأوى أصفِيائه، ظهر فيكم حسكةُ النفاق، وسملَ جلبابُ الدين، ونطقَ كاظم الغاوين، ونبغَ حاملُ الأقلين، وهدرَ فنيقُ المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلعَ الشيطانُ رأسه من مغرزه هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير مشربكم هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل والرسول لما يقبر)). وهذا القصد مريرٌ يدمي النفوس ويكلمها، لأنه يحمل رسالة قاسية تكشف خبايا نفوس ظاهرها الإسلام وباطنها أمر آخر، فقد صفتهم السيدة فاطمة عليها السلام بقولها: ((ظهر فيهم حسكة النفاق)) بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وتلك أسوأ صفة وصمتهم بها كما وصم الله تعالى بها بعض من كانوا يعاصرون الرسول صلى الله عليه وآله فأنزل سورة (المنافقون) حيث قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَغَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فهُمْ لَا يَقْنَهُونَ﴾ [المنافقون ١-٣].

وقد كشف الله زيف إسلام كثير منهم بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَتَمَنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا * إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآؤْنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا * مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هُوَاءٍ وَلَا إِلَى هُوَاءٍ وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء ١٤١-١٤٣].

فالذين كانوا يخادعون الله في زمن رسول الله ﷺ وكانوا يقومون إلى الصلاة كسالى، وكانوا يراؤون الناس، لاشك في أنهم سيزدادون نفاقاً ورياءً وحقداً على الإسلام بعد وفاته ﷺ.

وكشفت ﷺ لهم عيباً كبيراً هو ضعف إيمانهم فقالت ((وسمل جلباب الدين)) وتلك كارثة أن يتهراً جلباب الدين في نفوسهم، بعد أن كانوا يتسترون به، ويخفون بواطن رغباتهم، والإسلام ما زال في عنفوانه فلم تمض سنوات قليلة على نزول القرآن الكريم ودخول قريش وغيرهم في الإسلام فكيف سمل جلباب الدين؟ وكأنها أرادت ﷺ أن تقول إنكم في أول الطريق وقد حدثم عن السبيل القويم، ونطق كاظم الغاوين بعد أن كان يكظم غيظه على الإسلام، فراح يشيع غوايته، وينشر أباطيله، وتلك وصمة أخرى، ونبغ بعد حين من الصمت من كان خاملاً متكاسلاً حين كان المجاهدون المدافعون عن الإسلام يضحون بحياتهم وكل ما يملكون، وها هو ينبغ الآن ويرفع عقيرته. وراحت الزهراء ﷺ تكشف عيوب من تحاطبهم، وتظهر مساوى بعضهم، وأكثرها خزيًا أن يستجيب من يدعي الإسلام، ويتفاخر بالإيمان، لداعي الشيطان بعد أن هتف بهم يدعوهم إلى ما وعد بإغوائهم فيما حكاها الله تعالى عنه ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر ٤٣٩]. وهذا ما كشفته السيدة الزهراء ﷺ بقولها

((ألفاكم لدعوته مستجيبين وللغرة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً)) وتلك فضيحة كبرى أن يعيش في صفوف المسلمين في عصر الرسالة من نخف أقدامه مسرعة للحاق بالشیطان لتلبية دعواته، والاستجابة لمطالبه، وفي هذا الموقف تعلن السيدة فاطمة قضيتها الكبرى بقولها: ((فوسمتم غير إبلکم، ووردتم غیر مشربکم)). وتعرب السيدة الزهراء عن عميق حزنها وألمها من أن يحدث ذلك في زمن لم تجفّ على فراق رسول الله ﷺ بعد دموع باكيه، ولم ترتو من مرآه عيون مودّعيه فعبرت عن ذلك بقولها: ((هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل والرسول لما يُقبر)) وتلك فاجعة كبيرة تتبع فاجعة موت آخر رسل الله تعالى إلى البشر جميعاً. ولا بد من تأكيد أن من ذكرتهم الزهراء ﷺ ليسوا هم الصحابة جميعاً وحاشاها أن تقصد ذلك؛ بل قصدت المنافقين الذين كانوا يبطنون في نفوسهم غير ما يظهرون، وقصدت الذين يضمرون العدا لعلي بن أبي طالب ﷺ وآل محمد ﷺ ويخططون للعودة إلى عهود الجاهلية باسم الاسلام.

المقصد الخاص بحق ملكيتها فدك

وهو تأكيد حقها في ملكية (فدك) وقد أرادت السيدة فاطمة الزهراء ﷺ بيان الحجج البينة الواضحة التي تؤكد حقها في ملكية فدك التي منحها لها رسول الله ﷺ ومُنعت عنها بعد وفاة أبيها بأيام، بحجة أن النبي قال «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا داراً ولا عقاراً وإنما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه» وهو حديث رواه الخليفة الأول، فجاءت ﷺ تدافع عن حقها بالبراهين والأدلة، وقد بنت حججها على أمور منها:

١. الأول: ما ورد في القرآن الكريم من نصوص تدحض صحة هذا الحديث لأنه يتعارض مع ماورد في القرآن الكريم من آيات تؤكد حق وراثه الأبناء لأبائهم الأنبياء ومنها قوله تعالى ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ [النمل ١٦] وقوله تعالى فيما اقتصمن خبر يحيى بن زكريا عليه السلام ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم ٦٥] وقوله تعالى ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال ٧٥] وقوله تعالى ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّيْنَ﴾ [النساء ١١] وقوله تعالى ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة ١٨].

٢. الثاني: لم يكن في هذه الآيات خصوص وعموم فيخصهم الله بها ويخرج آل محمد منها لذا قالت: ((وزعمتم ألا حظوة لي، ولا إرث من أبي أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها... أم أنتم أعلم بخصوص القرآن من عمومه من أبي وابن عمي)).

٣. الثالث: لم تكن السيدة فاطمة عليها السلام من ملة غير ملة أبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمنعوها الإرث على أساس أن أهل ملتين لايتوارثان. والمخاطبون كلهم يعلمون أن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام هي سيدة نساء العالمين وكما قال عنها الخليفة الأول أبو بكر في رده على خطبتها: «لا يحبكم إلا سعيد، ولا يبغضكم إلا شقي بعيد، فأنتم عترة رسول الله الطيبون، والخيرة المنتجبون، على الخير أدلتنا، وإلى الجنة مسالكنا، وأنت يا خيرة نساء العالمين، وابنة خير الأنبياء صادقة في قولك سابقة في وفور عقلك». وهذه الحجج التي أوردتها تثبت بالدليل القرآني الذي تنهافت دونه كل الأدلة حقها في ملكية فدك شرعاً.

المبحث الثاني

قصدية خطبة الزهراء في الميزان

لم تخرج السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين، بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وزوج بطل الإسلام، ومن جعله رسول الله صلى الله عليه وآله بمنزلة هارون من موسى، وأمّ السبطين الحسن والحسين عليهما السلام، من بيتها لتخطب في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله تلك الخطبة التاريخية التي مازال صداها يرنّ في الآذان لقضية صغيرة يمكن حلّها بغير ذلك الوقوف أمام ذلك الحشد من المسلمين، بل كان القصد عظيماً والغاية جليلة. وقد كرر عدد من الدارسين أن الغاية من هذه الخطبة هو قضية فدك، ولا أقول أنّ ذلك لم يكن من مقاصد الخطبة، فقد ذكرته في ضمن المقاصد؛ ولكنّه في نظري ليس الأهمّ بل ثمة قضايا مصيرية تهّم المسلمين والدين الإسلامي والفكر الإسلامي هي التي حدثت بسيدة نساء العالمين عليها السلام لتقول كلمة الفصل فيما تلجلجت فيه الألسن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وقبل ان أوضح القصد الأهم من هذه الخطبة أعود وأؤكد أنّ فدك كانت من مقاصد السيدة الزهراء عليها السلام من خطبتها فهي حاجت، وأوردت الأدلة، وهددت من لا يعيد لها حقوقها في ملكيتها بمخاصمة رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة وسيكون الحكم هناك هو الله وهو خير الحاكمين. وأندرت عليها السلام عدداً من المخاطبين بعقاب الله الشديد لأنهم لم ينصروها في قضيتها هذه، ولكنّي في الوقت نفسه أقول إنّها عليها السلام كانت تطالب بها لاطمئناً في خيراتها، ولارغبة في الشراء والغنى؛ ولكنها أرادت أن تثبت في عقول الناس أنّه لا يصح في الإسلام السكوت على ضياع الحقوق وأنّ المسلم ينبغي أن يدافع عن حقوقه بكل وسيلة حتى ينتزعها.

وفدك مقاطعة منحها الله جلّ وعلا لفاطمة عوضاً عن تضحيات أمّها خديجة الكبرى ﷺ وما بذلته من أموال طائلة لتثبيت دعائم الإسلام، لكون هذه المقاطعة وما والاها فتحها رسول الله ﷺ من غير أن يُوجَفَ عليها بخيل ولا ركاب، وهذه النحلة لا تخضع للإرث لأنّ رسول الله ﷺ منحها لها في حياته فصارت ملكاً لها لا يدخل فيها ورثه رسول الله ﷺ. ولذا وجدت السيدة فاطمة ﷺ أنّ منعها منها ظلم لها واغتصاب لحقها وهو ما لا ينبغي السكوت عليه؛ فهبت للمطالبة بها وبيان الحجج الدامغة من نصوص القرآن الكريم والشريعة الإسلامية.

وهذا القصد هو القصد المباشر المسوّغ لإلقاء هذه الخطبة؛ ولكنه ليس هو القصد الأهم؛ بل ثمة قضايا أكثر أهمية من قضية فدك ولتوضيح ذلك أذكر رواية تكمن خلفها كثير من المقاصد الحقيقية لهذه الخطبة، روى الكليني: «علي بن محمد ابن عبد الله عن بعض أصحابنا، أظنه السيّاري، عن علي بن أسباط قال: لما ورد أبو الحسن موسى ﷺ على المهدي رآه يردّ المظالم فقال ﷺ: ما بال مظلمتنا لا تُردّ، فقال له: وما ذاك يا أبا الحسن؟ قال ﷺ: إنّ الله تبارك وتعالى لما فتح على نبيه ﷺ فدكاً وما والاها لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿وَأْتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ [الاسراء ٢٦] فلم يدر رسول الله ﷺ من هم فراجع في ذلك جبرئيل ﷺ، وراجع جبرئيل ﷺ ربّه فأوحى الله إليه ﷺ أن ادفع فدكاً إلى فاطمة ﷺ فدعاها رسول الله ﷺ فقال لها: يا فاطمة إنّ الله أمرني أن أدفع إليك فدكاً، فقالت ﷺ: قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك؛ فلم يزل وكلاؤها فيها في حياة رسول الله ﷺ فلما ولي أبو بكر أخرج عنها وكلاءها فأتته فسألته ﷺ أن يردّها عليها... فقال له المهدي: يا أبا الحسن حدّها لي، فقال ﷺ: حدّ منها جبلٌ أحد، وحدّ منها عريش مصر، وحدّ منها سيفُ البحر، وحدّ منها دومة الجندل، فقال: كلّ هذا؟ قال ﷺ: نعم هذا كلّهُ، إنّ هذا كلّهُ ممّا لم يوجف على أهل رسول الله بخيلٍ ولا ركابٍ، فقال:

كثير، وأنظرُ فيه»^(٢٦) ولو تأملنا في هذه الرواية وحللنا مضمونها ولاسيما ما يخصّ حدود فدك لوقفنا بإزاء رأي مهم يجعلنا نعيد القراءة أكثر من مرّة، ففدك مقاطعة صغيرة وما ذكره الإمام موسى بن جعفر عليه السلام يشمل حدود الأمة الإسلامية كلّها، فهل كان الإمام عليه السلام يزيد على حدود فدك ما ليس منها، حاشى لولي الله أن يطمع فيما يزيد على فدك؛ ولكن القضية أعمق وأكبر من حدود فدك، لقد كان الإمام عليه السلام قاصداً ما يقول، وهو أنّ خروج السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام إلى المسجد لم يكن للمطالبة بفدك الأرض، وإن كانت حقاً، ولكنها خرجت لتطالب بفدك القضية، وهي أكبر كثيراً من الأرض؛ بل هي قضية بقاء الدين كما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله والتمسك بتعاليم الإسلام وما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله من وصايا، وأهمها حديث الغدير الذي قال فيه ((الستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا بلى، قال صلى الله عليه وآله: أستم تعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، وأخذ بيد علي عليه السلام وقال: اللهم من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه))^(٢٧).

وحيث توفي رسول الله صلى الله عليه وآله حدث ما حدث واختاروا خليفة غير علي بن أبي طالب عليه السلام وحدثت أمور كثيرة في سلسلة من الأحداث لأخذ البيعة منه لاجمال لتفصيلها فزادت السيدة فاطمة الزهراء يقيناً بأنّ الأمور تسير على غير ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ القوم من المهاجرين والأنصار اختلفت مواقفهم وولاءاتهم لذا خرجت تدافع عن قضية كبرى هي الحفاظ على الدين والمبادئ والسنن التي استنها رسول الله صلى الله عليه وآله لتوحيد كلمة المسلمين، ولذلك قالت السيدة فاطمة عليها السلام امرأة من تخاطبهم: ((أطيعوا الله فيما أمركم به، ونهاكم عنه مذكرة بالآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران ١٠٢].

ومن ملامح تلك القضية الكبرى الموقف العدائي من آل بيت محمد الذين طهرهم الله من الرجس في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب ٣٣]، لكن قريشاً لم تلتزم بهذا النص الإلهي بل حاربوا آل محمد وناصبوهم العدا، قالت السيدة: ((وأنتم في رفاهية من العيش، وادعون فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر، وتتوكلون الأخبار، وتنكصون عند النزال وتفرون من القتال))، وتلك العبارات صريحة لاعلاقة لها بفدك فهي تذكرهم بمواقف علي في الدفاع عن الإسلام، والتضحية بأغلى ما يملك وهي روحه الطاهرة في حين كان أولئك المقصودون في رفاهية يتربصون الدوائر بآل بيت محمد ويتحينون الفرص لليل منهم.

وهذا ما أكده الإمام علي عليه السلام في رفعه شكوى إلى الله من قريش في إحدى خطبه قائلاً ((اللهم إني أستعديك على قريش ومن أعانهم فإنهم قطعوا رحمي)) (٢٨)، ومن ملامح تلك القضية الكبرى أن الدين جاء لمحاربة الشيطان وجنده وكان أكثر المسلمين في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله يدعون ذلك، لكن الأمور تغيرت بعد وفاته صلى الله عليه وآله بحسب ما تراه السيدة الطاهرة لماراته من استجابة كثير من المسلمين لدعوات الشيطان فقالت ((فألغام لدعوته مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً...))، ثم تصل السيدة الزهراء صلى الله عليها وآله إلى صلب القضية الكبرى؛ وهي ورودهم غير مورد هم أي أخذهم ما ليس حقهم فقالت السيدة: ((فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير مشربكم))، لأن الذي يرد هذا المشرب بحسب وصية رسول الله هو علي بن أبي طالب عليه السلام. ولم يفتها أن تفند الحجة التي كان القوم يحتجون بها وهي أنهم فعلوا ما فعلوا خشية وقوع الفتنة في النزاع بين المسلمين على الخلافة فقالت السيدة: ((زعمتم خوف الفتنة ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة ٤٩] فهيهات منكم، وكيف بكم، وأنى تؤفكون)).

ولتوضيح تلك القضية الكبرى أحالتهم إلى ما لا يصح رده وهو كتاب الله الذي جعله الله مصدراً للتشريع وفيه آيات وواضحات نصت على أحقية أمير المؤمنين عليه السلام بولاية أمور المسلمين ومنها قوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة ٥٥] فقالت عليها السلام ((وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجره لايحة، وأوامره واضحة قد خلفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون ﴿بِسْ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف ٥]، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران ٨٥]).

ومن يتأمل في الآيتين الكريمتين اللتين استشهدت بهما يقف على جسامة القضية التي تدافع عنها في هذه الخطبة حيث تنص الآية على شرط عظيم ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾ فهي تنذرهم بخطر ما هم فيه لأنهم يسرون في طريق يوصلهم إلى تبديل الإسلام بغیره وتلك طامة كبرى، كأن القوم يريدون بسلوكهم تطبيق عادات وتقاليد وأحكام لا يرضيها الله تعالى لذا أكدت عليها السلام أنهم يستجيبون لهتاف الشيطان الغوي ((وإطفاء أنوار الدين الجلي وإهمال سنن النبي الصفي))، وهل فوق قضية إطفاء أنوار الإسلام قضية أكبر؟ وهل في النفس خوف أعظم وأشد من إهمال سنن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله؟ وفوق ذلك يسعى الذين قصدتهم في خطبتها عليها السلام إلى التربص بآل محمد الدوائر، والعمل على إيدائهم وهم الذي قال الله فيهم: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى ٢٣]، لذا وبختهم السيدة الزهراء عليها السلام على ما عملوه قائلة: ((ونصبر منكم على مثل حزّ المدى، ووخز السنن في الحشا)). وأرى أن الدليل على أن قضية الزهراء عليها السلام الكبرى هي ليست أرض فلك؛ بل هي أكبر من ذلك، يتجلّى في معابقتها للأنصار وتخليهم عن نصرتها بعد أن كانوا دائماً في نصره الحق قائلة: ((وأنتم ذوو العدد والعدة، والأداة والقوة، وعندكم السلاح

والجُنَّة، توافيكم الدعوة فلا تُجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت قاتلتكم العرب وتملتم الكد والتعب، وناطحتم الأمم، وكافحتم البهيم، لانبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت رحي الإسلام، ودرحلب الأيام... فأتى حرثم بعد البيان، وأسرتهم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيثار؟ بؤساً لقوم ﴿نَكثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدُوْكُمْ أَوْلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة ١٣] ألا وقد أرى أن قد أخذتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالسط والقبض)). ومن التأمل في النص نرى أن القضية التي خرجت السيدة الزهراء (عليها السلام) من بيتها لتوضحها لو كانت تتعلق بمقاطعة صغيرة لما كان حديث السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بمثل هذا الغضب وتلك الحدة، ونستنج من هذا التأمل أموراً منها:

١. إن قضية فدك لا تتطلب تذكير الأنصار بأنهم ذوو عدد وعدة، وأداة وقوة، وأنهم عندهم السلاح والجُنَّة وهي من مستلزمات الحرب، لأن السيدة الزهراء (عليها السلام) لا تريد أن تشب حرب لأجل مقاطعة صغيرة، بل هي تتحدث عن قضايا أكبر تعدل القضايا التي جاهد من أجلها المسلمون في أيام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي الدفاع عن الإسلام والحفاظ عليه.

٢. نلاحظ من قولها ((توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون)) أن الأنصار سبق أن دُعوا إلى النصر قبل هذا الخطاب ولم يستجيبوا لتلك الدعوة، واستصرخوا ولم يُغيثوا من استصرخهم، ولم تورد لنا الروايات أن السيدة دعت الناس لنصرتها في قضية فدك، ولم تستصرخ أحداً لنجدها في تلك القضية، قبل هذه الخطبة، مما يدل على أنهم دُعوا إلى قضية أكبر من فدك،

واستُصرخوا القضية أهم من فذك، وهي نصره آل رسول الله ﷺ فلم يستجب لهم الأنصار ولم يغيثوهم.

٣. ذكّرت السيِّدة فاطمة الزهراء ؑ الأنصار بمواقفهم المعروفة من علي بن أبي طالب ﷺ والهاشميين، ونصرتهم لآل البيت ﷺ في زمن الرسول ﷺ وحبّ الأنصار لآل البيت ﷺ فقالت ((وأنتم موصوفون بالكفاح... والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت قاتلتكم العرب، وتحملتكم الكدّ والتعب، وناطحتم الأمم، وكافحتم البهيم لانبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون حتى إذا دارت بنا رحي الاسلام... فأنتى حرتم بعد البيان، وأسررتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيمان)). ولو تساءلنا: بماذا كانوا يأمرون الأنصار فيأتمرون؟ أليس هذا دليلاً على أنّ الأنصار كانوا يناصرون آل البيت ﷺ، ويطيعونهم في نصره الإسلام ومحاربة أعدائه، لذا تستغرب السيدة فاطمة ؑ من هذا النكوص، والإرتداد عمّا كانوا عليه من إطاعة وولاء، وكلّ ذلك في أمور تخصّ الإسلام والمسلمين، وليس في قضية صغيرة كقضية فذك.

٤. تصرّح السيدة فاطمة ؑ بجوهر القضية الكبرى عند معاتبة الأنصار في قولها ﷺ: ((ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحقّ بالبسط والقبض، وخلوتمبالدعة، ونجوتم بالضيق من السعة)). والمراد بالإخلاق إلى الخفض الرضا بالذل والهوان، ثم تصل ﷺ إلى ما تريد أن تقوله بوجه الجميع: ((وأبعدتم من هو أحقّ بالبسط والقبض)) وهو الإمام علي بن أبي طالب ﷺ الذي ولّاه الله أمر المسلمين بعد النبي محمد ﷺ، لأنّ البسط والقبض كناية عن الحكم وولاية أمر المسلمين.

٥. إن هذه الأسرة التي طهرها الله من الرجس قد أثبتت كتب التاريخ والسير و التفسير، أنّ أفرادها جميعاً من الزهاد الناسكين العابدين المنصرفين إلى عبادة الله، لا يشغلهم جاه، ولا مال، ولا إقطاع، ولا شيء من متاع الدنيا إلا ما يقيم أودهم، ويمنحهم القدرة على الاستمرار على الحياة.

وقصص زهد آل محمد معروفة يكفي أن نذكر منها ما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان ٥-٩]. وقد أجمعت التفسير على أنّ الآيات نزلت في علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأنّ الطعام الذي أرادوا أن يفطروا به هو رغيف شعير لكل منهم، وقد تصدقوا بأرغفة الشعير في اليوم الأول على مسكين وفي اليوم الثاني على يتيم وفي اليوم الثالث على أسير، وباتوا ثلاثة أيام لا يجدون ما يفطرون به بعد صوم النهار.

ومعروف عن الإمام علي عليه السلام أنه كان ينفق على الفقراء ما يملك وأحيانا لا يبقلي لعياله ما يقيم أودهم، والمعروف عن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام أنّها تصدّقت بثوب زفافها إلى فقيرة طرقت بابها ولبست ثوبها القديم، ومثل هذه الأسرة لا تبحث عن أملاك أو ثروات، ولا تحلم بالغنى ولا بالثراء، بل كانوا يبحثون عمّن يحمل عنهم زادهم إلى يوم القيامة كما أوصى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ولده الحسن عليه السلام في وصيته المشهورة^(٢٩)، فليست فدك كما يتصور بعض الناس هي الفردوس المفقود من هذه الأسرة الزاهدة التقية، ولكنّه الحق الذي لا يمكن السكوت على اغتصابه، ولا يمكن التهاون في منع التصرف به سواء بالتصدق على الفقراء أم في

إغاثة المحتاجين والمتعفين، لذا آمنت الأسرة بأن فذك لا يصح السكوت على من يريد الاستحواذ عليها مهما كانت الأعذار، فامتزجت القضية الكبرى بالقضية الصغرى، قضية أمة بناها رسول الله ﷺ على نحو ما أراد الله تعالى فيها أوحاه إليه، ودافع عنها علي بن أبي طالب عليه السلام بسيفه الذي دمر به الجيوش ونكس الرايات وجندل حاملها، وكان حامل راية رسول الله ﷺ في معاركه كلها، وقضية نحلة وهبها الله تعالى لابنة رسوله ﷺ ثم اغتصبت منها، لذا وقفت الصديقة فاطمة بوجه من أراد أن يطمس حقها وحق آل رسول الله ﷺ والمؤمنين المتقين لتتطرق كلمة الحق التي لا بد أن تقال.

ومن يتأمل في مقاصد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام يجدها تتجه إلى منحى وحدوي يسعى إلى بقاء الأمة الإسلامية كما بناها رسول الله ﷺ ووحد صفوفها وأخى بين أبنائها وأزال منها الأضغان والأحقاد وجعل الأوس أخوة الخزرج، والأنصار أخوة المهاجرين لافرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى، وكانت الصديقة تريد للاسلام أن يبقى موحداً للنفوس لامفرقاً لها، لذا أكدت كثيراً ضرورة تطبيق أحكام القرآن الكريم ووصايا رسول الله ﷺ كحديث الغدير وهي وصايا تبقي الأمة موحدة، لأحزاب فيها ولاشيع، لأن تلك الأحزاب نمت في ظل الإبتعاد عن تعاليم القرآن الكريم ووصايا رسول الله ﷺ.

... الخاتمة ...

لم أفرغ من دراسة نصٍّ من نصوص آل محمد ﷺ إلاَّ وجدتني كآني لم أبدأ بعدُ في دراسته، وكأنَّ تلك النصوص بحور تزخر بالآلئ والجواهر ما إن يستخرج المرء منها كنزاً حتى يجد أنَّ الكنوز الأخرى تنتظر من يستخرجها، فيخرج بكنزه وعينه إلى البحر. ولقد وجدت بعد الإنتهاء من استقراء المقاصد التي رغبت السيدة فاطمة الزهراء ﷺ إيصالها إلى المخاطبين، مقاصد كثيرة ربَّما أعود إليها كرة أخرى، ولا أريد استعراض تلك المقاصد فقد ذكرتها بقدر من التفصيل ولكنَّ النتائج الكبرى التي خرجت بها من هذا البحث يمكن استنباطها من المقاصد نفسها وأهمها:

١. أنَّ السيدة فاطمة الزهراء ﷺ امرأة ليست كغيرها من النساء في علمها، ومعرفتها، وسعة مداركها، فلم أقرأ في تاريخ النساء عن امرأة تعرف كلَّ هذه المعارف في عصر متقدم من عمر الإسلام، وتاريخ ظهور تلك العلوم، ولكنها حُجبت عن الدرس العلمي لأسباب سياسية وما زال كثير من الفرقاء يسخطون لظهور دراسات عن هذه العالمة العظيمة؛ لذا أرى أن هذه الشخصية ينبغي أن تنال حظها من الدراسة والتحليل، وأن تكون المثل الأعلى لكل امرأة في العالم الإسلامي.

٢. أثبتت السيدة فاطمة الزهراء ﷺ أنَّها من دعاة وحدة الإسلام، وبقاء المسلمين يداً واحدة، وذلك بالتمسك بالقرآن الكريم وسنة النبي محمد ﷺ وتطبيق ما ورد فيهما بمعرفة وعلم من غير تحريف أو تغيير لمفاهيمهما، لأنَّ الابتعاد عن نصوص القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وأفعال الرسول

ﷺ، وسننه يؤدي إلى الفرقة والاختلاف لأن القرآن والسنة لهما من يصونهما ويرعاهما ويسير في ضوء ما يدعوان إليه، وأن التفسير المنحرف للقرآن والسنة له من يطبل ويزمر، لأنه طريق الشيطان، وهذا التفاوت في الفهم والقصد يؤدي إلى التفرقة والشتات، فتفترق الأحزاب ويحدث الشقاق، ويظهر النفاق.

٣. اتضح من مقاصد الخطبة أن السيدة فاطمة الزهراء ﷺ متفقهة في الدين، لذا خاضت في موضوعات فقهية لا يخوض فيها إلا العالم المجتهد، في زمن كان الفقه في ذلك الزمن محصوراً بعدد قليل من المسلمين الأوائل ومنهم علي بن أبي طالب ﷺ وهو أفقههم بشهادة رسول الله ﷺ، ومنهم أصحاب رسول الله ﷺ المخلصون.

٤. أنها ﷺ كانت تريد أن تواصل ما بدأه أبوها ﷺ بترسيخ قيم الإسلام في نفوس المسلمين، وبناء أمة مؤمنة بالإسلام الداعي إلى العدل، وتقديم الأصلاح، ووضع الرجل المناسب في المكان الذي يؤهله له علمه وجهاده، وقدراته التي وهبها له الله.

٥. كانت السيدة فاطمة الزهراء ﷺ ذات عقلية ناقدة ترن الأمور بموازين دقيقة، فتصنّف المسلمين إلى من لا يخاف في الله لومة لائم وظل على الطريق القويم، ومن جاهد في الله، وخدم الإسلام، ثم أغرته الحياة الدنيا فأخلد إلى الخفض، ومنهم المنافق الذي كان يستر كرهه وحقده وحين دعاه الشيطان خفّ إليه مسرعاً مطيعاً مدعناً.

٦. كانت السيدة فاطمة الزهراء ﷺ ذات ذاكرة قوية، وقدرة فائقة على ربط الأحداث، فحين رأت الأعناق تشرئب إلى الأعلى ليقفز من يريد أن يقفز، ويرد غير مشربه، ويسم غير إبله، ذكّرتهم بما كانوا عليه قبل الإسلام، وما أحدثه

أبوها ﷺ من تغيير في حياتهم الاقتصادية والاجتماعية والفكرية، وما أوصاهم به، لكنهم نسوا الوصايا وهرعوا إلى الحكم يختصمون.

٧. يتضح لي من المقاصد التي أرادت السيدة فاطمة الزهراء ﷺ أن توصلها إلى المجتمع الإسلامي أنها تتمتع بشخصية قيادية موهوبة، لما قدّمته من نقدٍ تقويمي لرجال من الأنصار والمهاجرين، وما عرضته من عيوب ومآخذ لايجرؤ على قولها كثير من الرجال، وتشخيصها السليم لنفوس عدد من المخاطبين، وكشفها عن كثير من الوقائع والأحداث التي جرت قبل وفاة رسول الله ﷺ وبعد وفاته، فكان حديثها حديث الفائد الواثق من صحة ما يقول لأنها تقيس الأمور بمعايير القرآن الكريم، وقيم الإسلام السليمة التي تعلّمتها من قائد الأمة رسول الله ﷺ وأرى أنّ معرفتها بوجود من هو أقدر منها في القيادة، الذي ولّاه الله أمور المسلمين، وولاه رسول الله ﷺ في أكثر من مناسبة وفي أكثر من حديث وأشهرها حديث الغدير، وهو علي بن أبي طالب ﷺ، هو الذي جعل لها شأنًا آخر غير هذا الشأن؛ فانصرفت إلى الإرشاد والتربية، ومتابعة الأمور حتى انتقلت إلى جوار ربّها.

وخلاصة ما تمخّض عنه هذا البحث هو أنّ هذه الخطبة القصيرة كشفت أموراً عظيمة أرادت السيدة فاطمة الزهراء ﷺ أن تحتلّ مساحة واسعة من الفكر والتصرف والإجراء لتستوي الأمور على ساقها، ويعود الدين إلى ما دعا إليه أبوها ﷺ وكانت ترى أنّ الحلّ السليم لكلّ ما رأته من مآخذ هو أن يلي الأمر من هو أهل لولايته.

١. كتاب العين ٥٤ / ٥ مادة قصد.

٢. مفردات ألفاظ القرآن ٦٧٢.

٣. ينظر نظرية الفعل الكلامي ٨٥ - ٨٦.

٤. التفكير اللساني في الحضارة العربية ١٤٦.
٥. المغني في التوحيد / القاضي عبد الجبار ١٦ / ٣٤٧.
٦. نظرية القصد ٥٢.
٧. ينظر علم النص ٣٢٤، ٣٩٢.
٨. النص والخطاب والإجراء ١٠٣.
٩. نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ٧٩.
١٠. استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ١٨٨.
١١. أصول الكافي ٢ / ٣٨٣.
١٢. شرح نهج البلاغة ١٠ / ٢٩٤.
١٣. أصول الكافي ١ / ٥٨.
١٤. أصول الكافي ٢ / ٦٣.
١٥. أصول الكافي ٢ / ٨٢.
١٦. الأمالي / الطوسي ١١٩.
١٧. شرح نهج البلاغة ٩ / ١٩٢.
١٨. المصدر نفسه ٢٠ / ٤٣٠.
١٩. الشرح مازال مخطوطاً.
٢٠. الأمالي أو المجالس لابن بابويه ٣٥.
٢١. الفصول المهمة في معرفة الأئمة ٦٦٤-٦٦٥.
٢٢. شرح نهج البلاغة ١٣ / ١٣٩.
٢٣. المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٥ / ٨١.
٢٤. ينظر الكشف للزنجشري ١ / ٦٢٤ وجمع البيان للطبرسي ٦ / ٢١٠ - ٢١٢.
٢٥. شرح نهج البلاغة ١٨ / ٣٧٩.
٢٦. أصول الكافي ١ / ٣٢٧.
٢٧. الفصول المهمة في معرفة الأئمة ٢٤٠-٢٤١.
٢٨. شرح نهج البلاغة ٩ / ٢٢٤.
٢٩. شرح نهج البلاغة ١٦ / ٢٧٣.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
١. استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٤.
 ٢. أصول الكافي: الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب (٣٢٨هـ) منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
 ٣. الأمالي أو المجالس: ابن بابويه، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت ٣٨١هـ) منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
 ٤. التفكير اللساني في الحضارة العربية: د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٨٦.
 ٥. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا بيروت - لبنان ١٤٢٨هـ ٢٠٠٨م.
 ٦. الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ابن الصبّاغ، علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي (ت ٨٥٥هـ) تحقيق سامي الغريزي، مطبعة سرور، قم، إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
 ٧. كتاب العين: الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥) تحقيق د. مهدي المخزومي، و
 - د. إبراهيم السامرائي، دار الشؤون الثقافية، وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٦.
 ٨. الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ) انتشارات طهران.
 ٩. مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (من علماء القرن السادس) تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت / لبنان ١٣٧٩هـ.
 ١٠. المغني في أبواب التوحيد والعدل: إملاء القاضي عبد الجبار، أبي الحسن الأسد أبادي (ت ٤١٥هـ) تحقيق أمين الخولي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ.
 ١١. مفردات ألفاظ القرآن: الأصفهاني، الراغب (ت ٤٢٥هـ) تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ.
 ١٢. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: د جواد علي، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ١٩٩٣م ساعدت جامعة بغداد على طبعه.

١٣. نحو النص اتجاه جديد في الدرس
النحوي: دأحمد عفيفي، الناشر مكتبة
زهراء الشرق، القاهرة، الطبعة الأولى
٢٠٠١.

١٤. النص والخطاب والإجراء: روبرت دي
بوجراند، ترجمة تمام حسان، الناشر عالم
الكتب، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى
١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١٥. نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة
الحديث والمباحث اللغوية في التراث
العربي الإسلامي: هشام إ. عبد الله
الخليفة، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة
المصرية العالمية لونغمان، الطبعة الأولى
٢٠٠٧.

١٦. نظرية القصد عند القاضي عبد الجبار
المعتزلي: ليل عباس خميس، ديوان الوقف
السني، مركز البحوث والدراسات
الاسلامية، سلسلة الدراسات الإسلامية
المعاصرة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

الصُّورَةُ التَّكْمِلِيَّةُ
بَيْنَ مَقَامِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام
وَفَلَسَفَةِ تَسْمِيَّتِهَا فِي فِكْرِ الْمَعْصُومِ عليه السلام
الإمام الصادق عليه السلام أُنُودَجًا

**Portrayal of Totality
between the Niche of
Fatima Al-Zahra Peace be upon her
and the Philosophy of Her Name
in the Mindset
of the Infallible Imam Al-Sadiq
peace be upon him**

أ.د. حَمِيدُ سِرَاجِ جَابِرٍ

جامعة البصرة . كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

Prof. Dr. Hameed Siraj Jabir
Department of History
College of Education for Humanist Sciences
Basra University

خضع البحث لبرنامج الاستئلال العلمي

Turnitin - passed research

ملخص البحث

الدراسة التي بين أيدينا تبحث في مقام الزهراء عليها السلام وصلة ذلك بتسميتها فيما روي عن الإمام الصادق عليه السلام، وهو يعكس الصورة التي يرى بها أئمة أهل البيت عليهم السلام جدتهم سيدة نساء العالمين عليها السلام ببيان مقامها وأسباب تسميتها، وهي ليست مجرد أسباب وإنما هي فلسفة سببية دالة على ذلك المقام، أو بصورة أخرى دراسة التكامل بين المقام والتسمية من حيث الدلالة والانعكاس.

ABSTRACT

The current study delves into what Imam Al-Sadiq broaches about Al-Zahra concerning her niche and the philosophy of her name. It is the manipulation of an infallible imam reflecting the grandmother, the lady of ladies in the universe, a portrait the Ahalalbayt Imams ponder over and justify her niche and name. They are not mere reasons, yet it is a causative philosophy designating such a nexus between the niche and the name in light of semantics and connotation.

... المقدمة ...

من البدهة القول إن أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام في السيدة الزهراء عليها السلام تختلف من حيث الشكل والمضمون عن طرح من دونهم، غير أن هذا لا يعني بأي حال من الأحوال الدعوة لترك الكتابة في سيدة نساء العالمين عليها السلام لاسيما دراسة أقوال الأئمة عليهم السلام في حقها فهم مصدر أساس للمعلومة عنها عليها السلام. وما نقصده هنا أن أئمة أهل البيت عليهم السلام تعاملوا مع الأمور على وفق المبدأ والهدف المبتغى من المطروح، لا على وفق منطلق يتأثر بالإيديولوجية السلبية والإيجابية بالنسبة للمادة، أو يتأثر بالأدوات التي يستخدمها الباحث وهي أدوات تختلف من شخص لآخر، ومن ثم فإن هناك اختلافات مادية ومعنوية بين الطرحين تصب في النهاية لصالح طرح الأئمة عليهم السلام ومنه لصالح البحث العلمي. ما يعيننا هنا هو دراسة هيكلية متكاملة عن الزهراء عليها السلام في طرح أحد الأئمة عليهم السلام لأن هذه الهيكلية غير المشوبة بمعلومات خارجية قد توصلنا إلى أمور عدة:

١. دراسة هدف المادة إلى جانب مضمونها العلمي فطرح الأئمة عليهم السلام كما أسلفنا له هدف ومضمون.
٢. التكامل والترابط في المادة المطروحة لأنها ضمن سلسلة واحدة ومن منبع واحد ولهدف واحد.
٣. المصدقية التي تعتمد بالأساس على شخصية الطارح للمادة، وبالتأكيد فإن كون الإمام المعصوم عليه السلام هو صاحب الطرح فأن ذلك يرسم صورة المصدقية بأبهى شكل، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن هذا المنطق ينطبق على ما يثبت صدوره من الإمام المعصوم وفق السياقات العلمية المعتمدة.

الدراسة التي بين أيدينا تبحث في طرح الإمام الصادق عليه السلام عن الزهراء عليها السلام بخصوص مقامها وكذلك فلسفة تسميتها، وهو طرح معصوم يعكس الصورة التي يرى بها أئمة أهل البيت عليهم السلام جدتهم سيده نساء العالمين عليها السلام ببيان مقامها وأسباب تسميتها، وهي ليست مجرد أسباب وإنما هي فلسفة سببية دالة على ذلك المقام ومكملة له، أو بصورة أخرى دراسة التكامل بين المقام والتسمية من حيث الدلالة والانعكاس.

أولاً: مقام السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في فكر الإمام الصادق عليه السلام

١) الترابط بين المقام الدنيوي والأثر الأخروي

ليس من الغريب أن نجد مقامات الزهراء عليها السلام في الدنيا مؤسسة ومؤثرة في مقامها الأخروي ولاسيما أن أهل البيت عليهم السلام دائماً كانوا يؤكدون أن الدنيا مزرعة الآخرة وهو الأمر الذي أرادوا به تربية المجتمع، ومن هنا طرح الإمام الصادق عليه السلام هذا المفهوم في حياة الزهراء عليها السلام، وبالخصوص في مقامها الذي تجسد في اقترانها بأمير المؤمنين علي عليه السلام، وأثره الأخروي على محبيها ومبغضيها كثمرة من ثمرات هذا الزواج، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال ((إن الله تعالى) أمهر فاطمة عليها السلام ربع الدنيا، فربعها لها، وأمهرها الجنة والنار، تدخل أعداءها النار، وتدخل أولياءها الجنة، وهي الصديقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأول))^(١).

إن قراءة دقيقة لما ذكره الإمام الصادق عليه السلام تضعنا أمام عدة تصورات واقعية يمكن إجمالها بما يأتي:

١. الربط بين المفهوم المادي والمفهوم المعنوي للمهر، وهو ما يمكن أن يكون متناغماً مع جميع المهور بأثرها المادي والمعنوي، إلا أنه مختلف من حيث كونه يمثل بعدي الدنيا والآخرة بخصوص الزهراء عليها السلام، بينما يتعلق الأثر المعنوي للمهر المعروف بجنسه المادي ولا يمكن أن يتجزأ المادي إلى جزأين كما هو مع مهر الزهراء فجزء منه أخروي يقوم على إدخال محبيها الجنة ومبغضها النار. وقد قيل إن فاطمة عليها السلام سألت النبي صلى الله عليه وآله أن يكون صداقها ^(٢) شفاعاً لأمتها يوم القيامة، فإذا صارت على الصراط طلبت صداقها. وهذا المنطق يتناغم تماماً مع مقام السيدة الزهراء عليها السلام التي ربطت بين اقترانها بسيد الوصيين عليهم السلام والشفاعة لشيعتهما وهم أمة الرسول صلى الله عليه وآله، فالطلب إن صح بشكله المادي هذا، أو حتى إن لم يكن على شكل طلب من الزهراء عليها السلام فهو حقيقة واقعة ومرتبطة على ذلك المقام، ولعلنا حينما نرى ثمرة هذا الاقتران المقدس نجد أنها المقياس الذي يقاس عليه المحب من المبغض لأهل البيت عليهم السلام ونقصد الحسن والحسين عليهم السلام وهما تمام أصحاب الكساء، فمبغضهم تدخله الزهراء النار ومحبهم تدخله إلى الجنة، وهذه النتيجة التكاملية تثبت أن مفهوم الصداق المتحقق أخروياً في قضية الزهراء هو أمر مفروغ منه، لأنه ارتبط بأساس قرآني لقوله تعالى ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ ^(٣) وأساس لقوله صلى الله عليه وآله ((فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن غاظها فقد غاظني ومن سرها فقد سرن)) ^(٤) وقوله صلى الله عليه وآله ((الحسن والحسين ريحانتي من الدنيا من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني)) ^(٥) هذا فضلاً عما ورد بخصوص الإمام علي عليه السلام مثل قوله صلى الله عليه وآله ((لا يبغضك إلا منافق ولا يحبك إلا مؤمن)) ^(٦). وينبغي أن لا يفهم الأمر على أنه فرض وقرار من الزهراء عليها السلام ومن ثم الرسول صلى الله عليه وآله دون النظر إلى المشيئة الإلهية في هذا المقام الأخروي فمثلاً زوج الله تعالى النورين فأن عاقبة

هذا الزواج أو آثاره الأخروية هي محددة بأمر الله تعالى، ولكن مع ذلك يمكن أن نطلع على نص مباشر يبين أن الزهراء عليها السلام طلبت من أبيها عليه السلام أن يدعو الله بذلك إذ ورد قولها له عليها السلام ((... وتدعوا لله تعالى أن يجعل مهري الشفاعة في عصاة أمتك، فنزل جبريل عليه السلام ومعه بطاقة من حرير مكتوب فيها: جعل الله مهر فاطمة الزهراء شفاعة المذنبين من أمة أبيها، فلما احتضرت أوصت بأن توضع تلك البطاقة على صدرها تحت الكفن فوضعت، وقالت: إذا حشرت يوم القيامة رفعت تلك البطاقة بيدي وشفعت في عصاة أمة أبي))^(٧). وما يهمننا من هذه الرواية هو التأكيد أن الأمر يتعلق بالدعاء للباري عز وجل أن يشفع الزهراء في الأمة يوم القيامة وهو أثر تكاملي مترتب على قيمة مهرها عليها السلام ومقامها في الدنيا بزواجها من الإمام علي عليه السلام.

٢. إن المراد من القرون هي قرون جميع الأنبياء والأوصياء وأممهم من آدم فمن دونه حتى خاتم الأنبياء (صلى الله عليهم أجمعين) يعني ما بعث الله عز وجل أحدا من الأنبياء والأوصياء حتى أفرؤا بفضل الصديقة الكبرى ومحبتها^(٨) وقد ذكر أئمة أهل البيت عليهم السلام مكانة الزهراء عليها السلام وأفضليتها عند الأمم الماضية وكيف أن الله تعالى قد بين مقامها عند السالفين^(٩).

٣. أشار الإمام عليه السلام إلى أن الزهراء عليها السلام هي الصديقة الكبرى لكي يميز ويؤكد أفضليتها ومقامها بالنسبة لمن عرفن بالفضل لذا قال (الكبرى) ولم يكتف بالصديقة وهو من أسماؤها عند الله كما سيمر.

(٢) أسماء الزهراء عليها السلام عند الله تعالى مصداق مقاماتها

ذكر الإمام الصادق عليه السلام مجموعة أسماء للزهراء عليها السلام تمثل مقاماتها عند الله تعالى إذ قال عليه السلام: ((لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عز وجل: فاطمة، والصديقة،

والمباركة، والطاهرة، والزكية، والرضية، والمرضية، والمحدثه، والزهراء^(١٠). وقد ورد اسم الراضية بدل المرضية عند بعضهم^(١١) وكذلك المدبوبة بدل الصديقة^(١٢). والذي يطالع هذه الأسماء التي ذكرها الإمام عليه السلام يجد أنها ناطقة بجمله أمور فضلا عن الفكرة الأساس منها وهي مقام السيدة الزهراء عليها السلام، وهذه الأمور هي:

١. إن قول الإمام عليه السلام هذا هو ترجمة فعلية لما مرّ سابقا بخصوص مقام الزهراء عليها السلام، ويمكن أن يكون مكمل له ودالاً عليه.

٢. إن هذه الأسماء توحى بمقامات متعددة ومتكاملة في الوقت نفسه، فاسم فاطمة اندمج بالأسماء الدالة على صفاتها عليها السلام مما يعني أن هذا الاسم يحمل كل الأسماء أو الصفات الأخرى المتعلقة بتلك الأسماء.

٣. إن وصف الإمام عليه السلام هو أكبر من مجرد وصف وإنما هو جواب لأحداث عدة ولأسئلة كثيرة تخص حياة الزهراء عليها السلام.

٤. إن هذا العدد من الأسماء قد يحمل دلالات معنوية لا يتأتى للباحثين إدراك كنهها وإنما نستطيع القول في الأقل إنها تمثل مقاما إضافيا للزهراء عليها السلام.

٣) معرفة فاطمة عليها السلام إدراك للخيرات

هناك الكثير مما قيل في السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وبما يبين مقاماتها الكثيرة، ومنها ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام متناغما مع ما مرّ من أسماء مقاماتها الإلهية، غير أن الإمام عليه السلام ولكي يكمل الهدف والهيكلية مما يطرحه عن الزهراء عليها السلام نجده بحسب ما ذكره فرات الكوفي في تفسيره، يذكر لنا مقاما جديدا صورته القرآن الكريم فهو عليه السلام يذكر أن قول الله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(١٣) يتعلق بالزهراء عليها السلام فالليلة: فاطمة، والقدر: الله، فمن عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر^(١٤).

وقد يعترض معترض على هذا التفسير المباشر الذي لم تذكره التفاسير الأخرى، وإن كان قد ورد في بعضها وفي مصادر أخرى، وربما نتفق من هذه الناحية على عدم وجود مثل هذا الطرح المباشر في التفاسير الأخرى، إلا أن ما يعيننا هنا أن ندرس مفهوم هذا التفسير ومدى انطباقه على مقامات الزهراء عليها السلام، فتارة يكون تفسير الآية بهذا الشكل يخالف المعروف عن تلك المقامات وتارة أخرى يكون التفسير يتواءم ويتناغم معها وهناك اختلاف بين الأمرين، فما نقل عن الإمام عليه السلام من النوع الثاني الذي يتواءم مع مقامات الزهراء عليها السلام ويمكن ملاحظة ذلك من جملة أمور:

١. إن معرفة الزهراء عليها السلام ومقامها هو كما أسلفنا سير في طريق الحق، وهذا قد عكس في ذلك التفسير أيضا.
٢. لا ريب أن إدراك ليلة القدر يتم وفق شروط وكمالات يصلها الإنسان، والثابت أن ولاية أهل البيت عليهم السلام أحدها وجزء مهم منها فاطمة الزهراء عليها السلام.
٣. إن الآية تشير إلى القرآن الكريم ولكن لا ينبغي أن نفهم أن المقصود هو الكلام المجرد، وإنما مع معانيه ودلالاته التي مثلتها مصاديق عدة كانت الزهراء عليها السلام إحداها.
٤. محصلة القول ونتيجته أن معرفة فاطمة عليها السلام وأئمة الهدى عليهم السلام هي معرفة الله تعالى.

٤) تحريم ذريتها عليها السلام على النار

من الأمور الأخرى التي طرحها الإمام الصادق عليه السلام في بيان مقامات الزهراء عليها السلام ما ذكره في بيان معنى قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ ^(١٥) إذ قال عليه السلام ((... إن فاطمة لعظمتها على الله حرم الله ذريتها على النار، وفيهم نزلت... فإما الظالم لنفسه

فالذي لا يعرف الإمام عليه السلام والمقتصد العارف بحق الإمام عليه السلام، والسابق بالخيرات هو الإمام عليه السلام ^(١٦). والكلام بمعنى آخر هو عن معرفة حق الإمام عليه السلام من عدمه أي الإيمان بذلك فالظالم لنفسه منا حسب تعبير الرواية هو من لا يعرف حق الأمام عليه السلام والمقتصد منا من يعرف حق الإمام عليه السلام والسابق بالخيرات هو الأمام عليه السلام وهؤلاء كلهم مغفور لهم ^(١٧) وهذه المغفرة هي التي تعيننا لأنها تتعلق بها أشرنا إليه من مقام للزهراء عليها السلام وهو أن الله تعالى حرّم ذريتها على النار.

وينبغي أن نرد الإشكالات التي قد تطرح على هذا الأمر ولا سيما ما يخص المغفرة المطلقة والتي ربما تتعارض مع الناموس الشرعي والطبيعي، فقد أكدت الشريعة أن العمل هو أساس الجزاء فكيف نطابق بين هذا الأمر وما ذكر عن ذرية الزهراء عليها السلام.

وهنا يجب أن نوضح أن الإطلاق لم يكن حاضرا في هذا المقام وإنما بالشرط والشروط، فلا يعني هذا الكلام أن الضال المضل من تلك الذرية تنطبق عليه هذه الآية والمفهوم وإنما ما عداه فقط، ففي قول ثانٍ عن الإمام عليه السلام وكأنه يعالج ما قد يثار حول هذه المسألة وحينها سئل عنها وقيل له إنها لولد فاطمة عليها السلام خاصة فقال ((أما من سل سيفه ودعا الناس إلى نفسه إلى الضلال من ولد فاطمة عليها السلام فليس بداخل في هذه الآية قيل من يدخل فيها؟ قال الظالم لنفسه الذي لا يدعو الناس إلى ضلال ولا هدى والمقتصد منا أهل البيت العارف بحق الإمام عليه السلام والسابق بالخيرات الإمام عليه السلام ^(١٨). والأمر المهم الذي ربما لم يتوضح بما ورد من المعنى الذي ذكره الإمام الصادق عليه السلام هو ما يتعلق بالمصطفين الذين ذكروا في الآية الكريمة وهم آل محمد عليهم السلام كما أكدت التفاسير ^(١٩) وبهذا يكون من السهل فهم ما أراده الإمام عليه السلام من بيانه لذلك المعنى، إذ إن هذه الذرية جاءت بالآية نفسها بعد أئمة أهل البيت عليهم السلام فيكون

ذلك التقسيم لإكمال الصورة وليبيان مقام الزهراء عليها السلام. وبالمحصلة النهائية بعد بيان أن المصطفين هم أئمة أهل البيت عليهم السلام فإن ما تلاهم من ذرية فاطمة بحسب ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام ينقسم على أقسام:

١. الظالم لنفسه: وهو من آل محمد عليهم السلام غير الأئمة ممن لا يدعوا الناس للضلال^(٢٠).
٢. المقتصد: وهو المقرب للإمام عليه السلام.
٣. السابق بالخيرات بإذن الله وهو الإمام عليه السلام.

لذا فقد كانت العاقبة التي أشرنا إليها هي تحريم هذه الذرية على النار وهو ما أشار له الإمام الصادق عليه السلام صراحة في مقامات الزهراء عليها السلام، ومن هنا ورد قوله تعالى في تلك العاقبة ﴿جَنَاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾^(٢١) فتكون الآيات بالتتابع ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾، ﴿جَنَاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾^(٢٢).

٥) عدم وجود كفاء لفاطمة عليها السلام

أشرنا أن نؤخر هذا المقام وأن لا نضممه بما ذكرناه عن مهرها سابقا لكونه يمثل استقلالية وخصوصية وله من الدلالات الكثيرة التي أراد الإمام الصادق عليه السلام الإشارة إليها حينما قال عن فاطمة عليها السلام ((لولا أن أمير المؤمنين عليه السلام تزوجها لما كان لها كفاء على وجه الأرض إلى يوم القيامة، آدم فمن دونه))^(٢٣). وهذا ما أكده رسول الله صلى الله عليه وآله من مكانتها^(٢٤). وقد طرح الإمام الصادق عليه السلام الأمر هنا لبيان المقام العالي للإمام علي ولفاطمة عليها السلام، فلم يكن الأمر متعلقا بالبشر مع علو مقامهم وإنما هو أمر

ووصف إلهي، وكان هذا هو رد الرسول ﷺ حينما عاتبه رجال قريش فعن علي ﷺ قال: ((قال لي رسول الله ﷺ: يا علي لقد عاتبني رجال قريش في أمر فاطمة وقالوا: خطبناها إليك فمنعتنا وزوجت عليا فقلت لهم: والله ما أنا منعتكم وزوجته بل الله تعالى منعكم وزوجه فهبط علي جبرائيل ﷺ فقال: يا محمد إن الله جل جلاله يقول: لو لم أخلق عليا ﷺ لما كان لفاطمة ابنتك كفاء علي وجه الأرض آدم فمن دونه))^(٢٥). ومعلوم أن جواب الرسول ﷺ لرجال قريش لا يعني أنه رافض لتزويجها من الإمام علي ﷺ وإنما أراد أن يوصل لهم عدداً من الرسائل:

١. إن لعلي بن أبي طالب ﷺ مقاماً عند الله تعالى لن يصل إليه أحد منكم.
٢. أنكم لستم على درجة أن تكونوا كفواً لفاطمة ﷺ.
٣. إن زواج السيدة الزهراء ﷺ يمثل مرحلة إعداد لمستقبل الدين الإسلامي لذا فإن الذي يتحكم به الأوامر الإلهية فقط.

ومعنى قول الإمام الصادق ﷺ ((لما كان لها كفاء علي وجه الأرض إلى يوم القيامة، آدم فمن دونه)) هو أن فاطمة ﷺ أفضل من آدم فمن دونه مع قطع النظر عن حرمة النكاح أو حله، فلا يرد أنها ﷺ كانت حراماً على آدم ﷺ وإذا كانت هي ﷺ أفضل من الرجال كانت أفضل من النساء أيضاً^(٢٦). وهذا أيضاً ربط بين مقامها الدنيوي ومقامها الأخروي، فكل مقاماتها ﷺ تكاملية وهو الأمر الذي سنلمسه بشكل واضح مع فلسفة تسميتها وتكامل ذلك مع مقاماتها التي ذكرناها.

ثانياً: فلسفة تسمية فاطمة الزهراء ﷺ

قد يكون الظاهر والواقع أن الاسم واللقب في الظروف والبيئات الطبيعية هو علامة ودلالة وربما معنى إجمالي يعكس المحبة أو الشكل والصورة أو ما إلى ذلك من

أمور، إلا إنه مع السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام يمثل دلالات مختلفة تماماً فهي دلالات ومقامات إلهية، صورها وبينها الإمام الصادق عليه السلام ليوصل الناس إلى حقيقتها ليحقق الهدف منها، لذا فإن فلسفة تسمية فاطمة الزهراء عليها السلام بجزأيا (فاطمة) (الزهراء) تمثل صورة تكاملية مع مقاماتها المتعددة بشكل كاشف عن هدف الصادق عليه السلام في بيانها، إذ وردت الكثير من المعاني التي طرحها الإمام عليه السلام عن معنى فاطمة الزهراء عليها السلام، وتعدد هذه المعاني والدلالات لا يعني صحة احدها وعدم صحة الآخر بقدر ما يعني التكاملية والترابط فجميعها دالة على مقامات السيدة الزهراء عليها السلام، ويمكن دراسة هذه الفلسفة إجمالاً كما طرحها الإمام عليه السلام بالآتي:

(١) فلسفة تسميتها فاطمة ودلالاتها في مقامها

إن لتسمية السيدة فاطمة عليها السلام بهذا الاسم دلالات على مقامها بل إن هذه التسمية جزء من الصورة التكاملية مع ذلك المقام ويمكن أن نفهم هذا الأمر من الفلسفة التي حددها الإمام الصادق عليه السلام والتي جاءت على النحو الآتي:

أ: فطمت من الشر: وهذه الفلسفة تخرج عن المسمى اللفظي لمصطلح (الشر) وتدخل في إطاره المعنوي الشامل الذي لا يتحدد بصورة معينة من الأفعال المعاكسة للخير والحق عموماً إذ قال الإمام الصادق عليه السلام لأحد أصحابه: ((تدري لأي شيء سميت فاطمة؟ قلت: أخبرني يا سيدي، قال: فطمتن الشر))^(٢٧). وبالتأكيد فإن الفطام هو القطع^(٢٨) ولا نعتقد بأن هذا الطرح يحتاج إلى تعليق أكثر من الإشارة إلى أن اسم فاطمة عليها السلام وحسب هذه الفلسفة يمثل رداً على من حاول تغليب أفكار بعض المتسلطين بعد استشهاد الرسول صلى الله عليه وآله، وتصحيح تصرفاتهم مع السيدة الزهراء عليها السلام غير أن فطامها عن الباطل ولزومها للحق يخرس الألسن ويعيد الحق إلى نصابه.

ب: الخلق فطموا عن معرفتها: تمثل هذه الفلسفة أمراً واقعاً من الناحية المعنوية والوصفية، فقد ذكر الإمام الصادق عليه السلام إنها سميت فاطمة لأن الخلق فطموا عن معرفتها^(٢٩). وهذه الفلسفة التكاملية مع مقاماتها عليها السلام توحى بجملته أمور:

١. إن عدم المعرفة قطعي لذا اصطلح عليه الإمام عليه السلام بالفطام وهو القطع كما أسلفنا.

٢. في الوقت الذي توحى به هذه الفلسفة بالانحدار العقائدي عند الناس واستحالة معرفتهم لمقام فاطمة عليها السلام، فإنها توحى بعظم ذلك المقام أيضاً.

٣. قد تعكس هذه الفلسفة إطاراً مادياً يمثل الواقع لما حدث بعد استشهاد الرسول صلى الله عليه وآله وكيف ظلمت الأمة فاطمة عليها السلام وانحدرت ذلك الانحدار الذي يدل على عدم معرفتهم بالزهراء عليها السلام ومقامها، ومن ثم كيف حرّموا من بركاتها وشفاعتها وتشيعها قبل ذلك^(٣٠).

٢) فلسفة تسميتها بالزهراء

ارتبط هذا الاسم بدلالات وفلسفات لا تختلف عما ذكرناه عن اسم فاطمة إلا أنه قد يكون مفصلاً ومتشعباً بعض الشيء كما طرحه الإمام الصادق عليه السلام من حيث فلسفته السببية:

أ: لأن الله تعالى خلقها من نور عظمته: إن هذه الفلسفة تتناغم في الطرح مع ما مرّ من أمور إذ إن لها ما يعضدها مما سلف ويمكن إجمال الأفكار المعضدة لهذا الطرح بما يأتي:

١. أن للزهراء عليها السلام مقامات لا يمكن أن يعرفها الخلق، وهنا لا بد أن يكون الخالق جل وعلا خلقها من نور عظمته حتى تكون لها هذه المقامات الإلهية.

٢. أنها مقطوعة من الباطل ومحددة بمسار الخير والحق وهو المسار الإلهي، وهذه من صفات نور العظمة الإلهية على أهل بيته عليهم السلام.

٣. إنها اختصت بالأسماء الإلهية التي ذكرها الإمام الصادق عليه السلام والتي مرت علينا وهذا الاختصاص يؤكد ويعضد النور الإلهي.

وقد بين الإمام الصادق عليه السلام فلسفة تسميتها بالزهراء حينما سئل: لم سميت فاطمة الزهراء زهراء؟ فقال عليه السلام: لأن الله عز وجل خلقها من نور عظمته فلما أشرقت أضواء السموات والأرض بنورها وغشيت أبصار الملائكة وخرت الملائكة ساجدين وقالوا: إلهنا وسيدنا ما لهذا النور فأوحى الله إليهم هذا نور من نوري أسكته في سمائي خلقتة من عظمتي أخرجته من صلب نبي من أنبيائي أفضله على جميع الأنبياء وأخرج من ذلك النور أئمة يقومون بأمر يهدون إلى حقي واجعلهم خلفائي في أرضي بعد انقضاء وحيي ^(٣١).

وقد عرفت كل هذه المراحل في حياة الزهراء وأئمة أهل البيت عليهم السلام فهي ليس من باب الاستغراب أو التعجب بل دالة ومكملة لتلك الفلسفة ويمكن دراسة تلك المراحل التي ذكرها الإمام الصادق عليه السلام تعصيماً لهذه الفلسفة بما يأتي:

١. إن طينة الزهراء ومن ثم أهل البيت عليهم السلام خلقت من نور عظمة الله تعالى.

٢. إن نورهم يغلب على كل المخلوقات ومنها الملائكة.

٣. تأكيد أصل من أصول الدين وهو النبوة وبالخصوص خاتم الأنبياء عليه السلام وأفضليته.

٤. الإمامة مرحلة تالية للنبوة بأئمة هداة هم جزء من هذا النور.

ب: لأن نورها يزهر في محرابها لأهل السماء: هذه الفلسفة تكاد تكون مرتبطة بالفلسفة السببية السابقة وهي النور الإلهي عند فاطمة عليها السلام إذ نقل عن أحد صحابة الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن فاطمة لم سميت الزهراء؟ فقال عليه السلام: لأنها كانت إذا قامت في محرابها أزهر نورها لأهل السماء كما تزهر نور الكواكب لأهل الأرض^(٣٢). وهذا تجسيد للنور الإلهي في عبادتها عليها السلام فالعبادة هنا هي مصداق لمقامها، فقد دل هذا القول على أمرين:

١. مقام عبادتها عليها السلام بالنسبة للخلق وآثار هذه العبادة على من وصفوا بالعبادة أنفسهم وهم الملائكة.

٢. أن هذا النور هو استحقاق لتلك المقامات فهي عليها السلام قد اختارت الخضوع لله تعالى وعرفته حق معرفته.

لذلك فقد عكست هذه التسمية تلك الفلسفة السببية التي تقوم على عبادة الزهراء عليها السلام وآثارها فضلا عن خضوعها للباري عز وجل واستحقاقها كل الكرامات والمقامات الإلهية.

ت: لأن لها في الجنة قبة ياقوت حمراء: النوع الآخر من أنواع الفلسفة السببية لاسم الزهراء كما يصوره الإمام الصادق عليه السلام نستطيع أن نصلح عليه الفلسفة ذات الأبعاد المتعلقة بالعاقبة، أي مقام الزهراء عليها السلام في الجنة، إذ قال عليه السلام جوابا عن سؤال سبب تسمية الزهراء عليها السلام: ((لأن لها في الجنة قبة من ياقوت حمراء ارتفاعها في الهواء مسيرة سنة معلقة بقدره الجبار لا علاقة لها من فوقها فتمسكها، ولا دعامة لها من تحتها فتلزما لها مئة ألف باب على كل باب ألف من الملائكة، يراها أهل الجنة كما يرى أحدكم الكوكب الدرّي الزاهر في أفق السماء، فيقولون: هذه الزهراء لفاطمة عليها السلام))^(٣٣). والملاحظ أن هناك قواسم مشتركة بين هذا السبب والسبب السابق ولا

سيما ما يتعلق بنورها عليها السلام الذي يشبه الكواكب حينما يراها أهل الأرض، وأن تأثر الملائكة وطاعتهم في كلتا الروايتين يدل على وحدة السبب وعلاقته بالعاقبة ومن ثم بمقامات السيدة الزهراء عليها السلام.

١. الطوسي: الأمالي ص ٦٦٨. وفي رواية قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((مهر فاطمة في السماء خمس الأرض، فمن مشى عليها مغضبا لها ولولدها، مشى عليها حراما إلى أن تقوم الساعة)). ينظر النهازي الشاهروردي، مستدرک سفينة البحار ٩ / ٥٠٢، المرعشي: شرح إحقاق الحق ١٠ / ٣٦٧ - ٣٦٨. وعن الباقر عليه السلام قال: ((وجعلت نحلتها من علي عليه السلام خمس الدنيا وثلاث الجنة، وجعلت لها في الأرض أربعة أنهار: الفرات، ونيل مصر، ونهروان، ونهر بلخ، فزوجه أنت يا محمد بخمسمائة درهم تكون سنة لامتك)). ينظر النهازي الشاهروردي، مستدرک سفينة البحار ٩ / ٥٠٢.
٢. المرعشي: شرح إحقاق الحق ١٠ / ٣٦٧ - ٣٦٨.
٣. الشورى / ٢٣.
٤. المجلسي: بحار الأنوار ٢٧ / ٦٢.
٥. ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ٣ / ١٥٤.
٦. المجلسي: بحار الأنوار ٢٩ / ٦٤٥.
٧. المرعشي: شرح إحقاق الحق ١٠ / ٣٦٧ - ٣٦٨.
٨. الشيخ أبو الحسن المرندي: مجمع النورين ص ٤٠.
٩. ينظر احمد فاضل: الأمم القديمة في فكر أئمة أهل البيت عليهم السلام، الفصل الخاص بأفضلية أهل البيت عليهم السلام عند الأمم القديمة.
١٠. الشيخ الصدوق: الأمالي ص ٦٨٨. وينظر الطبري: دلائل الإمامة ص ٨٠.
١١. الفتال النيسابوري: روضة الواعظين ص ١٤٨. وينظر الطبري: دلائل الإمامة ص ٨٠.
١٢. الشيخ الصدوق: الأمالي ص ٦٨٨، الفتال النيسابوري: روضة الواعظين ص ١٤٨.
١٣. القدر (١).
١٤. ص ٥٨١-٥٨٢. وينظر المجلسي، البحار ٤٣ / ٦٥، التريزي الأنصاري: اللمعة البيضاء ص ٩٧-٩٨، الشيخ المسعودي: الأسرار الفاطمية ص ٣٩٠-٣٩١، السيد محمد علي الحلو، ما نزل من القرآن في شأن فاطمة عليها السلام ص ١٢٠.
١٥. فاطر (٣٢).

١٦. الشيخ الحويزي: تفسير نور الثقلين ٤ / ٣٦٤.
١٧. الفيض الكاشاني: التفسير الصافي ٤ / ٢٣٩.
١٨. الفيض الكاشاني: التفسير الصافي ٤ / ٢٣٩.
١٩. القمي: تفسير القمي ٢ / ٢٠٩. وينظر العياشي: تفسير العياشي ٢ / ٢٦٤، فرات الكوفي: تفسير فرات الكوفي ص ١٤٥.
٢٠. الفيض الكاشاني: التفسير الصافي ٤ / ٢٣٩. وقد سماه القمي في تفسيره الجاحد ٢ / ٢٠٩٨. وقيل المراد أورثناهم الإيمان بالكتب السالفة وكان الميراث انتقال الشيء من قوم إلى قوم. والأول أصح. والاصطفاء الاختيار بإخراج الصفوة من العباد، فاصطفى الله المؤمن يحمل على ثلاث طبقات مؤمن ظالم لنفسه بفعل الصغيرة، ومقتصد بالطاعات في المرتبة الوسطى، وسابق بالخيرات في الدرجة العليا، وهم الذين لم يرتكبوا شيئاً من المعاصي، وكل وعد الله الحسنى. ينظر الطوسي: التبيان ٨ / ٤٢٩.
٢١. فاطر (٣٣).
٢٢. فاطر (٣٢-٣٣).
٢٣. الشيخ الصدوق: الأمالي ص ٦٨٨. علل الشرائع ١ / ١٧٨، الشيخ الطوسي: تهذيب الأحكام ٧ القتال النيسابوري: روضة الواعظين ص ١٤٨، الطبري: دلائل الإمامة ص ٧٩-٨٠.
٢٤. وقال رسول الله ﷺ ((إذا كان يوم القيامة تقبل ابنتي فاطمة على ناقة من نوق الجنة مدبجة الجنين خطامها من لؤلؤ رطب قوايمها من زمرد أخضر ذنبها من المسك الأذفر عينها ياقوتتان حراوان عليها قبة من نور يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها)). ينظر القتال النيسابوري: روضة الواعظين ص ١٤٨.
٢٥. الشيخ الصدوق: عيون أخبار الرضا ﷺ ٢ / ٢٠٣.
٢٦. المازندراني: شرح أصول الكافي ٧ / ٢٢٢.
٢٧. الشيخ الصدوق: الأمالي ص ٦٨٨. وينظر القتال النيسابوري: روضة الواعظين ص ١٤٨. الطبري: دلائل الإمامة ص ٧٩-٨٠.
٢٨. فطم: فطم العود فطماً: قطعه. وفطم الصبي يفطمه فطماً، فهو فطيم: فصله من الرضاع. وغلام فطيم ومفطوم وفطمته أمه فطمته: فصلته عن رضاعها. ينظر ابن منظور: معجم لسان العرب ١٢ / ٤٥٤.
٢٩. فرات الكوفي: تفسير فرات الكوفي ص ٨١-٥٨٢، التبريزي الأنصاري: اللمعة البيضاء ص ٩٧-٩٨، الشيخ المسعودي: الأسرار الفاطمية ص ٣٩٠-٣٩١، السيد محمد علي الحلو، ما نزل من القرآن في شأن فاطمة ؑ ص ١٢٠.

٣٠. ينظر الشيخ المسعودي: الأسرار الفاطمية ص ١١٩ .
٣١. الشيخ الصدوق: علل الشرائع ١ / ١٧٩ - ١٨٠ . وقد وردت هذه الرواية أيضا عن جابر بن عبد الله عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ . ينظر الطبري: نوادر المعجزات ص ٨٢ .
٣٢. الشيخ الصدوق: علل الشرائع ١ / ١٨١ ، معاني الأخبار ص ٦٤ .
٣٣. المجلسي: بحار الأنوار ٤٣ / ١٦ . وينظر الشيخ محمد باقر الكجوري: الخصائص الفاطمية ٢٠٦ / ١ .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
١. البروجردي: الحاج آغا حسين الطباطبائي، ت: ١٣٨٣هـ.
 ٢. جامع أحاديث الشيعة، مطبعة العلمية، قم ١٣٩٩هـ.
 ٣. التبريزي الأنصاري، ت: ١٣١٠هـ.
 ٤. اللعة البيضاء، تحقيق سيد هاشم الميلاني، ط ١، مؤسسة الهادي، قم ١٤١٨هـ.
 ٥. الحلو، السيد محمد علي، ما نزل من القرآن في شأن فاطمة عليها السلام، ط ١، طهران ١٤٢١هـ.
 ٦. الحويزي، الشيخ عبد علي جمعة العروسي، ت: ١١١٢هـ ١٧٠٠م.
 ٧. تفسير نور الثقلين، تحقيق: السيد هاشم الرسولي، ط ٤، مؤسسة إسماعيليان، قم، ١٤١٢هـ.
 ٨. الشاهرودي، الشيخ علي النازي، ت: ١٤٠٥هـ.
 ٩. مستدرك سفينة البحار، تحقيق: الشيخ حسن بن علي النازي، مؤسسة النشر الإسلامي (د. ١٤١٨هـ).
 ١٠. ابن شهر آشوب ت ٥٨٨هـ، مناقب آل أبي طالب، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف، مطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٧٦هـ ١٩٥٦م.
 ١١. الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، ت: ٣٨١هـ.
 ١٢. الأمالي، تحقيق: مؤسسة البعثة - قسم الدراسات الإسلامية، ط ١ (د.م) ١٤١٧هـ.
 ١٣. التوحيد، تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، د.ط، د.م، د.ت.
 ١٤. علل الشرائع، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم، مكتبة الحيدرية، النجف ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م.
 ١٥. معاني الأخبار، تحقيق: علي أكبر الغفاري، د.ط (د.م) ١٣٧٩هـ.
 ١٦. الطبري، محمد بن جرير الطبري الشيعي ت ق ٤، نوادر المعجزات، ط ١، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم ١٤١٠هـ.
 ١٧. دلائل الإمامة، ط ١، مؤسسة البعثة، قم ١٤١٣هـ.
 ١٨. الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن، ت ٤٦٠هـ.
 ١٩. تهذيب الأحكام، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان، ط ٣، مطبعة خورشيد، طهران ١٣١٤هـ.
 ٢٠. العياشي، محمد بن مسعود العياشي ت ٣٢٠هـ، تفسير العياشي، تحقيق وتصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران - د.ت.
 ٢١. الفتال النيسابوري: محمد، ت: ٥٠٨هـ.

٢٢. روضة الواعظين، تحقيق: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، قم-د.ت.
٢٣. فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي ت ٣٥٢هـ، تفسير فرات الكوفي، تحقيق محمد الكاظم، ط ١، طهران ١٩٩٠.
٢٤. الفيض الكاشاني: المولى محمد محسن: ١٠٩١هـ ١٦٨٠م.
٢٥. الأصفى في تفسير القرآن، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، ط ١، مطبعة مكتب الأعلام الإسلامي (د.م)، ١٤١٨هـ.
٢٦. تفسير الصافي، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، ط ٢، مطبعة الهادي، قم المقدسة، ١٤١٦هـ.
٢٧. القمي، علي بن إبراهيم القمي ت ٣٢٩هـ، تفسير القمي، تصحيح وتعليق وتقديم: السيد طيب الموسوي الجزائري، منشورات الهدى، النجف ١٣٨٧هـ.
٢٨. الكجوري، الشيخ محمد باقر (ت: ١٢٥٥).
٢٩. الخصائص الفاطمية، ترجمة: سيد علي جمال أشرف، ط ١، انتشارات الشريف الرضي، طهران ١٣٨٠هـ.
٣٠. المازندراني، محمد صالح، ت: ١٠٨١هـ.
٣١. شرح أصول الكافي، تحقيق: الميرزا أبو الحسن الشعرائي، ط ١، مطبعة دار أحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
٣٢. المجلسي، محمد باقر محمد تقي، ت: ١١١١هـ، بحار الأنوار الجامعة لدور أخبار الائمة الأطهار، ط ٢، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٣٣. المرعشي، السيد، شرح إحقاق الحق، تحقيق وتعليق السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، تصحيح السيد إبراهيم الميانجي، قم، د.ت.
٣٤. المسعودي، الشيخ محمد فاضل الأسرار الفاطمية، تقديم: السيد عادل العلوي، ط ٢، قم ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
٣٥. مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، د.ط، د.م، د.ت.
٣٦. ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم، ت: ٧١١هـ.
٣٧. لسان العرب، قم ١٤٠٥هـ.
٣٨. الميرزا النوري، الحاج حسين الطبرسي، ت: ١٣٢٠هـ.
٣٩. مستدرک الوسائل، ت تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث العربي، ط ٢، بيروت ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

التَّاسُ الثَّانِي
فِي خُطْبِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ
وَابْتِهَا زَيْنَبَ عَلَيْهِمَا

**Coherence in the Sermons
of Sayadat. Al-Zahrah
and Her Daughter Zeinab**
Peace be upon them

أَنْسِيَّةُ خَزَعَالِي
جامعة الزهراء عليها السلام
طهران

Prof. Dr. Anisa Khazaali
Al-Zahraa University
Tahran

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research

ملخص البحث

شهد التاريخ في لحظات خطيرة من حياته، حضوراً مؤثراً لنساء أهل بيت النبي ﷺ وسجّل لهن خطباً بليغة خلّدت مظلوميّة أهل البيت ﷺ في زمن حاول أعداء الدين تغيير مسيرة الإسلام حتى كادوا يمحون سنن النبي ﷺ، وآثار أهل بيته الطاهرين ﷺ.

وقد خدمت تلك الخطب الأدب العربي وأثرته إثراءً منقطع النظير. وكانت خطب السيدة فاطمة الزهراء ﷺ وابنتها زينب ﷺ من أروع ما سُمع من بلاغات النساء وتدلّ على عبقرية مثالية فيها بحيث لا يوجد مثلها في الآثار النسوية من جهتي الشكل والمضمون.

والدراسة هذه تعالج خطب ابنة النبي ﷺ وابنتها ﷺ في مواقف صعبة وقاسية وتلقي الضوء على جوانب محدودة من بلاغة النصوص المتدفقة على لسانيهما في تلك الظروف مركزة على ملامح التماسك كالترادف والتضاد والإيقاع الصوتي للألفاظ المتخبة، ومشيرة الى التشابه العميق في كلامهما ومنبّهة على التفاوت في اختلاف الظروف المحيطة بمنشئتي النصّ.

ABSTRACT

The history experiences an impressive presence for the women of Ahalalbayt (peace be upon them) and keeps their eloquent sermons immortal, in time the opponent of the religion endeavours to derail the line of Islam from its course to obliterate the traditions of the prophet (peace be upon him) and the heritage that serve the Arab literature. For the sermons of such ladies heave into view as the most eloquent ones unequal to other feminine efforts neither in form nor in content.

The present study tackles sermons of the daughter of the prophet (peace be upon her) in the hardest and most difficult stances and throws light on certain corners of the texts eloquence flowing from their tongues under these circumstances. In part, the study takes hold of coherence; repetition, synonym, contradiction, rhythm and the chosen expressions, refers to the deep line of mutuality between their acts of speech and cautions against the variety of the circumstances the creators endure.

... المقدمة ...

لقد منّ الله على الناس إذ بعث فيهم رسولاً منهم، وأمره بتعليمهم وتزكيتهم من طريق تبليغ الرسالة والسنة النبوية والإجراءات التطبيقية؛ وبذلك شقّ البيان المحمّدي الطريق وبدأ بالنفوذ في العقول والأفكار من طريق البيان وأثرت النصوص النبوية التي رويت عن النبي محمد ﷺ في النفوس والعقول لأنها من كلمات الوحي وخطاب رب العالمين ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم ٣٤] وأصبح كلامه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق، وأبلغ ما أمره ربه بأسلوب جميل يرتاح المخاطب لاستماعه فدخل في قلوب المسلمين وأثر في نفوسهم خير تأثير. «وإذا كان العرب أمة البلاغة وأئمة الفصاحة، تعنولهم أزمة القول، وتنقاد أعنة الكلام، ويهتفون بروائع الخيال، فينصاع لهم عصيّه، ويدلّ لهم أيّه وينقاد شامسه. وإذا كان الكلام صناعتهم التي بها يباهون ويتشدّقون؛ فلا بد من أن يكون الرسول ﷺ الذي يبلغهم عن ربهم، ويهدم عقائدهم الباطلة، ومذاهبهم الزائفة... لا بدّ من أن يكون بيانه أسمى من بيانهم، ومنطقه أبلغ من منطقهم... ومن هنا كان بيانه ﷺ السحر الحلال والنبع الدافق والمشرع العذب الذي يتفجّر من طبع مهذب معقول، وفطرة عريقة أصيلة تساندت في صقلها أقوى العوامل، وتعاونت على إذكائها أبلغ المؤثرات إذ نشأ وتقلّب في أفصح القبائل وأصحّها لهجة وأخلصها منطقاً وأعذبها بيانا وأرهفها جناحاً وأقومها سليقة». (هيفاء، ١٤٣١، ١٥٠/٥)

واستمرت الرسالة بعد النبي ﷺ باتّباع أهل البيت ﷺ خطاه وسلوكهم مسلكه ونهجهم منهجه، وقرّنه النبي ﷺ بالقرآن العظيم، وأخبر الناس في حديث الثقلين

بعدم افتراقهم عن القرآن الى يوم القيامة وقد شهد التاريخ بأثرهم في حفظ الرسالة وإحياء سنة النبي ﷺ خاصة في مواقف حرجة وظروف تحتاج الأمة فيها الى كلام ينبئها من غفوتها ويبيِّن لها الحقائق ويحثُّ مشاعرهم ويحرض همهم.

ويقول شبراوي في كتابه الإتحاف بحب الأشراف «وإن آل البيت حازوا الفضائل كلها علماً وحلماً وفصاحة وذكاء وبدية وجوداً وشجاعة، فعلمهم لا تتوقف على تكرار درس ولا يزيد يومهم فيها على ما كان بالأمس، بل هي مواهب من مولاها، من أنكرها وأراد سترها كان كمن أراد ستروجه الشمس». (١٤٢٨ق، ٩،)

وقد تمثلت الفصاحة والبلاغة النبوية في آل بيته (عليهم السلام) الذكور منهم والإناث وتجلت هذه البلاغة في ابنته الكريمة فاطمة الزهراء (عليها السلام) التي كانت بضعة منه، وكان يرضى لرضاها ويسخط لسخطها وكان يُعزى رضاها الى رضا رب العالمين، وتجلت في إجابات وخطابات حفيدته زينب بنت علي بن أبي طالب (عليها السلام) في مواقف مؤلمة وخطيرة جداً.

المؤثرات الخارجية في بنية النصّ في خطبها

الروايات تدلّ على المواقف الحرجة التي شاهدها بنات النبيّ بعد وفاة الرسول ﷺ وإن كانت الفاصلة الزمنية بعيدة إلى حد ما بينهما؛ ولكنها متشابهة وقريبة من حيث الوقائع والحوادث التي جرت عليهما والتي تدل على مظلومية سيدات أهل البيت (عليهم السلام)، وتحملهنّ الصعوبة والمشقة في سبيل إثبات الحق والدفاع عن حقوق آل بيت النبي ﷺ والاستئنان بسنته التي كادت تُترك على مرّ الزمن بل كادت تتغير وتعرف على غير ما سنّها النبي في حياته.

لردت شوارد الأهواء، وقادت مرود الشهوات، ولكنها السياسة توغل في غاياتها لاتلوي على شيء ومن وقف على خطبتها عرف روايتها لمن بعده». (١٣٧٨ ش، ٦٩) بلغت الخطبة أسمى درجات الأدب والفصاحة وذهب بعض الباحثين الى أنها أضخم رصيد لفهم شخصيتها على الصعيد الواقع وهناك من وصفها بالخطبة الثوريّة التي سعت إلى زعزعة النظام السياسي الجديد. (شهيدى، ١٣٦٣ ش، ١٢٤) وكذلك خلّدت الحقائق عبر التاريخ بخطبتها وبوصيتها الواعية التي تدل على استشرفها المستقبل وتنبئ عن الذكاء والبصيرة الكامنين في بنت الرسول ﷺ.

زينب (ع) والبيئة المدهشة بعد مقتل الحسين (ع)

عاشت زينب (ع) ظروفًا كئيبة مدهشة بعد استشهاد الحسين (ع) وأهل بيته وكان كل شيء ثقیلاً عليها ومؤملاً لها وثقیلاً على أهل بيت النبي (ص) فقد ساقوهن أسارى إلى عبيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية اللذين سعيا إلى طمس معالم الدين وإيذاء بيت النبوة ومحو كل أثر من آثار النبوة. انّ ما حدث بعد عاشوراء كان حركة عظيمة بحيث انقلبت الأمور على عكس ما كان يريده الحكام في الشام والكوفة. «لقد كان من أروع ما خطّطه الحسين (ع) في ثورته الكبرى حمله عقيلة بني هاشم وسائر مخدرات الرسالة معه الى العراق فقد كان على علم بما يجري عليهن من النكبات والخطوب، وما يقمن به من دور مشرف في إكمال نهضته وإيضاح تضحيته وإشاعة مبادئه وأهدافه، وقد قامت حرائر النبوة بإيقاظ المجتمع من سباته، واسقطن هيبة الحكم الأموي، وفتحن باب الثورة عليه، فقد ألقين من الخطب الحماسية ما زعزع كيان الدولة الأموية». (شريف القرشي، ١٤٢٣، ٢٠٨)

تقول عائشة بنت الشاطي في وصف هذه العظيمة: «افسدت زينب أخت الحسين على ابن زياد وبني أمية لذة النصر وسكبت قطرات من السمّ الزعاف في

تجلي العبقرية الأدبية في إجابات بنات النبي ﷺ وخطابهن

وكانت المواقف والظروف الخاصة المشار إليها تتطلب نوعاً خاصاً من البداهة والارتجال في مواجهة الحوادث لخلق نصوص مؤثرة وفاعلة في مشاعر المخاطبين لتصحيح الأوهام التي أشاعها أعداء آل محمد في الأوساط الإسلامية، فكانت النصوص المنتجة بليغة متماسكة، لذا زاد الربط بينها من إبداعات الكلام في بيت النبوة وهذه ظاهرة مشهودة في نصوصهم، فهي أكثر تأثيراً وأبلغ إجابة في اللقاءات والحوارات التي جرت بين بنات النبوة وبين من غصب حقوق آل البيت ﷺ بل هي في بعض الأحيان تكون أحسن بناءً وأعمق معنى وأروع فصاحة من الخطب التي يلقيها البلغاء أمام الناس من العامة والخاصة.

جوانب من التأسك في نصوص السيدة فاطمة الزهراء (ع) ومؤثراته

١) فاطمة الزهراء (ع) في مواجهة نساء المهاجرين والأنصار

حين تشتد العلة على بنت النبي ﷺ وتأتي النساء لعيادة فاطمة الزهراء (ع) كما ينقل التاريخ لم يكن عددهن قليلاً بل كان العدد لا يستهان به، انتهزت فاطمة الزهراء (ع) الفرصة لتكتب في التاريخ وتوصل إلى عقر دار المهاجرين والأنصار شدة تبرئها من أعمالهم وخصومتهم لآل بيت النبي ﷺ حين سألتها النساء عن مرضها: كيف أصبحت من علتك يا ابنة رسول الله؟ فإنها بدل أن تجيب عما تشعر به من الألم والمرض تبحث عن السبب والألم الحقيقي الذي يؤلم قلبها وروحها فتقول: ((أصبحت والله عائفة لديناكن قالية لرجالكن، لفظتهم بعد أن عجمتهم وسئمتهم بعد أن سبرتهم فقبحا لفلول الحد واللعب بعد الحد)). (طبرسي، ١٣٨٨، ١/ ١٣١)

ثم ترمي إلى ما هو الأساس في الشكوى هذه وتخطبهن بالعتاب على ما فعلوا بعلي بن أبي طالب عليه السلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وتضع النقاط على الحروف وتكشف المستور لمن يدعي ذلك: ((وما الذي نقموا من أبي الحسن، نقموا منه والله نكير سيفه وقلة مبالاته بحتفه وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمره في ذات الله عز وجل والله لو تكافوا عن زمام نبذه رسول الله صلى الله عليه وآله إليه لاعتلقه ولسار بهم سيراً سجحاً)). فهي تبدي كراهيتها للعالمين أولاً وشكواها من مجتمع خالف القيم والأصول الإسلامية والإنسانية ثانياً وتكشف الستار عن اشمئزازها من رجالهن بسبب سوء تصرفاتهم ثالثاً وتحتج عليهم مستندة إلى الخلفيات التي اعترفوا بها في علي عليه السلام وتستعمل واحدة من الأدوات لتقوية التماسك في النص باستعمال ما يقرب المعنى في النص إلى ذهن المخاطب باستعمال أسلوب التشبيه الجميل الذي يقرب المعنى بشكل واضح إلى أذهان الذين يريدون أن يغمضوا أعينهم على ما حدث بعد النبي صلى الله عليه وآله حيث تقول: ((استبدلوا والله الذنابي بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا)). (طبرسي، ١٣٧١) شبهت الأمة بالطائر الذي لا يمكنه الطيران لأنه اختار الذنابي بدل القوادم التي هي المحركة القوية في جناح الطائر والذنابي لا تستطيع حمل جسد الطائر واقلاعه من الأرض.

٢) زينب عليها السلام في مواجهة العدو

وتابعتها ابتتها زينب عليها السلام في تلك الظروف القاسية بعد شهادة الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته نراها صامدة مطمئنة تقف أمام الكلمات المؤذية والتصرفات السيئة من جانب العدو فكأنها هي المنتصرة حين تجيب ابن زياد في كلامه اللامز: كيف رأيت صنع الله بأخيك؟ فأجابته بكلمات الظفر والنصر باستعمال أداة من أدوات التماسك هي اسم الإشارة (هؤلاء) وأدوات الربط من حروف العطف

والجملة الاعتراضية ثكلتك أمك في الدعاء على عدوها: ((والله ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فُتْحَاجَّ وَتُخَاصِم، فانظر لمن الفلج ثكلتك أمك يا ابن مرجانة)). (الطبرسي، ١٤١٠، ٣٠٧/٢) يا لها من كلمات، وما هي كلمات بل هي العظمة سيقت في ثياب الكلمة والكلام وكيف يمكن أن نتصورها وهي مصابة بالمصائب الشاقة العظيمة تجيب بهذه الطمأنينة والاستقرار وتشعر بالنصر والغلبة. أو في موقف آخر حين ترى إهانة رجل شامي ابنة أخيها، فتقف صامدةً وتجيب فقيهةً وعالمةً أمام طلب الرجل فتستعمل أداة العطف والحرف الزائد واسم الإشارة لبناء جواب متماسك في بنيتها: ما ذلك لك ولا لأميرك؛ وإذ تواجه إجابة يزيد بأن ذلك لي؛ توجه له سهاماً من منطقتها الفيّاض بأدوات التماسك الرابطة كالقسم والأداة (إلا) وحروف العطف قائمة: ((والله ما جعل ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا)). ثم في جواب إساءته البشعة لأبيها عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وجدّها عَلَيْهَا السَّلَامُ تذكر أدوات للتماسك من حروف العطف وتكرار الضمير (أنت) فتقول: ((بدين الله ودين أبي وجدي اهتديت أنت وأبوك إن كنت مسلماً))، وهكذا تبين كثيراً من مقاصدها بعبارات متماسكة وموجزة ومن تلك المقاصد:

١. الإشادة والتنبية بمكانة جدّها وأبيها.
٢. تحقير يزيد والتنبية على المكان الذي جلس فيه بفضل جدّها.
٣. الشك في إسلامه وتثبيت ما ذكرته بخروجه من الإسلام وما أبدع ما قاله الشاعر المفلح السيد مهدي بن السيد داود الحلبي:

وجلببت في أسرها أسرها عاراً رأى الصغار في جلبابه
والنصحاء شاهدوا كلامها مقال خير الرسل في صوابه

(النقدي، ١٤١١، ٧٥)

وما كل ذلك إلا بسبب معجزة كلام السيدة زينب عليها السلام التي جمعت في إجاباتها بين بلاغة الكلام والموقف وفصاحة الكلمة والكلام؛ الكلام الذي يدوي في الآذان كدويّ كلام أمها وأبيها عليهما السلام كما نُقل عن حذلم بن كثير (وكان من فصحاء العرب) بأنّه أخذته العجب من فصاحة زينب وبلاغتها، وأخذته الدهشة من براعتها وشجاعتها الأدبيّة حتى أنّه لم يتمكّن أن يشبّهها إلا بأبيها سيد البلغاء والفصحاء. فقال: «كأنّها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين». (المصدر نفسه، ٦٨)

من ملامح الانسجام الداخلي والتماسك في الخطبتين

هذه الدراسة تلقي الضوء على خطبتين من خطب بنات النبي صلى الله عليه وآله الخطبة الفدكيّة للزهراء المرضيّة عليها السلام والخطبة المشهورة لزينب بنت علي عليها السلام في قصر يزيد مشيرة إلى نقاط مشتركة فيها فنيّاً ومبيّنة المحاور المطروحة في كلتا الخطبتين مركزة على الانسجام الداخلي في النصّ المأثور حول المحور الأصليّ والتماسك الموجود بين أجزاء الكلام بالنظر إلى المتلقي والظروف المحيطة به.

بدأت الخطبتان بالحمد والشكر الإلهي وجاءت لغتها مرسلة ميسورة والعبارات موجزة وبعيدة عن التزويق اللفظيّ المتكلّف فاستعملت فيهما العبارات الغامضة في مواضع استعاريّة أو التمثيلات التي احتيجت بغية التأمل والتعمّق ذلك أنّ الخطيب يحذر في مثل تلك الظروف المحيطة من الصراحة والمباشرة، وفي ذلك نكتة بلاغية هي إيجاد التأثير النفساني في المخاطب وإثارة مشاعره ليتفاعل مع النصّ ويتجلى ذلك في مجالات التصوير الفني وأثره في المخاطب بحيث عدّها البلاغيون أبلغ من التصريح وأوقع في النفس من الأداء المباشر.

١) الإنسجام والتماسك النصي

مع أن مصطلح التماسك والانسجام والاتساق من المفاهيم الجديدة في النقد الأدبي الحديث إلا أن عناصره كانت مستعملة في البلاغة العربيّة وكانت تعرف في قوالب مختلفة وتحت نظريات متضاربة منذ سيبويه حتى عبد القاهر الجرجاني والنقاد المعاصرين في النقد الحديث، إلا أن هذا المصطلح يستند إلى علم اللغة ويتسبب إلى المدارس اللغوية الحديثة التي ظهرت على يد العالم السويسري دي سوسير ومن أشهر علماء اللغة الذين يقودون هذه الحركة الدراسية هو هاليدي ومن أبرز القضايا التي طرحها هي الاتساق النصي.

ويعني الاتساق الكيفية التي يحدث بها التماسك النصي بترابط عناصره، وهو مفهوم دلالي يميل إلى العلاقات المعنوية القائمة في داخل النص، وهي عناصر تحدده وتمنحه صفة النصانية، ويشمل مفهوم الاتساق هذا عددا من المنسقات كالأحوال إلى الضمائر، والإشارة والحذف والإستبدال والوصل والاتساق المعجمي (خطابي، ١٩٩١، ٢٨٨). على أننا لم نحدّد دراستنا بالمعايير المذكورة في كل من هذه التقسيمات فحسب بل بحثنا عن أيّ شيء ينتج منه التماسك في اللغة والمفردة في ذاتها أو في المجاورة والتركيب.

الإنسجام في المفردات

إنّ الانسجام المفرداتي يأتي في أشكال مختلفة من التكرار والترادف والإشارات إلى التضاد والتضام كما ننبّه على أنّ لاستعمال أسماء الإشارة والموصول والظروف والتأكيدات مكانة خاصة في التماسك النصي نبحث عن بعض منها ونتطرق إلى ما يتجلّى بوضوح في كلام سيدتين من أهل بيت الوحي (عليهما السلام).

أ: التكرار والترادف

التكرار إمّا أن يكون بشكل مباشر أو غير مباشر أو باستعمال الكلمات المترادفة وهذا الثاني متوافر في الخطبتين إذ تستعمل الخطيبتان المرادف والمعاني التي تقرب المفاهيم إلى ذهن المخاطب. ((يا أيها الناس اعلموا أنّي فاطمة وأبي محمد ﷺ أقول عوداً وبدءً ولا أقول ما أقول غلطاً ولا أفعل ما أفعل شططاً)). تخاطب الناس وتؤكد صحة قولها وفعلها بترادف المترادفين لأنها تراهم مشككين في كلامها كما تعرّف بنفسها وبأبيها بعد ما كانت عرّفت بهما في أول كلامها قاصدةً أن تفهمهم بما يفرون من إدراكه. ثم تأتي بصفات أبيها ذاكراً أفعاله الرسالية بالمرادفات المثبتة لها: ((ببلغ الرسالة صادعاً بالندارة مائلاً عن مدرجة المشركين ضارباً بئبجهم؛ أخذاً بأكظامهم، داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يكسر الأصنام، وينكت الهام، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر)). في العبارات المذكورة تذكر خصائص النبي ﷺ الرسالية خمس مرات في سياق اسم الفاعل ومرتين في صيغة المضارع والكل يدل على نضاله ضدّ المشركين وشدة وطأته ﷺ عليهم. وهذا الأسلوب نفسه مستعمل عندها حين تصف علياً عليه السلام مكلفاً من جانب النبي ﷺ لمناضلة الشرك والنفاق.

﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ أونجم قرن الشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفي حتى يطأ صهاخها بأخصه، ويحمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله ﷺ، سيداً في أولياء الله، مشمراً ناصحاً، مجداً كادحاً، لا تأخذه في الله لومة لائم.

فاستعملت ﷺ للفتنة والحرب أفعالاً مترادفة كأوقدوا، ونجم، وفغرت وكلّها تعني الحادثة العظيمة إذا جاورت معموليها ثم تبين إثثار علي عليه السلام وشجاعته بأسماء مترادفة وخصائص مكررة تظهر مكانته عند الرسول ﷺ وفي المجتمع المدين له

بفضل الهداية، والخلاص من أدران الجاهليّة الذي نسي حقّ رسول الله ﷺ في مودّة القربى، وشكره على آلائه في بناء مجتمع إسلامي تسوده العدالة والمساواة، مذكرة إيّاهم بالصفات العشر التي تستعمل السيدة فاطمة (عليها السلام) ثلاثاً منها في صيغ الفعل والأخرى بصيغ أسماء تدلّ على ثبوتها واستمرارها فيه.

وتخاطب ابنتها زينب (عليها السلام) يزيد وتصفه بصفات تكشف الستار عن وجهه الكالح بألفاظ مترادفة ومكررة بعضها أسماء وبعضها الآخر أفعال تدلّ على شدة قبح يزيد ذاتاً وفعلاً حين تستهزىء بجبروت الملك وانتصاره الوهمي وتجتثّ جذور ما بُنيت عليه أفكاره وترى الكرامة والعزة غير ما يرى، والذلة والهوان غير ما يتصور وتحتاج لهدم هذا الأساس المادي المشرف على النار الى استعمال كلمات متماسكة تصدع كبريائه وترسم شدة تفرغته: ((أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض وضيّقت علينا آفاق السماء فأصبحنا لك في أسار، نُساق إليك سوقاً في قطار، وأنت علينا ذواقدار، أنّ بنا على الله هواناً وعليك منه كرامة وامتناناً، وأنّ ذلك لعظم خطرك وجلالة قدرك، فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك، تضرب أصدريك فرحاً وتنقض مذبورك مرحاً حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والأمورّ لديك متّسقة وحين صفا لك ملكنا وخلص لك سلطاننا، فمهلاً مهلاً لا تطش جهلاً)).

فتشير إلى دناءة تصرفات يزيد مع أهل البيت بتعابير مترادفة كأخذ الأرض وضيق السماء كما توظف عقيلة بني هاشم (عليها السلام) عشر خصائص تدل على طغيانه: اثنان منها بصورة اسميّة والبقية فعلية إشارة الى أفعاله القبيحة وأعماله السيئة في حين تكني عن الظروف الثلاثة الأخرى وهي اتساق الأمور وصفوة الملك فيها بكنيات عن عدم ملكيته لها واختصاصها بأهل البيت (عليها السلام) في إضافتها الى ضمير المتكلم وبهذا الإنساب تصوّر نفسها حاكماً يحكم ويزيد أمامها أسيراً، فأهل البيت (عليها السلام) هم القادة الحقيقيون لهذه الأمة وهم الأولى بالسلطة والحكم. (الصفار، ١٤١٤ هـ، ٢٤٠)

كما تُوقف يزيد عن الطغيان والعصيان أمرة إِيَّاه، ومكرّرة هذا الأسلوب التهكّمي، والكلمات التي تحمل الثقل والحِدّة والقطع كاسم الفعل، فمهلاً مهلاً. وتعلن العجب والهزء في تكرار الكلمات المهذّدة: ((فالعجب كل العجب لقتل الأتقياء وأسباط الأنبياء)). أو الإخبار بعاقبته السيئة بألفاظ مكررة ذات دلالات متقاربة: ((وَلَتَوَدَّ أَنَّكَ سُلِّمْتَ وَعَمِيَّتْ وَبَكِمْتَ وَلَمْ تَكُنْ قَلْتَ مَا قَلْتَ وَفَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ)). ويوجد كثير من هذه المرادفات في خطاب زينب عليها السلام خاصة في وصفها أعمال يزيد وتصرفاته وتصرفات أصحابه. التكرار هذا يتجلّى في استعمال الأفعال أو الأدوات والأسماء بحسب التأكيد والتركيّز على محور خاص في خطابات زينب عليها السلام في إطار أبنية الخطاب وأبنية الأفعال المخاطبة أو ضمائر الخطاب كما تستعمل حرف النداء وضمائر الخطاب بكثرة لأنّها كانت تريد الحطّ من شأن يزيد وكسر شخصيته الكاذبة فتقول: ((أظننت يا يزيد... أمّن العدل يا بن الطلقاء... أنسيّت قول الله عزّ وجلّ... حسبك الله ولياً وحاكماً)). وإن هذه النسبة في الاستعمال المباشر والخطاب والنداء في كلام السيّدة فاطمة عليها السلام أقلّ منها في خطبة زينب عليها السلام لما في كلام السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام من تعريف بمنهج النبي صلى الله عليه وآله وأهدافه وذكر خصائص ابن عمه ووليّه عليه السلام والإشارة الى الأحكام وذلك يتطلب تكرار ضمير الغائب أو الأفعال المسندة إلى الغائب.

ب: التعارض والتضاد

معروف أنّ الأشياء تعرف بأضدادها والإفصاح عن كل أمر يحتاج الى معرفة عدمه أو ضده وكيفية المعارضة له والظاهرة هذه تتجلّى في خطب نساء أهل البيت (عليهن السلام) حيث صوّرن أمام أعين الناس الحق من الباطل والنور من الظلام. ها هي بنت النبي صلى الله عليه وآله تخاطب الأنصار الذين نصرُوا رسول الله صلى الله عليه وآله وتحملوا الكدّ

والتعب في ركابه: ((فأنت حرّتم بعد البيان؟ وأسررتم بعد الإعلان؟ ونكصتم بعد الإقدام وأشركتم بعد الإيمان؟)). فهي تورد الألفاظ المتضادة والمعاني المتباينة وذلك بربط الفكرة بما يناقضها في سبك نصي متماسك يربط بعضه بنقيضه، في ثنائيات متضادة يشد بعضها أزر بعض، فيضمن وحدة متماسكة، ذاكرةً التعارض الموجود في نفوسهم الذي ساقهم إلى النفاق والعدول عن الحق بذكر الأفعال المتضادة في مدة قصيرة من الزمان وبعد وفاة النبي ﷺ وتعالج تشريح أحكام الشريعة والحكمة الكامنة فيها مبيّنة التضاد الحاصل من إجراء الأحكام التي تمحو الحالة السيئة الموجودة قبل تطبيقها في عرض لحكمة الله في أصول الدين وفروعه ببناء نصي متماسك: ((فجعل الله الإيمان تطهيرا لكم من الشرك والصلاة تنزيها لكم من الكبر والزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق)). فتجعل الإيمان مقابل الشرك، والخشوع والخشوع في الصلاة مقابل الكبر، وإعطاء المال مخالفاً لشح النفس، وموجباً للتزكية والتنمية. أو تذكّرهم بمناقبهم ومساندتهم للإسلام في عهد النبي ﷺ مبيّنة نقيضها فيما فعلوا في ذريته وغضبوا حقوقهم والأنصار ساكتون وخامدون: يا معشر النقيبة وأعضاء الملّة وحضنة الاسلام، ماهذه الغميرة في حقي والسنة عن ظلامتي؟

فلا شك في أنّ تصوير هذه المفارقة المؤلمة يهزّ النفوس ويجعلهم في موضع انفعال ورجوع إلى النفس وتحريك ضمائرهم. وزينب (ع) تتمتع بقدرتها في هذا الفن لإثارة الغيرة في الحاضرين في مجلس يزيد حيث تقول: ((أمن العدل يابن الطلقاء تخديرك حرائك وإمائك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن)). فتجعل الأفعال المتناقضة ليزيد وأصحابه في أهلهم، وفي أهل بيت النبي ﷺ على مرأى الناس ومسمعهم حتى يحكموا عليها، فهم يحدّرون حرائرهم في بيوتهن، ويسبون بنات رسول الله ﷺ مهتوكات الستر، باديات الوجه، وتصف هذا التجوال بنساء أهل بيت النبي ﷺ في الشوارع مستعينة بالكلمات المتضادة التي

تدل على سوء فعلة يزيد وقبحها ((تحذوبهنّ الأعداء من بلد إلى بلد... ويتصفح وجوههن القريب والبعيد والغائب والشهيد والشريف والوضع والديني والرفيع ليس معهن من رجالهن وليّ ولا من مُحامتهن حمي)). وفي موقف آخر تستفيد من طباق السلب وتأتي بالمتضاد في أسلوب النفي حيث تخبره بمكانته في يوم القيامة ((ولعمري لقد ناديتهم لو شهدوك، ووشيكاً تشهدهم ولن يشهدوك)).

وأخيراً تأخذ الطباق والجناس في لفظ واحد تلقى به في وجه يزيد بأن ما طلبت من الغنائم أصبح مغرماً عليك وصار الأمر على خلاف رغبتك بما قتلت الأتقياء وأسباط الأنبياء وفي العبارة أيضاً تقابل جميل بين الأنبياء والطلقاء: ((فالعجب كل العجب لقتل الأتقياء وأسباط الأنبياء وسليل الأوصياء بأيدي الطلقاء... فلئن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً)).

ج: الإيقاع الصوتي للمفردات

من أجود ما يجذب القلوب هو حسن الأداء والجمال الفني المنتج من الإيقاعات الموسيقية في الخطابة ومع أنّ قسماً كبيراً من هذه الموسيقى الداخلية منها والخارجية يجب أن يبحث عنه في إطار العبارة والنص بكامله؛ ولكنه مدين إلى حد ما إلى الألفاظ المنتخبة من خزيتها اللغوية من الأسماء والأفعال والصفات والمخارج المندجة في حروفها التي تعطيها السلاسة والجزالة والفصاحة. ورنينها يجذب أو ينفر السامع ويسهم في الربط والتماسك لما بين الفاصلة وما قبلها وما بعدها من علاقات معنوية مترابطة. بعض الحروف يحمل الفرح والسرور وبعضها الآخر مشحون بالحزن والأسى كما إن بعضها يدل على التفاؤل والخير وغيرها على التشاؤم واليأس. (عبدالله، ٢٠٠٨ م، ٢٣)

انتخاب الكلمات في آخر العبارات يُعدّ من المؤثرات في الإيقاع الموسيقي يعبر عنه النقاد العرب القدامى بالسجع أو يصطلحون عليه في القرآن الكريم بالفاصلة ويريدون به تجانس الحروف في آخر الآية ويربط مكونات الآية أو النصّ الشري معنوياً. وهذه الفواصل أو السجعات من الظواهر المشهودة في كلام فاطمة (ع) بضعة الرسول (ص) بحيث يلمسها المتلقي من بدء خطبتها الى الختام وبما أنّه تجانس عفو يخرج بغير تكلف أو تصنع ارتاحت له النفوس ولم تنفر منه الآذان. فتبدأ الصديقة (ع) بحمد الله والثناء عليه بعبارات زينت أواخرها بهذه الكلمات النغمية المتسقة: ((الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما أهدى، والثناء بما قدّم من عموم نِعَم ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن أولها، جمّ عن الإحصاء عدّها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها)). تتنخب (ع) كلمات متشابهة الأواخر، وقريبة المضامين، في حين تجد الحروف المختومة بها عباراتها تحمل بموسيقاها نداءً خاصاً للمخاطب؛ منها حرف الميم لخصوصيته التي تُجسّس فيه النفس يدلّ على أمر مكلف وشاقّ يستعمل في الفواصل الثلاث في ابتداء الخطبة ثم تنتقل الى حرف الألف بعد الهاء وكلا الحرفين يدلّ على الحزن والأسى، وكثير من المراثي تنشد مختومة بهذين الحرفين فضلاً عن التماسك الإشاري المشهود في إحالة الضمائر الى الله تعالى الذي بدأت الخطبة بحمده.

ويشارك الخيار الممتاز الرائع المشهود في جميع موضوعات الخطبة من البدء الى النهاية في تماسك بنية النصّ وتناسقه فهي (ع) إذا تكلمت عن وفاة أبيها (ص) مع ما بها من الوجد والأسى والحزن لذلك المشهد لكنها ترسم خيوط خطبتها بكل هدوء واطمئنان و بانتخاب ألفاظ موحية: ((ثم قبضه الله إليه قبض رافة واختيار، ورغبة وإيثار فمحمّد (ص) من تعب هذه الدار في راحة، قد حُفّ بالملائكة الأبرار، ورضوان الرب الغفار، ومجاورة الملك الجبار)).

فنتخب حرف الرءاء في الكلمات المشهورة بالخير والبركة والرأفة وإرادة الله تعالى وبما أن في حرف الرءاء نوعاً من التكرير والاستمرار ترى حياة أبيها مستمرة باستمرار الإسلام وتُنبئ عن وجوده السار في الحياة الأخرية.

ونرى الموسيقى النغمية نفسها في كلام زينب عليها السلام المنبعث من انتخاب الكلمات والمفردات ذات الرنين بحيث يغيب ابن مرجانه ويقول: هذه سَجَّاعة لعمرى لقد كان أبوها سَجَّاعاً شاعراً. فتردّ عليه زينب عليها السلام: ((إِنَّ لِي عَنِ السَّجَّاعَةِ لَشَغْلًا)). فهي تُحسن الخطاب في تجويد الكلمات وتركيبها بحيث نرى عباراتها كالصاعقة على رأس يزيد بموسيقاها القارعة الشديدة: ((فلتردّ وشيكاً موردهم ولتودّن أنّك شللت وعميت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت)). إضافة الى التأكيدات الأداتية والاتصالية والاتصال بالفعل؛ وانتخاب الصيغ والتكرار المؤدّي الى التأكيد والحتمية فهي تشكل إيقاعاً ثقيلاً للتهويل والتأثير يسهم في ربط تواصل المخاطب بالمتكلّم وترسم صورة صاحبة بالموسيقى الممتزجة بها.

وفي موقف آخر تستفيد من أسلوب الحصر وطننته وقطعيته لتثبت ما تريده في أعماق النفوس. ((هل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد وجمعك إلا بدد يوم ينادي المنادي ألا لعن الله الظالم العادي))، فقد وظّفت حرف الدال ثماني مرات في عبارة قصيرة؛ وهو الحرف الذي اشتهر بالجهر والانفجار وفيه صلابة خاصة كما أنّ له صفة اختصاصية في القراءة كالقلقلة التي تدل على جمهوريّة الصوت والمبالغة في أدائه؛ ولا شك في أنّ تكرار هذا الحرف تأكيد للفناء والاضمحلال والتبدد وإذا وضعناها بجانب سائر المحاور المرتبطة في الخطبة نراها في غاية التماسك والانسجام اللغوي الذي يجعل النص مجموعة واحدة مترابطة حول محور أصلي وهو المقاومة والانتصار.

... الخاتمة ...

إنَّ العبقريةَ الأدبيةَ النبويةَ في إبلاغِ الرسالةِ وتأثيرها في الناسِ قد تجلَّت في مواقف حرجة من تاريخ الإسلام في أهل بيته وشهدتاريخ البلاغة والفصاحة المتدفقتين من لسان بنات النبي في الإجابات والخطابات الواصلة إلينا وبإنعام النظر في خطب الزهراء المرضية وزينب بنت علي (عليها السلام) نلمس التماسك والانسجام على مستوى المفردات والجمل وإذا ألقينا الضوء على التكرار والترادف ثم التضاد والنغم الموسيقي في الحروف والكلمات رأينا الخطبتين متشابهتين جدا من حيث التماسك والانسجام في انتخاب الكلمات المؤدية إلى التماسك والانسجام ويتضح ذلك في كيفية التكرار والتركيز على الأداء المؤثر وفي توظيف المترادف والمتضاد إلا إنَّ اختلاف الظروف سبَّب التركيز على ضمير دون آخر في خطبة الزهراء (عليها السلام) وعلى استعمال المؤثرات الصوتية الشديدة في خطبة زينب (عليها السلام) أكثر من خطبة أمها البليغة. كما أنَّ الترابط والتماسك المعنوي والصوتي في كليهما مشهود في محور واحد وهو المقاومة والصمود في الدفاع عن الحق وتبيينه.

المصادر والمراجع

٩. شهيدى، سيد جعفر، ١٣٦٣هـ. ش، زندگانی فاطمة الزهراء عليها السلام، دفتر نشر فرهنگ اسلامي، تهران.
١٠. الصفار، حسن، ١٤١٤هـ. ق، المرأة العظيمة، دار البيان العربي، ط١.
١١. طبرسي، أحمد بن علي، ١٣٨٣هـ، الاحتجاج، مكتبة الحيدرية، قم.
١٢. عباينه، يحيى وأمنة صالح الزعبي، ٢٠١٣م، عناصر الاتساق والانسجام النصي، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٦، العدد ١ و٢.
١٣. عبدالله، محمد فريد، ٢٠٠٨م، الصوت اللغوي ودلالاته، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى.
١٤. النقدي، شيخ جعفر، ١٤١١هـ. ق، زينب الكبرى عليها السلام بنت أمير المؤمنين عليه السلام، مؤسسة الإمام الحسين عليه السلام، قم.
١٥. www.uqu.edu.sa هيفاء عثمان عباس الفدا، ١٤٣١هـ، البلاغة النبوية وأثرها في النفوس.
١. أبوطاهر طيفور، أبو الفضل أحمد، بلاغات النساء، مكتبة الحيدرية.
٢. بنت الشاطئ د. عائشة، (د.ت)، سيدات بيت النبوة، دار الكتاب العربي، بيروت.
٣. جون كوهين، ١٩٨٩م، النظرية الشعرية، ترجمة أحمد درويش، دار غريب.
٤. خزعلي، إنسيه، ١٣٨٨هـ، آرايه هاى أدبى در كلام زينب عليها السلام، دفتر نشر فرهنگ اسلامي.
٥. خطايي، محمد، ١٩٩١، لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت.
٦. شبراوي، عبدالله بن محمد، ١٤٢٨ ق، الإتحاف بحب الأشراف، الطبعة الثالثة، دار الكتاب الإسلامي.
٧. شرف الدين، عبدالحسين، ١٣٨٧هـ. ش، نص واجتهاد، تحقيق: أبي مجتبى، نشر الكتروني: مؤسسة تبيان، قم.
٨. شريف القرشي، باقر، ١٤٢٣هـ، السيدة زينب عليها السلام بطلة التاريخ ورائدة الجهاد في الإسلام، دار المحجة البيضاء، بيروت.

الفاطميّات... النشأة والتّطور
حتى القرن السابع الهجريّ

Al-Fatimyat
Evolution and Development
to the Seventh Century Hegira

أ.د. عليّ كاظم محمد عليّ المصلاوي

جامعة كربلاء

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

Prof. Dr. Ali K. M. Al-Maslawi

Department of Arabic

College of Education for Humanist Sciences

University of Karbala

خضع البحث لبرنامج الاستئلال العلمي

Turnitin - passed research

ملخص البحث

حاولنا في هذا البحث أن نسلط الضوء على مسيرة الشعر الذي خصَّ السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعد أن لمسنا دوراً مهماً لها في بنية تلك الأشعار، إذ شكَّلت بؤرة موضوعية وفنية فيها، الأمر الذي جعلنا نحاول تقصي تلك الأشعار في منظومة الشعر العربي لمعرفة الثيمات المركزية التي اشتملت عليها، وموقف الشاعر فكريا وعقائديا وفنيا وكذلك شعوريا وانفعاليا تجاه كل ما يخصُّ تلك السيدة الجليلة. وقد أفرز لنا البحث في القرون السبعة الهجرية مجموعة من القضايا الموضوعية والفنية خصَّت تلك الأشعار كانت جديرة بالتوقف عليها ومحاورتها ومعرفة دلالاتها المضمرة التي خبأتها في تراكيبها وصورها.

ABSTRACT

It is endeavored in the present study to throw light on the path of poetry that allots great space to Sayadat. Fatima Al-Zahrah (Peace be upon her). As it is quite evident that there is so great a role for her in the structure of poetry. Such forms an artistic and objective pivot, that is why it is to trace the poetry in the orbit of Arabic one to fathom the central themes and the stance intellectual, doctrinal, artistic, emotional and passionate of the poet toward such a glorified lady. The paper exposes, throughout the seventh century, a constellation of artistic and objective issues for these poems worth tackling and explicating for its implicit connotations in the structure and images.

مدخل تعريفي

يمكن تعريف الفاطميات^(١) بأنها القصائد أو الأشعار التي خصّت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بنت الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وفيها ذكرٌ مناقبها ومنزلتها، وصفاتها، وأخلاقها، وشفاعتها، ودورها في حركة التاريخ الإسلامي بعد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، وما عانته من سلب لحقوقها، وحقوق زوجها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في خلافة المسلمين، وما جرى عليها من حوادث يندى لها جبين الإنسانية إلى أن وافتها المنية ولما نزل في ريعان شبابها، وفي قلبها غصة وفي جسمها آلام وآثار، كل هذه الأمور وغيرها يصورها الشاعر بحسب ما تملي عليه مشاعره وأحاسيسه تجاه هذه السيدة الجليلة عليها السلام وما يكنه من حبٍّ ولائي لها، وحزن على مصائبها وما ألمَّ بها، وطمع في شفاعتها، وتقرب إلى الله تعالى وغفرانٍ للذنوب، وقضاءٍ للحوائج الدنيوية والأخروية بذكرها عليها أفضل التحية والسلام.

ولعل هذا المصطلح (الفاطميات) مشهورٌ متداول ولكن ليس بهذه الخصوصية التي يطرحها البحث، فنحن نجد هذا المصطلح يطلق على النساء اللواتي التزمن أو يراهنَّ الالتزام بسيرة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وما أثر عنها من أخلاقيات وسلوكيات إسلامية رفيعة جدير بالمرأة أن تقتدي بها.^(٢)

ونجد رديفاً لهذا الجمع وهو (الفواطم) قد تداوله مؤرخو السير والتاريخ، وقد اطلق على مجموعة من النساء اللاتي تسمينَ باسم فاطمة مثلما روي عن النبي قوله: ((انا ابن الفواطم))^(٣)، وكذلك عرف عن الإمام علي عليه السلام اصطحابه للفاطميات أو (الفواطم) من مكة إلى المدينة بعد هجرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.^(٤)

وكذلك أطلق تسمية (الفاطميات) على نسق ولائي ينادي بمظلومية فاطمة الزهراء عليها السلام سواء أكان بإنشاد الأشعار والقصائد الشعبية أم بالحزن والبكاء وإقامة الشعائر الشيعية المعروفة في مثل هذه المناسبات.

إن الخصوصية التي تمتعت بها هذه السيدة الجليلة عليها السلام في وجدان الشيعة وعقائدهم متأتية من إنها الامتداد الوحيد لخاتم الأنبياء والمرسلين عليه السلام، وزوجة وصيه وابن عمه وأخيه عليه السلام، ووالدة سبطيه الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة عليهما السلام؛ بل هي عليها السلام تمثل أكبر من هذا كله فهي (أم أبيها)^(٥) بكل ما تحمل هذه العبارة من خصوصية وإذا كانت أمًّا لأبيها فكيف لا تكون أمًّا لجميع الذين يؤمنون بها؟ وتمثلت، منزلتها السامقة أيضاً في قوله عليه السلام: ((فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي))^(٦). وقال عليه السلام أيضاً: ((نَمَّا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُؤْذِنِي مَا آذَاهَا وَيَنْصُبُنِي مَا أَنْصَبَهَا))^(٧). وقال عليه السلام لفاطمة ((إِنَّ اللَّهَ يَغْضِبُ لِعُضْبِكَ))^(٨).

يتضح من هذه الأحاديث أن الرسول عليه السلام يستشرف ما سيجري على ابنته المقدسة على أيدي المنقلبين على الله ورسوله عليه السلام وما جاؤوا به من حقٍّ وهداية للمسلمين والناس كافة. لذا كانت منزلة فاطمة عليها السلام عظيمة ومقدسة عند جميع المسلمين بوجه عام والشيعة بوجه خاص إذ جاء تعاملهم بعدها مقدساً سامياً في دنيا ظلمتها ولم تعطها إلا الحزن والألم، فما كان من الشيعة إلا أن يتخذوها رمزاً حساساً لمظلوميتهم الكبرى يستلهمون منه الصبر العظيم والتحدي الكبير للناصبين لهم الحرب والعداء طوال السنين وما زالوا.

الفاطميات في العصر الإسلامي

بالنظر إلى المنظومة الشعرية العربية للبحث عن أولويات الأشعار التي قيلت في حقِّ فاطمة عليها السلام، أو تلك التي أشارت إليها في سياقات معنية فإننا نجد لها ذكراً فيها روى المجلسي في بحاره عن جابر - ولعله الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري - في خبر زفاف فاطمة عليها السلام على علي بن أبي طالب عليه السلام، وكيف قامت نساء النبي صلى الله عليه وآله قدامها يرجزن في حقها وحقَّ أبيها وبعلمها عليها السلام، وروى أربع مقطعات أبرزها وأشهرها ما قالته حفصة، إذ قالت^(٩):

فاطمة خير نساء البشر	ومن لها وجه كوجه القمر
فَضَّلِكِ اللهُ على كل الوري	بفضل من خصَّ بأي الزمر
زَوَّجَكَ اللهُ فتىً فاضلاً	أعني علياً خير من في الحضُر
فسرنَ جاراتي بها فإيَّها	كريمة بنتُ عظيم الخطر

وهذه الأراجيز إن صحَّت روايتها فأنها تمثِّل بداية الفاطميات في الشعر العربي. ونلاحظ عليها أنها أشعار نسائية قيلت في مناسبة زواج، ومن الطبيعي أن نتلمس في مثل هذه الأشعار نوعاً من التصريح والمكاشفة لأنها صادرة من امرأة إلى امرأة أخرى تربطها رابطة ما كالقراية والنسب... لذا نجد تصريحاً بالاسم والصفات والمزايا التي تتمتع بها السيدة الزهراء عليها السلام مما يعني أن صورتها انكشفت في عيون النساء اللاتي جئن للاحتفال والاحتفاء بزواجها الميمون.

ولكن هذا الأمر يختلف تماماً حين نفتش في الأشعار أو القصائد التي خصَّت الرسول صلى الله عليه وآله في صدر الإسلام كأشعار حسان بن ثابت وغيره فإننا لا نجد للسيدة الزهراء عليها السلام ذكراً صريحاً أو إشارياً لها، ويمكن تعليل ذلك بالقول: إن العرب كانت تتحرَّج أو تجدد أن من غير المناسب في أعرافها ذكر المرأة المصونة في أشعارهم وبخاصة

إذا كانت من بيت عزٍّ وشرف. هذا من جهة ومن جهة أخرى أهم هو انبهار المسلمين بشخصية الرسول ﷺ الفذة وما حققه من إنجازات غيرت من واقع الجزيرة العربية بوجه عام، وقيام الشعراء بمدحه والدفاع عنه وعن مشروعه الإلهي في نشر الإسلام في عموم العالم، وتسجيل انتصاراته في حروبه ومغازيه، كل ذلك نجده شاغلاً عن ذكر ما أنجب، وبخاصة أنها بنت وليست ولدا، ومعروف عن المجتمع العربي أنه مجتمع ذكوري، وقد كبرت البنت المباركة وزوجها أبوها الرسول ﷺ من ابن عمه علي بن أبي طالب ﷺ المعروف بشجاعته وإخلاصه له ولمشروعه الإلهي؛ كل هذه الأسباب كانت صارفاً لهم عن ذكرها في أشعارهم في ذلك الوقت ولكن تبدأ المفارقة بعد وفاة الرسول ﷺ إذ تظهر فاطمة ؑ في سير الأحداث التاريخية المهمة، فقد طالبت بحقها في إرث أبيها كما تزعم الأمة، ومطالبتها أيضا بحق زوجها علي بالخلافة التي أقرها الله تعالى على لسان نبيه محمد ﷺ في يوم الغدير وبايعه الناس يوم ذاك بالولاية؛ وجاءت هذه المطالبات بصورة علنية في خطبتها العصماء المشهورة في المسجد النبوي، ولكن ما من سامع أو مستجيب لها؟ وفوق ذلك حوربت في بكائها على أبيها، وإلحاحها في المطالبة بحقوقها إلى أن جرى عليها ما جرى من ظلم وجور، وتوفيت وشيعها الإمام علي وأهل بيته ؑ، وثلة من أصحابه الأخيار تحت جنح الظلام، ولم يُعرّف الإمام علي محل قبرها المقدس ليكون حجّة بالغة على ظلمها واغتصاب حقها، على وفق وصية أوصته بها.

من هنا أصبح التحول والانتماء، فكان الشاعر المحب للرسول ﷺ ولأهل بيته والمقرّ والمؤمن بحقوقهم يمدح الرسول ﷺ ثم يعرّج على مدح أهل بيته ؑ، وهذه السُنّة في الخطاب أسسها الإمام علي ﷺ في كثير من خطبه التي أضحت «من أصول المدائح النبوية»^(١)، ولا غرابة في هذا الأمر الذي نجده طبيعياً من ناحية أحقية الامتداد الطبيعي والرسالي له ﷺ ولأولاده من رحم فاطمة ؑ بنت

الرسول محمد ﷺ؛ وكان يوصل بذلك رسالة واضحة إلى أعدائه ومناوئيه مدعومة بحُجَّة الانتفاء والامتداد الذي لاشكَّ فيه ولا لبس، لذا مثلَّ هذا الصوت اتجاهاً وانتفاءً واضحاً ومخالفاً في الوقت نفسه اتجاهاً آخر مثله من غصَب حقِّ فاطمة (عليها السلام)، وتنكَّر لوصايا الرسول ﷺ وعادى علياً (عليه السلام) وسلبه ولاية المسلمين، وامتدَّ عداؤه لأولاده ومحبيه. فكان الشاعر ذو الانتفاء العلوي^(١١). يمدح الرسول ﷺ ثم يعرج على مدح أهل بيته في الوقت الذي خُفَّتْ صوت مدح الرسول عند جلِّ الشعراء الآخرين الذين مثلوا الطرف الآخر. «ويمكن القول بأنَّ مدح الفرزدق للنبي ﷺ وأهله (عليهم السلام) هو بداية الصدق في المدائح النبوية، ذلك بأنَّ مدائح حسان وقعت في أيام كان مدح النبي ﷺ فيها ينفع الشاعر ولا يضره. أما مدح النبي ﷺ وأهله (عليهم السلام) في أيام الفرزدق فكان باباً من الشرِّ يفتح للمادحين، لأن تلك المدائح ما كانت تروق خلفاء بني أمية، وكيف تروقهم وهي تزكية (لخصومهم) لقد أصبحت أقوى حجة عند خصوم بني أمية، قرابتهم من الرسول ﷺ فلا بدع أن يكون مدح الرسول ﷺ تنويهاً بشأن أولئك المعارضين»^(١٢). إذ كان مدح الرسول ﷺ وأبنائه (عليهم السلام) في نظر حاكم بني أمية ضرباً «من التمرُّد والشغب والخروج على الدولة»^(١٣).

وهذا السبب نراه حقيقياً وواقعياً وليس ما علله الدكتور محمود علي مكي حين قال مبرراً عزوف المسلمين عن مدح الرسول ﷺ في ذلك الوقت بقوله: «لم يعن ذلك ضعفاً في الإيمان، ولا تراجعاً في نظرة الإجلال، التي كان المسلمون ينظرون بها إلى شخصية النبي ﷺ، وإنما شغلت المسلمين أحداث كبرى...»^(١٤). ثم يوجز فيقول: «فقد صرفتهم عن ذلك السياسة والعصبيات والتكسب بالشعر، أو أغراض دنيوية أخرى مثل الغزل بأنواعه. أما سيرة الرسول ﷺ فلم تعد مما يهتم به الشعراء إلا فيما يخدم الأغراض الأخرى التي ينظمون فيها، وإنما توفَّرَ عليها العلماء من فقهاء أو محدثين أو مؤرخين»^(١٥). ثم يستدرِك بعد حين فيقول: «ولكننا لا نرى من بين

الشعراء من اتخذ هذه السيرة موضوعاً رئيساً يتوفر عليه. ولعل أكثر الشعراء ارتباطاً بشخصية الرسول واستلهاماً لها هم شعراء الشيعة...»^(١٦).

ومن هذا نستنتج أن شعراء المذاهب غير الشيعة انقطعوا عن النبي ﷺ لأنهم انشغلوا بأموال الدنيا، وزهدوا في الرسول ﷺ وما قام به من أجل إحياء قلوبهم الميتة، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ولكنهم انقلبوا على أعقابهم من بعده فكانوا هم المرتدين عنه وعن أهل بيته. أما الشعراء الشيعة فهم من واصل خط الرسول ﷺ، ولم يمنعهم مانع أو حاجز عنه، وكانوا يجاهرون في حبهم وانتمائهم عملاً بحديث الرسول ﷺ: ((يا أيها الناس، إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي))^(١٧).

ولكن الدكتور محمود علي مكّي يعود ليسند ما قام به الشعراء الشيعة إلى أن لهم مآرباً من وراء مدحهم للرسول ﷺ في العصر الأموي وصولاً إلى العصر العباسي وهو الخلافة واغتصابها من أهل بيت الرسول ﷺ متمثلة بالإمام علي عليه السلام ونسله من بعده... وقد اقتضى هذا الشعر في أهل البيت ﷺ عموماً والحسين عليه السلام على وجه الخصوص «إشارات عديدة إلى ملامح من حياة الرسول ﷺ ولا سيما في صلواته بربيبه وابن عمه ووصيه عليه السلام في نظر الشيعة، وبابنته فاطمة عليها السلام زوج علي عليه السلام، وسبطيه منهما، الحسن والحسين عليهما السلام سيدي شباب أهل الجنة»^(١٨).

الواضح أنه يحاول أن يشوه الحقيقة ولا يعطيها حقها الصحيح، وبتخريجه هذا تساوى الشيعة مع غيرهم من المذاهب الأخرى في أن لهم مقاصد دنيوية سياسية وهي الحكم والخلافة، فلم يكن مديحهم للرسول ﷺ وتمسكهم به إلا وسيلة تمكنهم من مشروعية المطالبة بالخلافة. وهذا ما يرفضه الواقع والتاريخ.

وعلى العموم فقد صرّح الفرزدق (ت ١١٠هـ) في قصيدته في مدح الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام باسم فاطمة عليها السلام في قوله موجهاً خطابه إلى من أنكر احترام الناس ومهابتهم لشخص الإمام زين العابدين عليه السلام وسأل عنه فأجابه بقوله^(١٩):

هذا ابنُ فاطمة إن كنت جاهلَهُ بجدِّه أنبياءُ الله قد ختموا

فالفرزدق يؤكد الامتداد الرسالي والطبيعي للإمام زين العابدين، فهو ابن فاطمة الزهراء عليها السلام وجدُّه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الذي ختمت به رسالات الأنبياء. والدلالة المضمرة في هذا الخطاب نجدها في تأكيد أن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام هو ابن فاطمة عليها السلام المرأة المتفردة بكونها من صلب الرسول صلى الله عليه وآله نفسه من ناحية، ومن ناحية أخرى كونها عليها السلام سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين ولها من العفاف والطهر والتقديس ما لم يكن لأحد من نساء العالمين، فهذا الفخر ما لم يكن أيها السائل لك بل لك ضده من الحزبي والعار من ناحية الانتماء إلى المرأة، مما يصدّم السائل من هذا الجواب ويجعله يحنق عليه ويغضب، وهذا ما حصل إذ أودع الشاعر السجن مدة بسبب ما في القصيدة من مثل هذه الآيات المشفرة التي تبعث برسائل مزعجة له تقض مضجعه، ومضجع من ينتسب لهم.

وفي غير سياق المدائح النبوية في هذا العصر نجد ذكر السيدة الطاهرة عليها السلام يتردد في رثاء الحسين عليه السلام ومن سقط في واقعة الطف الأليمة (سنة ٦١هـ) من ذلك ما قاله عبد الله بن الحر الجعفي (ت ٦٨هـ)^(٢٠):

يقول أميرٌ غادرٌ حقُّ غادر ألا كنتِ قاتلتِ الشهيد ابن فاطمه
فيا ندمي ألا أكون نصرته ألا كلَّ نفسٍ لا تسدد نادمه

فالشاعر يؤكد النسب الشريف للإمام الحسين عليه السلام ولا أقرب من أن يكون ابن بنت الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، وتصريحه باسمها عليها السلام جاء ليزيد ما في قلبه من مرارة وألم وندامة حيث تناوشته الأعداء، وغدر به الغادرون، ولم يكونوا معه ليذبوا عنه وينصروه، ويؤكد ما ذهب إليه بقوله في القصيدة نفسها مخاطباً أصحابه:

تأسوا على نصر ابن بنت نبيهم بأسيا فهم آساد غيل ضراغمه
فان يُقتلوا فكلُّ نفس تقيةٌ على الأرض قد أضححت لذلك واجمه

فالحسين عليه السلام الامتداد الطبيعي لرسالة السماء، فأمه فاطمة عليها السلام، وجدته الرسول صلى الله عليه وآله، ويضمّر الشاعر من وراء تصريحه وإعلانه هذا القول بأن الذين قتلوا الحسين عليه السلام ليسوا من الدين في شيء ولا ينتمون إلى الإسلام الذي جاء به جده خاتم الرسل والأنبياء صلى الله عليه وآله فكيف يكونون مسلمين ويقتلون ابن بنت نبيهم صلى الله عليه وآله؟ انها مفارقة يطرحها الشاعر بتصريحه بأن الحسين عليه السلام ابن فاطمة عليها السلام وفاطمة عليها السلام هي بنت الرسول صلى الله عليه وآله الوحيدة.

أما عند الكميت بن زيد الأسدي (ت ١٢٦هـ)، فاننا نجد ذكر السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام يأتي من طريق محاججته الخصوم في أمر وراثتها أباهما النبي المرسل صلى الله عليه وآله وهو يقول^(٢١):

أهوى علياً أمير المؤمنين ولا ألوم يوماً أبا بكر ولا عمرا
ولا أقول وإن لم يعطيا فداً بنت النبي ولا ميراثه كفرا
الله يعلم ماذا يأتيان به يوم القيامة من عذر إذا اعتذرا

فالشاعر هنا يصرح بأن أبا بكر وعمر لم يعطيا حق فاطمة الزهراء عليها السلام وهي بنت النبي صلى الله عليه وآله الوحيدة فداً من ميراث أبيها صلى الله عليه وآله، ولكن هذه المسألة على خطورتها

وتداعياتها لا تبيح له أن يتهمها بالكفر فهذا شأن لا علم له به إلا الله، فهو الذي يحاسبهما على هذا الأمر يوم القيامة.

والظاهر أن هذه الأبيات تمثل ردّ فعل على اتهام خصوم الكميت له بتكفير الشيخين، فقد ألحّ في أشعاره على هذه المسألة المادية وهي (اغتصاب فديك)، وعلى المسألة المعنوية الأهم وهي (اغتصاب الخلافة) من أهل البيت عليهم السلام، ومن ذلك قوله في إحدى هاشمياته الشهيرة ^(٢٢):

يقولون لم يُورث، ولولا تراثه لقد شرت فيه بكيّل وأرحب
ولانتشلت عضوين منه يُجأر وكان لعبد القيس عضو مؤرّب
فإن هي لم تصلح لحَيّ سواهم إذا فذوو القربى أحق وأقرب

والحجّاج واضح على هذه الأبيات «ومعنى هذا بالقياس المنطقي أن بني أمية يدعون أن النبي صلى الله عليه وآله لا يورث، فكيف استأثروا هم بالخلافة؟ إن الخلافة إذا حق لكل عربي مسلم، فمن حق قبائل قحطان وقبائل عدنان أن تطالب بنصيبها منها. والنتيجة المنطقية لهذا أن النبي صلى الله عليه وآله يورث، فإذا كانت وراثته صلى الله عليه وآله هي الحق الذي لا محيد عنه، فليس الأمويون هم الورثة وإنما العلويون هم الورثة، لأنهم أقرب إليه» ^(٢٣). والواضح أن هناك وراثتين قد انصهرتا في وراثته واحدة، الوراثة المادية وهي ما وهبه الرسول صلى الله عليه وآله من أرض زراعية معروفة ب (فديك) لابنته فاطمة عليها السلام؛ ووراثة معنوية وهي وصاية الرسول صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام زوج ابنته وابن عمه بالخلافة. وهاتان الوراثتان قد صرحت بهما الزهراء عليها السلام في خطبتها الشهيرة في المسجد النبوي، وقد حاججت القوم بأسلوب رفيع وقد وجهت خطابها لهم بقولها: ((وأتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا)) ^(٢٤). وقد جاءت (لا) النافية للجنس في هذا السياق لتدل على نفي «أحقية الإرث لعموم أهل الزهراء عليها السلام والمعنيون هنا أهل البيت عليهم السلام

لتجريدهم من كل مورد اقتصادي. ولما كانت (أن) تأتي لتأكيد الإثبات والمبالغة فيه. فإنها في سياق النص هنا تؤكد مزاعم القوم في سيرهم قدماً في تجريد آل البيت عليهم السلام من حقهم الاقتصادي المتمثل في توريث فدك إلى السيدة فاطمة عليها السلام ^(٢٥).

لقد أسقطت فاطمة الزهراء عليها السلام أقنعة القوم بما قدمت لهم من حجج قرآنية، وما عرضته من أحداث واقعية، وما أكدته من أمور يحاولون تجاهلها وإغفالها؛ ولكنهم كانوا عازمين على ردّها ومحاربتها حتى لو اضطروهم إلى الكذب على الله ورسوله ﷺ وهذا ما فعلوا فقد كان «ذلك الحكم الذي خرجوا به عن النص القرآني متمثلاً بقطع أي مورد اقتصادي لبيت آل الرسول ﷺ يمكن أن يعينهم على استرداد الحكم بوصف العامل الاقتصادي عصب إقامة الدول ومورداً مهماً لديمومتها» ^(٢٦). كان هذا الحكم مستشفاً من كلامهم معها وكلامها معهم.

الأهم أن هذه الخطبة بتفاصيلها الحجاجية قد احتفظت بها الذاكرة الشيعية، وراحت ترددها في مجالسها الخاصة، ولا شك بعد ذلك من أن يأتي الكميّ وغيره من الشعراء الشيعة لينتهج هذا النهج الحجاجي في أشعاره؛ فقد مهّدت السيدة الجليلة عليها السلام هذا الدرب لسالكيه، وزودتهم بما امتلكت من ثقافة قرآنية نبوية بآليات الخطاب الحجاجي في مقارعة الخصوم وتشبيث الحجة عليهم.

الفاطميات في الشعر العباسي

نجد هذه المقارعات الحجاجية في العصر العباسي أيضاً، فقد أخذت قصة الوراثة إبعاداً أكبر، فبعد أن كان الصراع بين بني هاشم وبني أمية وهما من قريش، أصبح الآن بين العلويين والعباسيين وهما من بني هاشم. ونجد شاعر العباسيين مروان بن أبي حفصة (ت ١٨٢هـ) يلحّ على هذه المسألة إلحاحاً يتجلى فيه عمق

الصراع الدائر وحدته «ولعل شاعراً لم يبلغ في هذا الدفاع مبلغه، إذ كان يعرف كيف ينقضُّ على العلويين بالحجة القاطعة...»^(٢٧). فهو «يحتج للعباسيين بأنهم عصابة النبي ﷺ، فهم ورثته، وليس لأبناء فاطمة (عليها السلام) أن يرثوه»^(٢٨)، وهو القائل في مدح المهدي العباسي^(٢٩):

يا بنَ الذي ورثَ النبيَّ محمداً دونَ الأقاربِ من ذوي الأرحامِ
الوحيُّ بين بني البناتِ وبينكم قطعَ الخصامَ فلاتَ حينَ خصامِ
ما للنساءِ مع الرجالِ فريضةٌ نزلتُ بذلكِ سورةُ الأنعامِ
أنتى يكونُ وليسَ ذاكِ بكائنٍ لبني البناتِ وراثَةُ الأعمامِ؟

ولعل هذا الإلحاح على مسألة الوراثة شكَّل عقدة محورية أو مفصلية أريد لها أن تكون وتنتشر من لدن العباسيين؛ وهنا ابتعدت قضية الوراثة من أن تكون مادية إلى كونها وراثية معنوية وهي خلافة المسلمين؛ والشيعية لم تنظر إلى هذه الوراثة على أنها وراثية دنيوية كما رأها الأمويون ومن بعدهم العباسيون وإنما هي في معتقدهم وراثية إلهية تعينية، بدليل أن ليس كل أبناء الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) قد حظوا بالإمامة عندهم؛ ولكن الشعراء من خصوم الشيعة ألبسوا الحق بالباطل فغيبوا الحق وأظهروا الباطل ليخدعوا به من ينخدع؛ وقد تعاملوا مع الخلافة على أساس أن العلويين يطالبون بها لأنهم من ورثة النبي محمد ﷺ من رحم ابنته فاطمة (عليها السلام)، ومن ثم فهم أي العباسيون أحق بها منهم لأن وراثتهم لها لم تكن من طريق البنات وإنما من طريق الرجال، وهذا العرف قد غلب على المجتمع العربي الذكوري فاستهوى قلوب كثير منهم وخاصة التي فيها مرض أو زيغ.

وعلى العموم فقد ردَّ أحد شعراء الشيعة على مروان بقصيدة نقض بها ما جاء به مستعملاً الوزن والقافية أنفَسها فقال^(٣٠):

لم لا يكون و إن ذاك لكائن لبني البنات وراثة الأعمام
 للبنت نصف كامل من ماله والعم متروكٌ بغير سهام
 ما للطلق وللتراث وإنما صلي الطليق مخافة الصمصام

ولا ريب أن في هذا الرد شفاء لقلوب العلويين، وهو ردٌ حجاجي حازم وفاحم لخصومهم^(٣١). والذي نريد تثبيته - بعد ذلك - من هذا الاستطراد الذي لا بد منه هو القول بأن قضية إرث فاطمة عليها السلام هي قضية ذات خصوصية عالية الحساسية، ومفصلية عامة عند المسلمين جميعاً، منذ أن ألقته عليهم سلام الله عليها في المسجد النبوي، وما نتج عن ذلك من مواقف مثلت اتجاه أصحابها من الإيثار بالله ورسوله وما جاء به، أو الكفر بالله وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

وأصبح المسلمون فرقا، كلُّ فرقة تمثل موقفاً من القضية وأصحابها، فجاءت الأشعار لتمثل تلك المواقف، وللأسف نجد أن الأشعار التي وقفت معادية لهذه القضية تعاملت مع الزهراء وقضيتها بصورة دلت على إصرار في محاربتها على الرغم من البعد الزمني - وتسقيطها سياسياً؛ ومن ثم انعكس هذا على تعاملهم مع اسم هذه السيدة الجليلة مكنين عنها بكنيات لا تليق بقدسيته ومنزلتها السامقة عند الله ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.

على أن هذه القضية أصبحت ثيمة أساسية في بنية تلك الأشعار التي عرضت مظلومية فاطمة الزهراء عليها السلام وأهل البيت عليهم السلام عموماً، وكانت مفصلاً مهماً من مفصل القوائد الفاطميات.

ويطلعنا في العصر العباسي أيضاً منصور النّمري (ت ١٧٣هـ) أحد شعراء الشيعة في زمن الرشيد وكان يكثر من مدح أهل البيت عليهم السلام والتنديد بالأمويين والعباسيين، ومن خير ما يصور ذلك لاميته التي مطلعها^(٣٢):

شاءً من الناسٍ راتعُ هاملٌ يعللونَ النفوسَ بالباطلِ
تُقتلُ ذرّيّةُ النبيِّ وير جون جنانَ الخلودِ للقاتلِ

وذهب شوقي ضيف إلى أن الشاعر في قصيدته هذه «ينكر موقف أبي بكر وعمر من دعوى فاطمة عليها السلام إرث (فدك) زاعماً أنها ظلماها، ومطالباً بمن يثار لها من ظلمتها»^(٣٣)، فهو يقول^(٣٤):

مظلومة والنبيُّ والدُّها تدير أرجاء مقلّة حافلِ
ألا مساعير يغضبون لها بسلة البيض والقنا الذابلِ

فصاحب الأبيات يشعرنا أن مظلومية فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وصلت حدّها من التجاسر والتطاول على مقامها الرفيع، فهو يدعو إلى الخروج، وإشهار السيف لأخذ الحق من مناوئها وغاصبي حقها. والشاعر هنا لا أجده يقصد الشيخين كما ذهب (د. شوقي) ضيف بل جاء قوله عاماً، وثورته ليست على ما مضى ولكن على ما يعيشه من واقع مزر يستحق القيام والنهوض لتغييره، فالأعداء والمناوئون لها عليها السلام ولأهل البيت عليهم السلام عموماً لا زالوا ينصبون العداً ويمعنون فيه. وقصيدة الشاعر هي في أهل البيت عليهم السلام ومديحهم والتنديد بقتل ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم في يوم عاشوراء، وفيها يعلن حبه وانتماءه لهم، وكانت قضية الزهراء عليها السلام إحدى الثيمات التي أكدها الشاعر وأعطاه أبعاداً مضافة تمثلت بالخروج المسلح لأخذ الثأر ممن غصب حقها وآلمها، وهذا انزياح جديد في القضية يسجّل لهذا الشاعر نلمسه في الأشعار الفاطميات التي جاءت من بعده.

أما عند السيد الحميري فإننا نجد ذكر السيدة الزهراء عليها السلام قد ورد في سياقات موضوعية ثلاثة، أولها ذكره لقضية زواجها بعلي عليه السلام في أشعاره الخاصة بمدح علي عليه السلام، فنراه يقول (٣٥):

والله أعطى ذا علياً كلَّه وعطاءً ربِّي لم يكن محظورا
والله زوجه الزكية فاطماً في ظلِّ طوبى مشهداً محضورا
كان الملائكُ ثمَّ في عدد الحصى جبريلُ يخطبهم بها مسرورا
يدعوله ولها وكان دعاؤه لهما بخير دائماً مذكورا
حتى إذا فرغ الخطيبُ تتابعت طوبى تُساقط لؤلؤاً منشورا
وتهيلُ ياقوتاً عليهم مرَّةً وتهيلُ درّاً تارة وشذورا
فترى نساءَ الحور ينتهبونه حوراً بذلك يجتذنين الحورا
فالي القيامة بينهنَّ هديَّةً ذاك النشارُ عشيةً وبكورا

فالشاعر يوظف الموروث الحديثي في عرض تفاصيل زواج السيدة الجليلة عليها السلام في السماء، فقد روي عن علي عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أتاني ملكٌ فقال: يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: إني قد زوجت فاطمة ابنتك من علي بن أبي طالب في الملأ الأعلى فزوجها منه في الأرض (٣٦).

وفي رواية أخرى قال عليه السلام: ((ما أنا زوجت علياً من فاطمة ولكن الله زوجه ليلة أسري بي عند سدرة المنتهى)) (٣٧). هذه التفاصيل العامة مع ما روي عن الأئمة المعصومين عليهم السلام بخصوص هذا الزواج كان محلَّ عناية الشاعر الذي يفاخر الآخرين بهذا التزوج الإلهي الذي لا تستطيع العقول الجاحدة لنورانية أهل البيت عليهم السلام وروحانيتهم ومنزلتهم السامقة عند الله تعالى وملائكته أن تتصوره أو تتخيله، فيعرضه بصورة سردية رائعة مثلت إيماؤه المطلق بأئمة الميامين.

وهذه التفاصيل يعيد إخراجها الشاعر بصورة ثانية فنراه يقول أيضاً في قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين وأهل البيت (عليهم السلام) (٣٨):

نصبَ الجليل لجبرئيلٍ منبراً في ظلّ طوبى من متون زبرجدِ
شهدَ الملائكةُ الكرامَ وربُّهم وكفى بهم وبربهم من شُهدِ
وتناثرت طوبى عليهم لؤلؤا وزمرداً متتابعاً لم يعقدِ
وملاكُ فاطمة الذي ما مثله في متهم شرقاً ولا في منجدِ

ويستذكر الشاعر بعد هذه الأبيات حادثة المباهلة التي كانت السيدة الزهراء (عليها السلام) طرفاً رئيساً فيها، فنراه يقول (٣٩):

وبكرن علقمة النصارى إذ عتتْ في عزّها والباذخ المتعقدِ
إذ قال كرّر هاتمُ أبناءكم ونساءكم حتى نُباهلَ في غدِ
فأتى النبيُّ بفاطمٍ ووليها وحسين والحسن الكريم المصعدِ
جبريل سادسهم فأكرم سادس وأخير منتجبٍ لأفضل مشهدِ

فالشاعر حين ذكر زواج فاطمة (عليها السلام) بعلي (عليه السلام) في السماء استحضر قضية أخرى مرتبطة بها أيضاً وهي قضية المباهلة المعروفة، يدلنا على ذلك تكراره لاسمها الشريف في كلتا القضيتين.

والقضيتان في باب عرض مناقب أهل البيت (عليهم السلام) بوجه عام، وأمير المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السلام) بوجه خاص. وأراد الشاعر عبر هذه المضامين أن يوصل رسالة مفادها أن أهل البيت (عليهم السلام) عموماً ورثة الله في أرضه وسماؤه، وأنهم باب الله المؤتى، وأن من تمسك بهم نجا، ومن نكر حقهم وجحد هلك، وجزاؤه جهنم خالداً فيها. وهذا السياق في عمومه هو سياق مدحي لأهل البيت (عليهم السلام).

أما السياق الثاني الذي جاء ذكر فيه السيدة فاطمة عليها السلام فهو سياق رثائي يطغى عليه الأسى والحزن، وهو عبارة عن بيتين يعرض لوصيتها عليها السلام قبيل وفاتها^(٤٠):

وفاطمٌ قد أوصتُ بأن لا يُصلِّيَا عليها وأن لا يدنوا من رجا القبرِ
علياً ومقداداً وأن يخرجوا بها رويداً بليلٍ في سكون وفي سترِ

فالنص يعرض لوصية فاطمة الزهراء عليها السلام التي أوصتها الإمام علياً عليه السلام، وهذه الوصية تكشف عن مدى غضبها وألمها الكبير ممن اغتصب حقها في إرث أبيها عليه السلام، وحق زوجها علي عليه السلام في خلافة المسلمين، وما فعلوه منتجاسرٍ وتطاول على بيتها المقدس حتى أسقطوا جنينها خلف الباب، وقادوا زوجها عليه السلام عنوة كي يبايع من اغتصبهم حقهم. وهذه الأمور جعلت فاطمة عليها السلام توصي علياً بأن يدفنها في ستر من الليل، وأن لا يعلم مغتصبو حقها بمكان قبرها حتى يكون حجة دامغة على فعلتهم النكراء الشنيعة.

ويرجح الباحث - بسبب ما عرف عن الشاعر السيد الحميري من طول في النفس و إمكانية كبيرة في النظم، وما عرف عنه بالتصريح بمن اغتصب حقوق أهل البيت عليهم السلام - أن هذين البيتين هما جزء من قصيدة خصت الزهراء عليها السلام أو خصت الإمام علياً عليه السلام وما وقع عليه من ظلم وجور وخصص جزءاً لمصيبة زوجته فاطمة عليها السلام، وهذا المنحى ليس غريباً على توجهات الشاعر الذي يجمع فضائل أهل البيت عليهم السلام في قصيدة واحدة، ويجمع مصائبهم في قصيدة أخرى إمعاناً منه في الانتفاء العقائدي الذي كرس حياته وشعره له.

وعلى العموم لم يصل من القصيدة سوى هذين البيتين اللذين احتفظت بهما كتب التراجم الشيعية^(٤١) دون غيرها، الأمر الذي ينبئ أن ما تعرضت له هذه السيدة الجليلة عليها السلام من عدوان كان محظوراً تداوله أديباً، وأن من يأت به في شعره يقتص منه،

ويمارس معه أبشع وسائل القهر والتنكيل. وهذا يقودنا إلى القول، إن ما تعرضت له بضعة الرسول ﷺ ظلَّ مكتماً عليه إعلامياً، ويحاسب كل من يتفوه به، لأنه يُعرض عروش معتصبي حقها والمتمتمين لهم والساكنين مسلكهم للترزع والانهيار، لذا يعتقد الباحث أن هذا اللون من التصريح بمظلومية الزهراء ﷺ مورس معه الحظر القسري لزم من طويل جداً، حتى إننا لا نجد له ملامح في دواوين الشعراء الشيعة في حقبة الدراسة سوى أبياتٍ قليلة لا تتناسب مع حجم الفاجعة المعروفة التي حلت بالزهراء ﷺ.

ولعل الشاعر الشيعي مُحمَّل بضغوط كبيرة بمرور الأحداث والمصائب التي حلت بأهل البيت ﷺ، وبخاصة ما حدث للإمام الحسين ﷺ في واقعة الطف وما جرى عليه وعلى عياله من قتل وسبي تلك الواقعة التي «شكَّلت منعطفاً تاريخياً مهماً في حياة الشيعة بشكل خاص، وحياة المسلمين بشكل عام...»^(٤٢) وقد وقف الشاعر عليها ملياً ليعيد حساباته في ظل واقع جديد اختلفت معطياته وغطى على الأحداث التي سبقتها. لذلك نرى أن قضية الطف لخصت جميع قضايا أهل البيت ﷺ وصهرتها، وعلى راس تلك القضايا قضية الزهراء ﷺ إذ أعطتها أبعاداً جديدة مضافة في ظل هذه القضية العامة التي هزَّت كيان الأمة الإسلامية جمعاء. فشغلت قضية الطف بها من عمومية إسلامية وخصوصية شيعية بال الشعراء الشيعة، وجعلتهم يصدرونها أشعارهم على حساب قضايا أهل البيت ﷺ الأخرى كقضية الزهراء ﷺ التي بدت قضية جزئية -على أهميتها وعظمتها- أمام قضية سبط الرسول ﷺ العامة. ومن هنا بدأ الشعراء الشيعة يذكرون الزهراء ﷺ في ظل واقعة الطف وما جرى على ابنها الحسين الشهيد المظلوم ﷺ. ومن تلك الأشعار ما وجدناه عند السيد الحميري في السياق الثالث الذي رصد في شعره وهو ذكرها مع مصاب ابنها الإمام الحسين ﷺ، فنراه يقول^(٤٣):

أمرر على جدث الحسين وقل لأعظمه الزكيه
يا أعظماً لا زلت من وطفاء ساكبة رويّه
فإذا مررت بقبره فأطلّ به وقف المطيه
وابك المطهر للمطهر والمطهرة النقيه
كبكاء معولة غدت يوماً بواحدھا المنيه
جعلوا ابن بنت نبيهم غرضاً كما تُرمى الدرّيّه

فقد كنى عن الحسين عليه السلام وعن أبيه عليه السلام وعن أمه عليها السلام بألفاظ الطهر والطيهاره لتأكيدا أنهم سلالة طاهرة مطهرة، وهم مصداق آية التطهير التي أنزلها الله فيهم. ونجد هذا المنحى في ذكر فاطمة الزهراء عليها السلام عند ذكر ولدها الحسين عليه السلام وما جرى عليه يوم عاشوراء عند دعبل الخزاعي (ت ٢٤٦هـ) في قوله ^(٤٤).

رأس ابن بنت محمدٍ ووصيّه يا للرجالِ على قنائةٍ يُرفَعُ
والمسلمونَ بمنظرٍ وبمسمعٍ لا جازعٌ من ذا ولا متخشّعُ

وهذا الذكر للسيدة الزهراء عليها السلام جاء ليلقي حُجّة انتساب الحسين عليه السلام إلى الدوحة المحمدية والى النسب العريق فأمه فاطمة عليها السلام بنت محمد عليه السلام نبي هذه الأمة، وأبوه علي عليه السلام وصي النبي عليه السلام من بعده، فأى انتهاك للحقوق صار بقتله على أيدي هذه الأمة التي تدعي أن نبيها محمد عليه السلام وهم على دينه ونهجه قائلون؟! ونجد عند دعبل الخزاعي في تائيته الشهيرة في رثاء أهل البيت عليهم السلام والتفجع لمقاتلهم، وما جرى عليهم، نراه يذكر فاطمة الزهراء عليها السلام ويوجه نداءه إليها بقوله ^(٤٥):

أفاطمُ لو خلتِ الحسينِ مجدّلاً وقد ماتَ عطشاناً بشطّ فِراتِ
إذنٍ للطمتِ الخدّ فاطمُ عنده وأجريتِ دمع العينِ في الوجناتِ
أفاطمُ قومي يا أبنة الخيرِ واندي نجومَ سماواتِ بأرضِ فلاةِ

والواضح أن الشاعر اصطنع مشاركة وجدانية خيالية للسيدة الزهراء عليها السلام عبر مناداتها ثلاث مرات للنظر إلى ابنها الحسين عليه السلام ومصرعه، ووصف ما يمكن أن تقوم به من لطم على الخدود وسكب للدموع؛ انه منظر مؤلم يزيد المشاعر حدّة ووجعاً ويستدر الدمع والبكاء والنحيب على حال السيدة الجليلة عليها السلام، وعلى ما جرى على ابنها الشهيد المظلوم عليه السلام؛ ويعمد الشاعر إلى توسيع نذب الزهراء فاطمة عليها السلام على تلك النجوم الخيرة التي سقطت في أرض كربلاء وفلواتها من أولاد الحسين عليهم السلام وإخوته وصحبه الغر الميامين الذين قدموا أنفسهم قرابين دون الحسين عليه السلام. ونستشف من وراء توظيف الشاعر لاسم السيدة فاطمة عليها السلام جملة من الأمور أهمها:

١. إيمان الشاعر الشيعي بالحضور الروحي لائتمته في مجالس العزاء الخاصة بأهل البيت عليهم السلام، وتصورهم فيها مشاركين بالعزاء والتفجع.
٢. إن مظلومية الحسين عليه السلام وما جرى عليه وعلى أهل بيته وأصحابه في يوم عاشوراء هي امتداد لمظلومية فاطمة الزهراء عليها السلام وما جرى عليها من مصائب أودت بحياتها المقدسة.
٣. أن الأمة التي اشتركت أو قامت باغتصاب حقوق فاطمة عليها السلام وما فعلوه بها هي الأمة نفسها التي قتلت ابنها في واقعة الطف.
٤. إن وقوع الشاعر الشيعي تحت طائلة المظلومية المتأتمية من مظلومية من آمن بهم وجعلهم أئمة له وقادة جعلته يصنع من دمعه وصبره ثورة في الخفاء تقض مضجع الظالمين وتؤرقهم، وتهدهم في الوقت نفسه بقيام الموعود من أهل البيت عليهم السلام ليقتنص من الجناة والظالمين.

ويمكن أن نسجل أمراً جديراً بالتسجيل وهو أن هذا التوظيف لاسم السيدة فاطمة عليها السلام من لدن الشاعر يعدُّ جديداً في تطور القصيدة الخاصة بأهل البيت عليهم السلام

عموماً والقصيدة الطفية على وجه الخصوص، ومن ثم ستكون نواة في بنية القصيدة الفاطمية، وهذا ما سنلمسه في أشعار الشيعة فيما بعد. وفي غير هذا السياق نجد لدعلب الخزاعي قصيدة في مدح آل الرسول ﷺ وفيها يذكر تزويج الزهراء ﷺ من علي ﷺ في السموات العلى فهو القائل^(٤٦):

صهر الرسول على الزهراء زوجهُ الله العليُّ بها فوق السمواتِ
فأثمرت خير أهل الأرض بعدهما أعني الشهيدين سادات البرياتِ

ثم يقول ذاكراً كيف انتهى بهما المطاف:

إذا سقى حسناً سماً معاوية أو على حسينٍ يزيدٌ شنَّ غارات

ثم يذكر سبب هذا العداء وبدايته من الذين ظلموا أمهما الزهراء ﷺ:

لذاك ممن بدا في ظلم أمهما حتى قضت غضباً من ظلمها العاتي
وقاد شيخهما قسراً لبيعة من قد كان بايعه في ظلِّ دوحاتِ
ظلامه لم تزل تستنُّ إثرهم لم تُثنَّ عن سالف منهم ولا آتِ

فلحظ الشاعر قد دمج مدح أهل البيت ﷺ ورتاءهم في هذه الآيات ولا غرابة عند الشاعر الشيعي عندما سلك هذا المنحى، فهو ينظر إليهم نظرة كلية غير متجزئة، فهو يجلهم ويمدحهم وفي الوقت نفسه يذكر ما وقع عليهم من ظلم وجور وقتل. وهنا يذكر الشاعر تزويج فاطمة ﷺ من الإمام علي ﷺ برعاية إلهية فوق السموات، وقد أثمر هذا الزواج المقدس الحسن والحسين ﷺ سيدي شباب أهل الجنة والأرض، ولكنه كنى عنها بالشهيدين، مما استدعى أن يذكر كيف استشهدا؛ فواحد في السموات وواحد من يزيد، وأراد أن يبحث عن سبب استشهادهما الحقيقي فرجع إلى الوراء قليلاً ليجد السبب فيمن ظلم أمهما الزهراء ﷺ، وغضب حقها،

وقضت وهي غاضبة عليه لما قام به من استلاب للخلافة وبيعته من زوجها علي عليه السلام الذي بوع في غدِير خُم الموقع الذي كنى عنه بـ ((في ظل دوحات)). وهذه الظلامه بقيت ولا زالت بل أصبحت سُنَّة متبعة من سالف إلى آت. ولعل هذه الفلسفة التي أقرها الشاعر هي مما تعارف عليه الشيعة في أدبياتهم، والمعنى أن ظلامه الشيعة بدأت يوم استلب واعتصب حق علي عليه السلام في خلافة المسلمين، وتنكر كثير من المسلمين لبيعتته في واقعة يوم الغدير المعروفة، وجاءت المطالبة بها من لدن فاطمة عليها السلام التي زاد عليها استلابهم لحقوقها في إرث أبيها عليه السلام، وفعلوا ما فعلوا من جراء ذلك. وإذا انتقلنا للشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) فإننا نجد يذکر فاطمة عليها السلام عندما يذکر مصيبة الحسين عليه السلام، فنراه يقول ^(٤٧):

شغل الدموع عن الديار بكاؤنا لبكاء فاطمة على أولادها

وفي أخرى يقول ^(٤٨):

يوم حدا الطعن فيه لابن فاطمة سنان مطرد الكعبين ممطور

وفي قصيدته المشهورة (كربلاء لازلت كرباً) نراه يقول موجهاً خطابه إلى

الرسول صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام وأمير المؤمنين عليه السلام ^(٤٩):

يا رسول الله يا فاطمة يا أمير المؤمنين المرتضى

ثم يستفهم بقوله:

كم رقاب من بني فاطمة عرقت ما بينهم عرق المدى

ويقول فيمن يبكي قتيل الطف ^(٥٠):

ميتٌ تبكي له فاطمة وأبوها وعلى ذو العلي

وقد مرَّ بنا ما اصطنعه دعبل وغيره من شعراء الشيعة في هذه المشاركات الوجدانية التي تزيد من ألم الفاجعة وحرقتها في قلوب المؤمنين، وكأنه أصبح سنَّة فنية موضوعية متعارفة عند هؤلاء الشعراء. ولكننا نجد عند الشريف الرضي ملهماً جديداً يضاف إلى تطور القصائد الفاطميات وهو افتخاره بنسبه العلوي الذي ينحدر منه فنراه يقول في إحدى قصائده الطفية^(٥١):

صبغ القلبُ حبكم صبغة الشيب وشيبي لولا الردى لا يحولُ
أنا مولاكم وإن كنتُ منكم والدي حيدرٌ وأمِّي البتولُ

فهو «يلهج بحب أهل البيت عليهم السلام مذكراً بإخلاصه التام لهم، وقد صبغ حبهم قلبه صبغة الشيب دلالة على عظمه، وأنه لا يفارقه حتى بالموت، وهو عبد لهم مطيعٌ وإن كان ينحدر منهم (دلالة على الطاعة التامة لهم)، فوالده حيدرٌ كناية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وأمّه البتول كناية عن فاطمة عليها السلام». ثم يقول: «إن الناس إذا أدركوا غاية الفخر كان أسبقهم وأرفعهم منزلة من كان جده الرسول صلى الله عليه وآله»^(٥٢) وهنا قصد نفسه:

وإذا الناس أدركوا غاية الفخرِ شأهم من قال جدي الرسولُ

ولعل هذه الطريقة التي أوجدها الشريف الرضي في التعامل مع أهل البيت عليهم السلام، قد أغرت الشعراء فيما بعد أن يسلكوا هذه الطريقة؛ فالانتماء لهم والحب الحقيقي الذي يكنه محبهم ومتبعهم جديرٌ أن يفتخر به، وان يعلن على الملأ، وهنا تساوى من كان متصلاً بهم بصلة الدم أو متصلاً بهم بصلة العقيدة، فالشاعر الشيعي بوجه عام ينظر إلى أئمة على أنهم المبعوثون رحمة للعالمين، وأنهم قادة الأمة ومصايح الهداية، والنور الذي ينبغي أن يتبع لان النجاة في اتباعه، وان من عقائده ولايتهم وبغض أعدائهم من الجنة والناس أجمعين.

توجه خطابه له لتعرض ما جرى على ولديها الحسن والحسين عليهما السلام من مصاب أليم.
يقول:

وأقبلت الزهراء قدّس تربها تنادي أباهما والمدامعُ سجمُ
تقولُ أبي هم غادروا ابني مُهبةً لما صاغه قينٌ وماسجٌ أرقمُ
سقوا حسناً للسمِّ كأساً رويّةً ولم يقرعوا سنّاً ولم يتندّموا
وهم قطعوا راسَ الحسين بكر بلا كأثمّ قد أحسنوا حين أجرموا

ثم يقول:

فخذ منهم ثاري وسكّن جوانحاً وأجفانَ عينٍ تستطير وتسجمُ
أبي! وانتصر للسبِّ واذكر مصابه وغلّته والنهرُ ريانُ مفعمُ
وأسر بنيّه بعده واحتماهم كأثمّ من نسلٍ كسرى تغنّموا

إن هذه الأبيات تذكرنا بما صنعه من قبل الشاعر دعبل الخزاعي ولكن الشاعر هنا فصل القول أكثر وأعطى للمصيبة ومشاركة فاطمة عليها السلام فيها أبعاداً جديدة مضافة مؤثرة في نفس المتلقي وقد استدرت دمه ونحيبه. ويوجه الشاعر خطابه نحو متلقيه في ختام قصيدته، ليرسل حكمة بالغة، وعظة تجعله يتفاعل، ويسكب الدموع في حق الحسين عليه السلام ومصيبته العظيمة ويوجه الشاعر خطابه نحو المغرور ليذكره بغضب الله لبنت رسول الله صلى الله عليه وآله على الذين فعلوا فعلتهم النكراء في حقّ بنينا، أين أصبحوا وما كان مصيرهم ومصير ظلمهم وإجرامهم فهو يقول:

قضى الله أن يعصى عليهم عبيدهم لتشقى بهم تلك العبيدُ وتنقمُ
هم القوم أما سعيهم فمغيّبٌ مضاع وأما دراهمُ فجهنمُ
فيا أيها المغرورُ والله غاضب لبنتِ رسولِ الله أينَ تيمّموا؟

ويختتمها بقوله:

قفوا ساعدونا بالدموع فإنها لتصغر في حق الحسين ويعظم

هكذا نجد ذكر فاطمة عليها السلام قد تعلق بذكر الحسين عليه السلام ومصيبته في واقعة الطف، وتباين الشعراء في توظيف ذكر الزهراء في قصائدهم الطفوية، فمنهم من عرج عليها بشكل عارض، ومنهم من جعل لها دوراً وجدانياً في تلك الواقعة استوحاه الشاعر من ألم مصابها عليها السلام ومن ألم مصاب ابنها الحسين وأهله بيته عليهم السلام، ومزج الشاعر بين آلامها بصورة تستجلب الدمع والنحيب.

... الخاتمة ...

بقي أن نقول إن هذا ما أمكننا استكشافه في مسيرة الشعر العربي الذي تعلق بالسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام حتى القرن السابع الهجري ولا ريب في أن تطور الشعر الخاص بالسيدة الجليلة عليها السلام لم يقتصر على هذه المحاور المرصودة، وإنما بدأ يظهر عليها ثيمات جديدة وظَّفها الشاعر الشيعي في قصائده الخاصة بأهل البيت عموماً أو تلك التي خصَّت الحسين عليه السلام حتى ظهرت القصيدة الفاطمية بشكل اقترَب كثيراً من الثيمات المرصودة في هذا البحث بحيث نجدها في قصيدة واحدة أو يختار الشاعر من تلك الثيمات بما يتناسب وانفعاله الشعري وخزينه الثقافي والمعرفي وما مثلته تلك السيدة الجليلة عليها السلام في فكره ووجدانه وعقيدته، وهذا ما سيوضحه الباحث ان شاء الله تعالى في بحث يستكمل ما بدأه.

١. أشار مقوم البحث مشكوراً الى وجود كتاب بخمسة أجزاء تحت هذا المصطلح (الفاطميات) مشاعر الوفاء في قصائد الزهراء عليها السلام للخطيب علي حيدر المؤيد، ط ١، دار العلوم، بيروت لبنان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م. وعند العثور عليه تبين انه جمعُ لما قيل من قصائد وأشعار في حق الزهراء عليها السلام، ولم أجد الكاتب في مقدمته قد تناول المصطلح بهذا التقين الذي ذكرته، فضلاً عن عدم التأصيل له والبحث عن جذوره وبدايات نشأته، والثيمات الموضوعية والفنية التي اشتملت عليها الأشعار والقصائد الفاطميات، وهو ما قام به هذا البحث.
٢. وكذلك مصطلح (الزينية) نسبة إلى السيدة زينب بنت فاطمة وعلي عليهما السلام.
٣. ذكر النسابون انه ولده من الفواطم أربع فواطم قرشية وقيسيتان وأزدية فأما القرشية فولدته من أبيه عبد الله بن عبد المطلب، فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم والقيسيتان أم عمرو بن عائذ بن عمران وهي فاطمة بنت ربيعة بن عبد العزى بن رزام بن

- بكر بن هوزان وأمها فاطمة بنت الحارث بن بهثة بن سليم بن منصور و الأزديّة أم قصي بن كلاب وهي فاطمة بنت سعد بن سيل. تاريخ اليعقوبي: ١/١٥٣.
٤. والفواطم هن: فاطمة الزهراء بنت محمد عليه الصلاة والسلام، وفاطمة بنت الحمزة، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب.
٥. كشف الغمة ٢/ ٩٠.
٦. صحيح البخاري كتاب الفضائل باب مناقب فاطمة: ٣/ ١٣٧٤، خصائص الإمام علي عليه السلام للنسائي: ١٢٢، الجامع الصغير: ٢/ ٦٥٣ ح ٥٨٥٨، كنز العمال: ٣/ ٩٣٩٧ / منتخب بهامش المسند: ٥/ ٩٦، إسعاف الراغبين: ١٨٨، ذخائر العقبى: ٣٧، ينابيع المودة: ٢/ ٧٩٥٢.
٧. سنن الترمذي باب فضل فاطمة: ٣/ ٢٤٠، كنز العمال: ١٣/ ٩٣، منتخب كنز العمال بهامش المسند: ٥/ ٩٦، الصواعق المحرقة الفصل الثالث: ١٩٠.
٨. الصواعق المحرقة: ١٧٥، مناقب الإمام علي عليه السلام لابن المغازلي: ٣٥١.
٩. بحار الأنوار: ٤٣/ ١١٥.
١٠. المدائح النبوية في الادب العربي: ٣٩.
١١. العلوي: مصطلح يطلق على الشخص المخلص في حبه واتتمائه إلى الإمام علي ولفاطمة الزهراء عليها السلام أو المنتسب إليها. ينظر الطفيات المقولة والإجراء النقدي: ١٧.
١٢. المدائح النبوية في الأدب العربي: ٤١.
١٣. م.ن: ٤١-٤٢.
١٤. المدائح النبوية: ٥٩.
١٥. م.ن: ٦٠.
١٦. م.ن.
١٧. صحيح الترمذي: ٢/ ٣٠٨.
١٨. المدائح النبوية: ٦٠-٦١..
١٩. ديوان الفرزدق: ٥١١.
٢٠. تاريخ الطبري: ٣/ ٤٨٩.
٢١. شرح هاشميات الكميت بن زيد الاسدي: ٢٠٢. وفي البيت الأول رواية ثانية.
٢٢. شرح هاشميات الكميت بن زيد الاسدي: ٦٢-٦٥. وبكيل وأرحب: حيان من همدان، وهي كهلانية قحطانية. يجابر: قبيلة من مراد وهي كهلانية. عبد القيس من جديلة من أسد، ربعة وهي عدنانية. مؤرّب: تام.

٢٣. أدب السياسة في العصر الأموي: ٢١٢.
٢٤. الاحتجاج: ١/١٣٨.
٢٥. بنية الحجاج من منظور لسانيات الخطاب في خطبة الزهراء (عليها السلام)، مجلة العميد، السنة الثالثة، المجلد الثالث، العدد التاسع جمادى الاولى ١٤٣٥ هـ - اذار ٢٠١٤ م: ٩٧-٩٨.
٢٦. م.ن: ١٠٢.
٢٧. العصر العباسي الأول: ٢٩٩.
٢٨. أدب السياسة في العصر الأموي: ٢١٢.
٢٩. شعر مروان بن أبي حفصة: ١٠٤.
٣٠. أدب السياسة في العصر الأموي: ٢١٣.
٣١. هذا الرد قائم على أن البنت ترث نصف ثروة أبيها في حين أن أخاه لا يرثه في حالات عدة، وفي البيت الأخير تنديد بالعباس عم النبي ﷺ، لأنه كان قد أسر مع المشركين يوم بدر ثم افتدى نفسه وهو من الطلقاء. ينظر: م.ن.
٣٢. شعر منصور النمرى: ١٢١.
٣٣. العصر العباسي الأول: ٣١٧.
٣٤. شعر منصور النمرى: ١٢٣.
٣٥. ديوان السيد الحميري: ١٠٢.
٣٦. ذخائر العقبى للمحب الطبري: ٣١.
٣٧. هذا النص من كلام طويل مختصره «هبط جبرئيل عليه السلام... فقال: يا أحمد، إن الله تعالى يقرؤك السلام، ويقول: قم إلى علي بن أبي طالب، فإن مثله مثل الكعبة يُحج إليها، ولا تحج إلى أحد، إن الله تعالى أمرني أن أمر رضوان خازن الجنة أن يزين الأربع جنان، وأمر شجرة طوبى وسدرة المنتهى أن تمحلا الحلي والحلل، وأمر الحور العين أن يتزين، وأن يقفن تحت شجرة طوبى وسدرة المنتهى، وأمر ملكاً من الملائكة، يقال له راحيل وليس في الملائكة أفصح منه لساناً، ولا أعذب منطقاً، ولا أحسن وجهاً، أن يحضر إلى ساق العرش، فلما حضرت الملائكة والملك أجمعون، أمرني أن أنصب منبراً من النور، وأمر راحيل ذلك الملك أن يرقى، فخطب خطبة بليغة من خطب النكاح، وزوج علياً من فاطمة بخمس الدنيا لها ولولدها إلى يوم القيامة، وكنت أنا وميكائيل شاهدين، وكان وليها الله تعالى، وأمر شجرة طوبى وسدرة المنتهى أن تنثرا ما فيها من الحلي والحلل والطيب، وأمر الحور أن يلقطن ذلك، وأن يفتخرن به إلى يوم القيامة، وقد أمرك الله أن تزوجه بفاطمة في الارض،...» ينظر: دلائل الإمامة للطبري: ٨٢. والبحار: ٤٣/١٠٩ والمناقب: ٣/١٢٤.

٣٨. ديوان السيد الحميري: ٨٧-٨٨.
٣٩. م.ن: ٨٨-٨٩.
٤٠. م.ن: ١١٨.
٤١. خرّج محقق ديوان السيد الحميري هذين البيتين من المناقب: ٣/٤١٢، واعيان الشيعة: ٣ / ٤٢٢.
٤٢. الطفيات المقولة والاجراء النقدي: ١٥.
٤٣. ديوان السيد الحميري: ٢٦.
٤٤. ديوان دعبل الخزاعي: ١٢٧.
٤٥. م.ن: ٦١.
٤٦. ديوان دعبل الخزاعي: ٧١.
٤٧. ديوان الشريف الرضي: ٣٦١.
٤٨. م.ن: ١/٤٨٨.
٤٩. م.ن: ١/٤٦.
٥٠. م.ن: ١/٤٧.
٥١. م.ن: ٢/١٩٠.
٥٢. الطفيات المقولة والاجراء النقدي: ٦٣.
٥٣. ديوان تميم بن المعز الفاطمي: ٤٥٥-٤٥٦.
٥٤. نفح الطيب: ٥/٦٩.
٥٥. مأساة الحسين عليه السلام في الاندلس، مجلة المناهل، العدد ١٤، السنة السادسة ١٩٧٩م: ١٠٢.

المصادر والمراجع

١. الاحتجاج، ابو منصور احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي، تعليقات وملاحظات السيد محمد باقر الخرساني، منشورات النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.
٢. أدب السياسة في العصر الأموي، د. احمد محمد الحوفي، دار القلم، بيروت، لبنان، د.ط، ت.
٣. إسعاف الراغبين بذيل نور الأبصار، للشيخ محمود بن علي الصّبان. دار الفكر، دمشق.
٤. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٥. بنية الحجاج من منظور لسانيات الخطاب في خطبة الزهراء عليها السلام، فاطمة كريمسن، مجلة العميد، السنة الثالثة، المجلد الثالث، العدد التاسع، جمادى الاولى ١٤٣٥هـ / آذار ٢٠١٤م.
٦. تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، مصر ١٩٦٩م.
٧. تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار العارف، مصر ١٩٦٦م.
٨. تاريخ يعقوبي، تأليف أحمد بن يعقوب بن وهب المعروف بـ (اليعقوبي) تحقيق: عبد الأمير المهنا، طباعة ونشر مؤسسة الاعلامي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
٩. الجامع الصغير من حديث البشير النذير، لجلال الدين السيوطي. تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دمشق.
١٠. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي. دار الكتاب العربي، بيروت.
١١. دلائل الامامة، ابو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري، ط٢، منشورات مؤسسة الاعلامي للمطبوعات ١٩٨٨م.
١٢. ديوان السيد الحميري، شرحه وضبطه وقدم له ضياء حسين الاعلامي، ط١، منشورات مؤسسة الاعلامي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
١٣. ديوان الشريف الرضي، دار صادر ودار بيروت، د.ط.ت.
١٤. ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له: الاستاذ علي فاعور، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

١٥. ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.
١٦. ديوان دعبل الخزامي، شرحه وضبطه وقدم له ضياء حسين الاعلمي، ط١، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
١٧. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، لمحب الدين الطبري. مؤسسة الوفاء، بيروت.
١٨. سنن الترمذي، تحقيق ناصر الدين الألياني، مكتب التربية العربي لدول الخليج.
١٩. شرح هاشميات الكميت بن زيد الاسدي بتفسير أبي رياش احمد بن إبراهيم القيسي، تحقيق د. داود سلوم و د. نوري حمودي القيسي، ط٢، عالم الكتب ودارالكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٢٠. شعر مروان بن أبي حفصة، جمع وتحقيق: د. حسين عطوان، ط٣، دار النشر: دار المعارف.
٢١. شعر منصور النمري، جمع وتحقيق: الطيب العشاش، الناشر: دار المعارف للطباعة، دمشق ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٢٢. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري. تحقيق الدكتور مصطفى البغا دار العلوم الإنسانية، دمشق.
٢٣. الصواعق المحرقة، لأحمد بن حجر الهيثمي المكي. تحقيق عبد الوهاب اللطيف مكتبة القاهرة ت مصر.
٢٤. الطفيات المقولة والإجراء النقدي، ط١، صادرة عن العتبة الحسينية، قسم الشؤون الفكرية والثقافية تحت رقم (٧١)، والمطبوع في مطابع مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
٢٥. كشف الغمة في معرفة الأئمة، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الاربلي، ط٢، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ١٩٨٥م.
٢٦. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي الهندي. دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الهند.
٢٧. مأساة الحسين في الأندلس، د. عبد السلام المهراس، مجلة المناهل، العدد الرابع عشر، السنة السادسة ١٩٧٩م.
٢٨. المدائح النبوية، د. محمود علي مكي، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوجان، سلسلة أدبيات ١٩٩٩م.
٢٩. المدائح النبوية في الأدب العربي، د. زكي مبارك، ط١، دار الجيل، بيروت، لبنان ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
٣٠. مناقب الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام، لأبي الحسن علي بن محمد الشافعي الشهير بابن المغازلي من منشورات المكتبة الإسلامية.

٣١. منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت.

٣٢. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت ١٠٤١هـ) تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٦٨م.

٣٣. ينابيع المودة لسليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، تحقيق سيد علي جمال أشرف.

السَّيِّدَةُ الزَّهْرَاءُ عليها السلام
بَيْنَ سُلْطَةِ النَّصِّ السَّمَاوِيِّ وَسُلْطَةِ الْمُرُوثِ
قِرَاءَةٌ مُعَاَصِرٌ لِلرُّوَايَاتِ التَّارِيخِيَّةِ
فِي مَجْتَمَعِهَا بَعْدَ أَيَّامِهَا صلوات الله
وعلى آله

AL-Sayada Al-Zahrah
Between the Power of the Divine
Text and the Power of the Inherited
Contemporary Reading on the
Historical Narratives of Her Ordeal
After the Quietus of Her Father

أ.م.د. داؤد سلمان خلف الزُّبَيْدِيِّ

جامعة بغداد

كلية التربية - ابن رشد . قسم التاريخ

Prof. Dr. Dawood S. K. Al-Zubeidi

Department of History

College of Education - Ibn Rushd

University of Baghdad

خضع البحث لبرنامج الاستئلال العلمي

Turnitin - passed research

ملخص البحث

البحث دراسة لبعض المرويات الحديثية والتأريخية التي تناقلتها المصنفات المصدرية الإسلامية التي تناولت محاجة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام الخليفة الأول، والجيل الأول من الصحابة عامة والمهاجرين منهم خاصة، في محاولة لتذكير الأمة وإلزامها الحجة بما عهدته إليها نبيها الكريم محمد صلى الله عليه وآله وأمرها بالتمسك به بعد وفاته إلا أنها سرعان ما تناست وصيته وتنازعت أمرها وكانت مأساتها الأولى موضوعة الحاكمية ومن هو الحاكم بعد النبي صلى الله عليه وآله.

فضلا عن ذلك بيان ندم الخليفة على عدم سؤاله الرسول صلى الله عليه وآله عن ذلك الأمر. حاول البحث الإشارة إلى أن الزهراء عليها السلام استنطقت الآيات القرآنية الكريمة والحديث النبوي الشريف لبيان حقها عليها السلام بينما استحضرت الأمة قيم القبيلة كحجية المشيخة والأفضلية القبلية وتطويع النص، وتلك جدلية صراع الأمة حتى يومنا هذا.

ABSTRACT

The present study is a focus on certain historical and modern narratives the Islamic categorized sources use in explicating the argumentation of Sayadat. Fatima Al-Zahrah with the first caliph during the first generation of the companions in general and the migrated in particular just to remind the nation of what the prophet decrees after he slumbered. Yet the nation gives slip to his will and runs inimicality; the scepter was the first of their dissension, beside the contrition of the caliph for not inquiring the prophet about such an issue.

The research paper endeavours to manipulate the Quranic Ayats and the prophetic speeches Al-Zahrah employs, in time the nation summons the ground states of the tribe heads and the tribal priority and twists the text; it is a controversy of the nation struggle up till now.

... المقدمة ...

هذا البحث زفرات ليست للدفاع عن مذهب آل البيت ﷺ إذ كفاهم نصراً قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(١)، إنما هو عرض للقليل من الروايات التاريخية التي لم تطلها عقول أعدائهم والمتزلفين لهم وأقلامهم من تحريفها وحذفها ومن مصادر متنوعة وبأسانيد طرقها ينتمي إلى الجيل الأول من المسلمين عليها تزيل الغشاوة عن بصائر عميت ونفوس جبلت على تبجيل الحاكمية وتعظيمها على مر العصور واحترام السيف والذهاب بعيداً عن المنهج العقلي.

فضلاً عن عرض هذه الروايات يتوجب على البحث دراستها دراسة نقدية تحليلية؛ إذ أتاح تطور مناهج البحث في التاريخ تعدد الدراسات النقدية للمرويات التاريخية الإسلامية عامة وروايات القرن الأول الهجري / السابع الميلادي خاصة لما شاب تلك الروايات من اختلاف في المضامين وحذف وإضافات.

فضلاً عن تنوع طرق الرواية والتوثيق تبعاً للتجاذبات القبلية والمنافسات الشخصية التي كان في مقدمتها هيمنة الطبقة الارستقراطية من قريش على القرار السياسي الإسلامي وتوظيف الأحقية في الإرث النبوي لقريش أولاً ومنازعة آل البيت النبوي ذلك الحق والتعامل مع المجتمع الإسلامي تعاملاً طبقياً بعد أن حاول الرسول الأكرم ﷺ إذابة تلك الطبقة بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار والعمل على جعل التقوى أساس القرب والبعد من الله تعالى على وفق المنظور الإسلامي فكراً وسلوكاً.

قال تعالى: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾^(٢). تلك السلوكيات أدت إلى تشويه كثير من المرويات التاريخية عن الوقائع والحوادث المهمة التي شكلت منعطفات مهمة في مسارات التاريخ الإسلامي لاحقاً.

فضلاً عما تقدم فإن الموروث الإسلامي في ما يخص المقدس الذي لا جدال فيه وفي مقابله الموروث المقدس الذي أنتجته السياسات الهادفة لإضفاء القدسية على كثير من المسميات الفردية والجمعية أفراداً وقبائل ومجموعات شكلت فيما بعد مصطلحات تشكلت وتنازعت بسببها التيارات الفكرية الإسلامية وما تزال تتنازع حد التقاتل إلى يومنا هذا.

ويمكن القول إن مؤرخي الإسلام وغيرهم ممن وثق تاريخ المسلمين من محدثين وفقهاء ومفسرين وكتاب تراجم وسير أسهموا بقصد أو من دونه في نقل كثير من تلك الروايات وتشويهها وهي روايات لو جرت دراستها دراسات تعتمد جميع حيثيات الرواية وسلوك أبطالها حين الفعل وبعد الوقوع في شراكه وبيان ما نتج عنه لتبين ان كثيراً من تلك الروايات كانت تسيء إلى من وضعت من أجل تزكيتهم قبل أن تحسن إليهم.

إن تبني مجموعة من العلماء والمؤرخين المسلمين للروايات الموثقة والملففة وإعادة صياغتها ونقلها في محاولة للتوفيق بين سلوكيات الجيل الأول من المسلمين في محاولة لدفع الشبهات عن تلك الأجيال والإيحاء للأجيال اللاحقة بان المجتمع الإسلامي الأول كان مجتمعاً ملائكياً وأنها كانت نجوماً زاهرة في محاولة تنافي التوثيق القرآني لسلوكيات بعضهم.

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمُھُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسَيِّئَاتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾^(٣)، وكذلك الاشارات النبوية الشريفة، روى مسلم بسنده عن الرسول الكريم محمد ﷺ قوله: ((آية المنافق بغض الانصار وآية المؤمن حب الأنصار))^(٤) وروى بسنده ايضا قول الرسول ﷺ: ((لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض))^(٥)، كذلك روايته ﷺ الحديث الشريف الآتي مسندا: ((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم))^(٦) روى ابن ماجه بسنده عن الرسول ﷺ قوله: ((المؤمن من امنه الناس على اموالهم وانفسهم والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب))^(٧) فضلا عن ذلك ما تواتر من روايات تشير الى الدرّة العمرية التي كان عمر بن الخطاب كثيراً ما يستعملها ضد المسيئين من الصحابة^(٨).

كان لتأخر زمن التدوين إلى أكثر من قرن ونصف من الزمان عن وقوع الحوادث التي أسست للتنازع والتخاصم أثرٌ مهمٌ في اجتذاب كثيرٍ ممن لم يشهد تلك الحوادث والوقائع إلى دائرة التنازع والتخاصم لأسباب فردية، وقبلية، وفتوية واقتصادية الأمر الذي أدى إلى الإيغال في تشويه تلك الروايات.

ما تقدم وغيره يدعو كل ذي عقل محايد يبحث عن الحقيقة الناصعة لطرح كثير من الأسئلة للبحث عن إجابات دقيقة غير تلك التي ترسخت في الذاكرة الجمعية للمجتمع العربي الاسلامي اتفاقاً واختلافاً.

إن الإجابات الموضوعية ستشكل منعطفات إيجابية تصحح كثيراً من الاعتقادات الخاطئة وتعيد النظر في كثير من الطروحات الفكرية التي كانت نتاجاً لعقلية التحزب والتعصب الذي حملته العقلية التي حاربها القرآن الكريم إلا أن تلك العقلية كانت صاحبة اليد العليا في عالم الحاكمية.

قال تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٩).

كل ما تقدم من كلام الله تعالى وحديث الرسول ﷺ وما يدل على شدة عمر بن الخطاب في تعامله مع الصحابة كاف للدلالة على ان مجتمع الجيل الأول كان يمثل مجتمعا بشريا تلقى رسالة سماوية وحاول جاهدا التغلب على ذاتيته وارثه المجتمعي من طريق تجسيد ما جاء به القرآن الكريم وسنة النبي محمد ﷺ وما عمل به الخلفاء والجيل الاول من عمل صالح الا ان كل المعطيات التي نقلتها لنا المرويات والمدونات التاريخية تدل على انه لم يفلح في مجاهدة هوى نفسه والتخلص من وساوس الشيطان.

هذا ما كان عليه الجيل الأول فكيف بالأجيال اللاحقة؟ لذا فإن مقولة أن تلك الأجيال كانت مؤمنة على المرويات التاريخية أمر فيه شك كبير.

ومن الروايات المهمة التي تبحث في مناهج بحثية لتصحيح مساراتها، المرويات التي تناولت سيرة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)^(١٠) الحاضنة الربانية للدم العربي الإسلامي النقي بما لا يقبل الجدل والتشكيك عند كل المسلمين الأمر الذي يكفيها تميزاً وقد شهدت لها عائشة إذ يوثق ابن حجر العسقلاني بسنده عنها قولها «ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة من فاطمة إلا أن يكون الذي ولدها ﷺ»^(١١)، وقولها أيضاً عندما سألتها أحد أبناء الصحابة قائلاً «اي الناس كان احب الى رسول الله ﷺ؟» قالت: فاطمة، فمن الرجال قالت: زوجها ان كان ما علمته صواماً قواماً^(١٢).

شكلت حياة الزهراء (عليها السلام) بعد وفاة أبيها ﷺ جدلية عقلية وسلوكية عرضت وبمنهج اعتمد الحوار حيناً والاحتجاج والاعتراض حيناً آخر لبيان أحقية آل البيت (عليهم السلام) وفضلهم على الأمة من جهة وفضح الموقف المقابل للجيل الاول من المهاجرين

من تراث النبي محمد ﷺ وكشف مكنونات نفوسهم المتعلقة بالتراث النبوي بعيداً عن آله ﷺ. لذا من الضروري إعادة تسليط الأضواء على تلك السيرة التي لم تطل وكانت محدودة و اختلف المؤرخون وأهل السير بمدتها بين أربعين يوماً وستة أشهر^(١٣).

ان اعادة قراءة الروايات المتقدمة والمتأخرة فيما يخص السيدة الزهراء ؑ تبن كثيراً من الأدلة والشواهد النقلية (النصوص التاريخية) والعقلية أن الزهراء ؑ ابنة محمد ﷺ النبي المرسل وقد خصها النبي محمد ﷺ بكثير من الأحاديث الشريفة منها ((إنما فاطمة بضعة مني يؤذيها ما آذاها ويبرئها ما رابها))^(١٤)، لم تكن راضية عن الأمة وقد فارقت الدنيا وحسبها الله سبحانه وتعالى على العكس من الكثير من الروايات التوفيقية التي تجاهلت ذلك.

نبدأ البحث من حواريتها ؑ مع أبيها ﷺ عندما استدعاها وبكائها وفرحها آنذاك ليتضح لنا من جدلية بكائها وفرحها عمق معاناتها وصراعها مع الامة، اذ وثق لنا مسلم في صحيحه الرواية المسندة عن عائشة قولها: «إن رسول الله ﷺ دعا فاطمة ؑ ابنته فسارها فبكت ثم سارها فضحكت فقالت عائشة: فقلت لفاطمة: ما هذا الذي سارك به رسول الله ﷺ فبكيت ثم سارك فضحكت؟ قالت سارني فأخبرني بموته فبكيت ثم سارني فأخبرني أني أول من يتبعه من أهله فضحكت»^(١٥). وقد رويت هذه الرواية بإضافات متعددة لا تخرج عن النص المتقدم إلا بقول الرسول ﷺ: ((يا فاطمة أما ترضي أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة))^(١٦) وثمة روايات أخرى تنقل قوله كونها سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنة^(١٧).

إن السيدة الزهراء ؑ (سيدة نساء العالمين) بنص أبيها ﷺ كانت غير راضية عن الأمة وعن حياتها بين ظهرانهم، إذ كانت تعاني من بعض السلوكيات التي

كانت تترصد لها في حياتها مع القرييين منها؛ وإلا لماذا تفرح عندما يعلمها أبوها ﷺ بأنها أول أهله لحوقاً به و في ذلك دلالة على أن حواراتها ومحاجاتها بعد وفاة ابئها ﷺ للمطالبة بحقوقها لم تكن طمعاً بهال أو إرث مادي، بل إن المطالبة كانت منطلقة من محاولة تصحيح مسار الأمة والعود الى الالتزام بالحديث النبوي الشريف مذكرة الأمة ومحاجة لها بها أوصى به الرسول الكريم ﷺ من تركة مؤكدا التمسك بها فقد روى مسلم بسنده عن زيد بن أرقم قوله: «قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بهاء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه و وعظ وذكر ثم قال: أما بعد إلا أيها الناس فإنها أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وانا تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: واهل بيبي اذكركم الله في اهل بيبي»^(١٨).

ويين مسلم من هم الال بسنده قائلاً: «ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾^(١٩) دعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال: اللهم هؤلاء أهلي»^(٢٠)، نعم إن الحديث ترك لعقل الأمة الاختيار وها هي الزهراء تخاطب هذا العقل عليها تجد فيه سيطرة على قيم القبيلة والبادية وخلجات النفس اللوامة.

حاولت وحاججت الزهراء الخليفة الأول أبا بكر الصديق مطالبة بإرثها من أبيها وحقها في فدك ومنعها ذلك محتجا بحديث سمعه عن رسول الله ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»^(٢١).

ولسنا هنا في صدد البحث عن دلالات الحديث ومقاصده وما يقابله من أحاديث إذ أفاضت في ذلك المصادر الإسلامية^(٢٢). الا أن الذي نهدف إليه من هذا البحث هو أصل الموضوع وهو هل تكذب مثل الزهراء ﷺ؟ حاشا لله وقد قال فيها

أبوها عليه السلام ما قال، وما تواتر عنها عليه السلام وعن بعلمها عليه السلام وبنيتها عليه السلام ما تواتر في كتب الصحاح والمسانيد والفضائل والمناقب وكتب التاريخ^(٢٣).

هنا تخرج المؤرخ المسلم فلا هو قادر على تكذيب الخليفة الأول ولا هو قادر على الطعن في صدق الزهراء عليها السلام، فحاول معالجة الروايات بطريقة أدت إلى تشويه تلك الحوادث وأسهمت في تفرقة الأمة الإسلامية أكثر مما عملت على توحيدها. وإلا فكيف نفسر لشيوخ المؤرخين الطبري محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ ٩٢٢ م) إشارته إلى ما جرى بين السيدة الزهراء عليها السلام، والخليفة الأول أبي بكر الصديق في حوادث سنة (١١١ هـ) برواية واحدة مسندة عن عائشة لا تتجاوز سطور روايتها عشرة أسطر، مع ما عرف عن الطبري إيراده الروايات المتعددة وبطرق سند متعددة عن الحادثة أو الواقعة الواحدة^(٢٤). على الرغم من أن المصادر الحديثية والأدبية والتاريخية الإسلامية قد أفاضت في تناول تلك الحادثة بروايات متعددة. وفي حوادث (سنة ١٣ هـ) لنص حوارية أبي بكر مع عبد الرحمن بن عوف (ت ٣٢ هـ ٦٥٢ م) والذي يشير فيه إلى ندم أبي بكر على كشف بيت فاطمة عليها السلام قائلاً: «... فأما الثلاث اللاتي وددت إني تركتهن، فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء، وإن كانوا قد أغلقوه على الحرب...»^(٢٥).

ان الخليفة هنا يختزل كثيرا من الإجابات عن بعض من حوادث (سنة ١١ هـ) التي حرقت إجاباتها أقلام المؤرخين لاحقاً، والسؤال هنا لماذا لم يورد الطبري رواية اجتماع بني هاشم في بيت فاطمة عليها السلام بعد البيعة؟ ولماذا لم يورد رواية محاولة اقتحام البيت كما أشارت لذلك كثير من المصادر الإسلامية؟

فضلا عن ذلك تدوينه لوفاة المحسن ابن الزهراء عليها السلام بقوله: «وكان لها منه -الإمام علي عليه السلام - من الولد الحسن والحسين عليهما السلام، ويذكر أنه كان لها منه ابن آخر

يسمى محسناً توفي صغيراً، وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى (عليه السلام) (٢٦). السؤال هنا لماذا يشكك في مولد المحسن من جهة ولم يؤكد مولده؟ ولماذا يقول توفي صغيراً ولم يقل أسقط عند مدهامة البيت كما تشير بعض المصادر (٢٧)، كما هو عهده في إيراد كل الروايات عن الحادثة. ونحن هنا لسنا في موضع الانحياز لمصدقية الرواية أو ضد تلك المصدقية بل نحن في صدد التساؤل حول عدم ذكره الروايات المتعددة كما هو منهجه في غير هذه الرواية.

والسؤال الآخر الذي يفرض نفسه حول مصداقية الطبري في إيراده الروايات الخاصة بآل البيت النبوي (عليه السلام)، إشارته في حوادث سنة (١٤٥هـ) لمقالة المنصور العباسي (ت ١٥٨هـ ٧٧٤م) إلى محمد بن عبد الله بن الحسن (ت ١٤٥هـ ٧٦٢م) إلى أن الإمام علياً (عليه السلام) قد خرج بالزهراء (عليها السلام) ومرضها ودفنها سرا في سنة (١١هـ) بقوله: «ولقد طلبها أبوك بكل وجه فأخرجها نهاراً - الزهراء (عليها السلام) - ومرضها سرا ودفنها ليلاً» (٢٨) في حين لم يذكر الطبري خبر خروجها عند ذكر حوادث سنة (١١هـ).

وقد تناسى ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ ١٢٣٢م) إيراد حواريات الزهراء (عليها السلام) وجدلها في حوادث سنة (١١هـ) في حين أنه وفي عرضه لحوادث سنة (١٤٥هـ) يوثق لذلك برسالة المنصور العباسي لمحمد بن عبد الله بن الحسن، وبوضوح أكثر مما ذكره الطبري؛ إذ يقول: «لقد طلبها أبوك بكل وجه فأخرج فاطمة نهاراً ومرضها سرا ودفنها ليلاً...» (٢٩).

إن ابن الأثير يذكر في حوادث سنة ١٤٥هـ وعلى لسان المنصور خروج الزهراء (عليها السلام) ومرضها ودفنها ليلاً وهو مع ما عرف عنه من حس نقدي عند إيراده كثيراً من الروايات المتناقضة يتجاهل كل المرويات التاريخية في المصادر الإسلامية الأولية التي تناولت حوارات الزهراء (عليها السلام) مع أبي بكر.

ولابن كثير (ت ٧٧٤هـ ١٣٧٢م) في كتاب السيرة النبوية مناقشة للنصوص، يؤكد فيها محاورة ومحاجة الزهراء عليها السلام لأبي بكر؛ إلا أنه يحاول أن يكون موفقاً بين سلوك الزهراء عليها السلام وأبي بكر، وقبول كل منهما حجج الآخر والاعتناع بما يقول متحزبا لفرقة من فرق المسلمين، ومعرضا بفرقة أخرى^(٣٠)، وهذا كاف لان يتعد عن الموضوعية فيما يقول فعلى الرغم من كل محاولاته للذهاب إلى عدم وجود خلاف، الا ان كل القرائن ومن أهمها إشارة أغلب المصادر إلى وجد الزهراء عليها السلام كما سيأتي بيانه، وندم أبي بكر على كشف بيت الزهراء عليها السلام كما تقدم ذكره تبعد عن الحافظ ابن كثير الموضوعية في عرض الرواية وتحليلها إن لم نرد أن نذهب إلى ابعده من هذا القول. ومن له رأي في حوارية الزهراء عليها السلام وموقفها حول فدك وما آلت اليه عائديتها فيما بعد ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ ١٢٢٨م) إذ ذكر لنا عند تعريفه لفدك -الموضع- وبمنهجية يمكن القول عنها بانها كانت عرضا تاريخيا ممنهجاً لعائدية فدك خلال القرون الاسلامية الاولى وموقف الحاكميات الاسلامية آنذاك من عائديتها عدلاً، وظلماً مشيراً الى «دور اهل الاهواء وشدة المرء من رواة الأخبار»^(٣١) في تحريف المرويات وتطويعها بحسب أهوائهم وطوعاً لإرادات الحاكميات التي عاشوا تحت ظلها.

وبعد عرض ما تقدم من الروايات المعتمدة عند الطبري وابن الأثير وابن كثير وما عرضه ياقوت، ثمة سؤال منهجي يتحتم طرحه، وهو هل يعقل أن يعتمد ياقوت -وهو من رجال القرن السادس / السابع الهجري- مرويات البلاذري المتوفى في القرن الثالث الهجري في كتابه فتوح البلدان عندما يؤرخ لفدك في حين يتجاهل الطبري وابن الأثير وابن كثير ذلك؟ وهل يعقل ان يد الحذف والتحريف قد طالت مؤلفات كل هؤلاء؟

إن المؤرخ الموضوعي عندما يقرأ ما ذكره البلاذري في ما يخص فذك يجد انه لم يقف عند حدود ما يوثق له من كيفية تعامل الرسول ﷺ مع أهل فذك، إلا أنه يسترسل في بيان عائدية فذك وعرض حوار الزهراء ؑ للخليفة وما آلت إليه امورها بقلم المؤرخ الذي يذكر مروياته تاركا الحكم على الأحداث ومجرياتهما لعقل المتلقي بعيداً عن إطلاق الأحكام النهائية^(٣٢).

لنا في مقاطع من خطبة الزهراء ؑ رد كافٍ على ابن كثير وغيره من المؤرخين الذين انحرفت أفلامهم عن تسطير حقائق التاريخ؛ إذ شخصت حال المسلمين بعد وفاة نبيهم ﷺ: ((... حتى إذا اختار الله لنبيه دار أنبيائه ظهرت خلة النفاق وسمل جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين ونبغ حامل الأفلين وهدر فنيق المبطلين فخطر عن عرصاتكم وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه صارخا بكم فوجدكم لدعائه مستجيبين... هذا والعهد قريب والكلم رحيم والجرح لما يندمل إنما زعمتم خوف الفتنة ألا في الفتنة سقطوا... هذا كتاب الله بين أظهركم وزواجه بينة وشواهدة لائمة وأوامره واضحة أرغبة عنه تدبرون أم بغيره تحكمون بس للظالمين بدلا ومن يتبع غير الإسلام دينا فلم يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين... وأنتم الان تزعمون أن لا إرث لنا أفحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون وياً معشر المهاجرين، أأبتز إرث أبي، أفى الكتاب أن ترث أباك ولا أرث أبي لقد جئت شيئا فريا فدونها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون...))^(٣٣).

أما مقولتها عند دخول النساء عليها في مرضها فيذكر أحمد بن طاهر بسنده قول الزهراء ؑ بعد سؤلهن عن حالهن: ((أصبحت والله عاتفة لديناكم قالية لرجالكم

رسول الله ﷺ: صيري لنا في حضور غسلك حظاً، قالت: أتردن تقلن في كما قلتن في أمي؟ لا حاجة لي في حضوركن». فضلا عن الرواية الآتية اذ قال ما نصه^(٣٦): «ودخل إليها ﷺ في مرضها نساء رسول الله ﷺ وغيرهن من نساء قريش، فقلن كيف أنت؟ قالت: أجدني والله كارهة لديناكم، مسرورة لفراقكم، ألقى الله ورسوله بحسرات منكن، فما حُفِظ لي الحقُّ، ولا رُعِيَتْ مني الذمة، ولا قُبِلَتْ الوصية، ولا عُرِفَتْ الحرمة...».

ومما يوثق أن الزهراء ﷺ فارقت الجيل الأول من الصحابة وهي واجدة عليهم رواية ابن عبد البر الآتية، إذ ينقل بسنده^(٣٧): «فلما توفيت -فاطمة الزهراء ﷺ- جاءت عائشة تدخل فقالت أسماء^(٣٨): لا تدخلني، فشكت الى أبي بكر، فقالت: إن هذه الخثعمية تحول بيننا وبين بنت رسول الله ﷺ وقد جعلت لها مثل هودج العروس، فجاء أبو بكر فوقف على الباب فقال: يا أسماء ما حملك على ان منعت ازواج النبي ﷺ ان يدخلن على بنت رسول الله ﷺ، فقالت: امرتني ان لا يدخل عليها أحد وأريتها هذا الذي صنعت وهي حية فأمرتني أن أصنع ذلك، قال لها أبو بكر: فاصنعي ما امرتك ثم انصرف، فغسلها علي وأسماء».

أما ما شبهت عائشة بهودج العروس فهو النعش الذي صنعتته أسماء للزهراء ﷺ بعد ان حاورتها في مرضها بقولها: ألا ترين إلى ما بلغت؟ فأحمله على سرير ظاهر؟ قالت: لا لعمرى، يا بنت رسول الله، ولكني أصنع لك شيئاً كما رأيته يُصنع بالحبشة. قالت ﷺ: فأرنيه، فأرسلت إلى جرائد رطبة فقطعتها ثم جعلتها على السرير نعشا، وهو أول ما كانت النعوش...^(٣٩). والى ذلك يشير ابن عبد البر بقوله^(٤٠): «فاطمة رضي الله عنها اول من غطي نعشها من النساء في الإسلام». فضلا عن ذلك كله يبقى السؤال الذي لا بد للمؤرخ المنصف أن يقف عنده وهو لماذا دفنت ليلا؟ ولماذا

لم تسمح لأحد بحضور جنازتها من غير أهلها؟ ولماذا أخفي القبر الشريف؟ ولماذا لم يؤذن بها أبو بكر؟^(٤١). ألا يعني ذلك عدم رضاها؟!

بقي لنا ذكر رواية ابن زنجويه (ت ٢٥١ هـ ٨٦٥ م) بسنده لندم الخليفة أبي بكر الصديق على كشف بيت فاطمة عليها السلام من جهة وعدم رضاها عن الأمة أيضاً من جهة أخرى فهو يكشف تحريف المؤرخين ومحاولاتهم التوفيقية بين الروايات وهذا تشويه للتاريخ فضلاً عن سخطها على سلوكيات الجيل الأول واستشرافه مستقبل الأمة ومعاناتها من ترف المهاجرين تحديداً ومتاع الدنيا، إذ يقول في كتابه الأموال بسنده: «حدثني الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، حدثني علوان، عن صالح بن كيسان، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، أن أباه عبد الرحمن بن عوف، دخل على أبي بكر الصديق رحمة الله عليه في مرضه الذي قبض فيه، فرآه مفيقاً، فقال عبد الرحمن: أصبحت وبحمد الله بارئاً فقال له أبو بكر: أترأه، قال عبد الرحمن: نعم، قال: إني على ذلك لشديد الوجع، ولما لقيت منكم معاشر المهاجرين أشد علي من وجعي، لأنني وليت أمركم خيركم في نفسي، وكلكم ورم من ذلك أنفه، يريد أن يكون الأمر دونه، ثم رأيت الدنيا مقبلة ولما تقبل وهي مقبلة، حتى تتخذوا ستور الحرير ونضائد الديباج وتألون الاضطجاع على الصوف الاذربي^(٤٢) كما يألم أحدكم اليوم أن ينام على شوك السعدان^(٤٣)، والله لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حد خير له من أن يخوض غمرات الدنيا وأنتم أول ضال بالناس غداً، تصفونهم عن الطريق يمينا وشمالا... إني لا آسى من الدنيا إلا على ثلاث فعلتھن وودت أني تركتھن وثلاث تركتھن وودت أني فعلتھن وثلاث وودت اني سألت عنھن رسول الله صلى الله عليه وسلم، اما اللاتي وودت أني تركتھن، فوددت أني لم أكن كشف بيت فاطمة عليها السلام عن شيء، وإن كانوا قد أغلقوا على الحرب... وودت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين، عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح فكان أحدهما أميراً

وكنت أنا وزيراً... وأما التي وددت أني كنت سألت رسول الله ﷺ لمن هذا الامر، فلا ينازعه أحد...»^(٤٤). إن أبا بكر هنا بوضوح تام يؤشر إشكاليات التاريخ العربي الإسلامي ممثلة بالخلافة وعدالة الجيل الأول من الصحابة وطموحاتهم وموقفهم من الإمام علي والزهراء عليها السلام وفي ذلك إجابات لكل الذين حاولوا تحريف مرويات التاريخ قريباً أو بعداً ولا بد لنا من القول في نهاية البحث إن خطبتي الزهراء عليها السلام كانتا كافيتين لتحديد أي منهج كان على الأمة اتباعه للوصول إلى بر الأمان.

إلا أن الباحث لن يكون متجنباً إذا ما حدد بأن أغلب مؤرخي الحاكميات لن يكون حالهم بأفضل من حال المسيب بن زهير الضبي^(٤٥)، إذ يروي المسعودي في مروجه ما نصه: «إن المنصور قال يوماً لجلسائه بعد قتل محمد وإبراهيم: تالله ما رأيت رجلاً أنصح من الحجاج لبني مروان، فقام المسيب بن زهير الضبي فقال: يا أمير المؤمنين ما سبقنا الحجاج بأمر تخلفنا عنه، والله ما خلق الله على جديد الأرض أعز علينا من نبينا عليها السلام وقد أمرتنا بقتل أولاده فأطعنك، وفعلنا ذلك فهل نصحنك أم لا، فقال له المنصور: اجلس لا جلست»^(٤٦).

ختاماً كان لهذا البحث نصيبه ن احقاق الحق واطهار الصدق من خلال عرض الروايات التاريخية ودراستها بعين الموضوعية والتعصب لتاريخ الاسلام المحمدي وحده لا غير.

١. سورة الأحزاب، الآية ٣٣؛ ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء (ت ٧٧٤ هـ ١٣٧٢ م): تفسير القرآن العظيم، تنقيح محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الصفاء (مصر ٢٠٠٢ م) ج ٦ ص ١٩٢-١٩٦.
٢. سورة القصص، الآية ٨٣.
٣. سورة محمد، الآية ٢٩، ٣٠.

٤. مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ ٨٧٤ م): صحيح مسلم، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفاء (مصر ٢٠٠٨ م) ص ٣٠.
٥. مسلم: صحيح مسلم، ص ٢٩.
٦. مسلم: صحيح مسلم، ص ٦٧١.
٧. ابن ماجة، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ ٨٨٨ م): سنن ابن ماجة، تحقيق: خليل مأمون شيخا، دار المعرفة (بيروت ١٩٩٨ م) ج ٤ ص ٦٠١.
٨. ينظر: ابن سعد، محمد بن منيع البصري (ت ٢٣٠ هـ ٨٤٤ م): الطبقات الكبرى، دار إحياء التراث العربي (بيروت ١٩٩٦ م) ج ٣ ص ١١١.
٩. سورة التوبة، الآية ٩٧.
١٠. راجع عن السيدة الزهراء (عليها السلام): ابن إسحاق، محمد بن إسحاق ابن يسار (ت ١٥١ هـ ٧٦٨ م): سيرة ابن إسحاق، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر (لام ١٩٧٨ م) ص ٢٤٧؛ ابن سعد: الطبقات ج ٨ ص ٢٥٢-٢٥٨؛ خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ ٨٥٤ م): تاريخ خليفة، دار الكتب العلمية (بيروت ١٩٩٥ م) ص ٤٧؛ ابن زنجويه، أحمد بن مخلد: (ت ٢٥١ هـ ٨٦٥ م): كتاب الأموال، ضبط أبو محمد الاسيوطي، دار الكتب العلمية (بيروت ٢٠٠٦ م) ص ١٢٥-١٢٧؛ ابن قتيبة، محمد بن عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ ٨٨٩ م): الإمامة والسياسة، تحقيق خليل المنصور دار الكتب العلمية (بيروت ٢٠٠١ م) ج ٢ ص ١٦-١٧؛ أحمد بن أبي طاهر (ابن طيفور) (ت ٢٨٠ هـ ٨٩٣ م): كتاب بلاغات النساء، مطبعة مدرسة والده عباس الأول (القاهرة ١٩٠٨ م) ص ١٦-٢٥؛ يعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٩٢ هـ ٩٠٤ م) تاريخ يعقوبي: تحقيق خليل المنصور، دار شريعت (ايران ١٤٢٥ هـ) ج ٢ ص ٧٨، ٩٣-٩٤؛ الطبري محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ ٩٢٢ م): تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (لبنان لات) ج ٣ ص ٢٠٧-٢٠٨، ٢٤٠-٢٤١؛ المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ ٩٥٧ م): كتاب التنبيه والاشراف، مطبعة بريل (ليدن ١٨٩٣ م) ص ٢٨٨؛ المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: يوسف أسعد داغر، دار الاندلس (بيروت ١٩٩٦ م) ج ٣ ص ٢٣٧، ٢٩٨، ٣٠١؛ أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠ هـ ١٠٣٨ م): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية (بيروت ١٩٨٨ م) ج ٢ ص ٣٩-٤٣؛ ابن الاثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠ هـ ١٢٣٢ م): الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي (بيروت ٢٠١٠ م) ج ٢ ص ٣٣، ٤٧، ١٥٨، ٢٠٠؛ محب الدين الطبري، أحمد بن عبد الله (ت ٦٩٤ هـ ١٢٩٤ م): ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، مكتبة دار التربية (بغداد

- ١٩٨٤م) ص ٣١-٦٢؛ ابن حجر الهيتمي أحمد (ت ٩٤٧هـ ١٥٤٠م): الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف (لام، لات)، ص ١٤٧؛ ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (١٠٨٩هـ ١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار إحياء التراث العربي (بيروت لات) ج ١ ص ١٥، ج ٢ ص ١١٤.
١١. ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ ١٤٤٨م): الإصابة في تمييز الصحابة، دار إحياء التراث العربي (بيروت لات) ج ١ ص ٣٧٧-٣٨٠.
١٢. ابن حجر: الإصابة ج ١ ص ٣٧٧-٣٨٠.
١٣. ينظر: خليفة بن خياط: تاريخ ص ٤٧؛ يعقوبي: تاريخ ج ٢ ص ٨٧؛ المسعودي: التنبيه والإشراف ص ٢٨٨؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٢ ص ٢٠٠؛ ابن حجر: الإصابة ج ١ ص ٣٧٩.
١٤. مسلم: صحيح مسلم، ص ٦٤٣؛ النووي دمشقي، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت ٦٧٧هـ ١٢٧٨م) شرح صحيح مسلم، تحقيق: هاني الحاج وعماد زكي البارودي، دار التوفيقية للنشر (مصر ٢٠١٠م) ج ١٥ ص ١٣٣، ١٥.
١٥. مسلم: صحيح مسلم ص ٦٤٤.
١٦. ينظر: مسلم: صحيح مسلم ص ٦٤٤.
١٧. محب الدين الطبري، عبد الرحمن: ذخائر العقبى ص ٤٩-٥٢؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ ١٥٠٥م): تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة (مصر ١٩٥٢م) ص ٧٥.
١٨. مسلم: صحيح مسلم ص ٦٣٤.
١٩. سورة آل عمران، الآية ٦١.
٢٠. مسلم: صحيح مسلم ص ٦٣٣.
٢١. ينظر: البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ ٨٦٩م): صحيح البخاري، دار الفكر (بيروت، بغداد ١٩٨٦م) ج ٤ ص ١٦٤.
٢٢. أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ ٨٣٨م): كتاب الأموال، دار الحدائث (بيروت ١٩٨٨م) ص ١٤-١٦؛ البخاري: الصحيح ج ٤ ص ١٦٤، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ ٨٨٨م): سنن أبي داود، دار إحياء التراث العربي (بيروت ٢٠٠٠م) ج ٣ ص ١٩٧-٢٠٢؛ البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ ٨٩٢م): فتوح البلدان، دار الكتب العلمية (بيروت ١٩٧٨م) ص ٤٢-٤٧؛ سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزغلي (ت ٦٥٤هـ ١٢٥٦م): تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة، تحقيق: حسين تقي زادة، مطبعة ليلي (لام ١٤٢٦هـ) ج ٢ ص ٣٥٢-٣٥٣؛ ابن منظور، جمال الدين

- ابو الفضل (ت ١٣١١هـ/١٧١١م): لسان العرب، دار إحياء التراث العربي (بيروت ٢٠١٠) مادة لم / ج ٨ ص ٩٧.
٢٣. ينظر: أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م) فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق حسن حميد السنيد، مطبعة ليلي (لا م ١٤٢٥هـ) ص ٤٧٦-٤٩٥؛ مسلم: صحيح مسلم ص ٦٣٣؛ شرف الدين ابو محمد بن شجاع الدين الشافعي (ت ٦٥٧هـ/١٢٥٨م) مناقب آل محمد، تحقيق: السيد علي عاشور، مؤسسة الاعلمي (بيروت ٢٠٠٣م) ص ٦٦،٧٩؛ ابن كثير، تفسير ابن كثير ج ٦ ص ١٩٢-١٩٦.
٢٤. ينظر: الطبري: التاريخ ج ٣ ص ٢٠٧-٢٠٨.
٢٥. الطبري: تاريخ ج ٣ ص ٤٣٠.
٢٦. الطبري: تاريخ ج ٥ ص ١٥٣.
٢٧. ينظر: اليعقوبي: تاريخ ج ٢ ص ١٤٨؛ البلخي، أبو زيد احمد بن سهل (ت ٣٢٢هـ/٩٣٣م): البدء والتاريخ، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية (بيروت ١٩٩٧م) ج ٢ ص ١١٤، ١٤٥؛ ابن بريال، أبو بكر عبد الباقي بن احمد ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م): تاريخ ابن بريال، تحقيق: بهمن صالح، دار الشؤون الثقافية (بغداد ٢٠١١م) ص ٣٢٣؛ ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م): صفة الصفاة، تحقيق: أبو عمرو الأثري، دار الغد الجديد، (مصر ٢٠١٣م) ج ٢ ص ٦؛ ابن كثير: السيرة النبوية تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار الرائد العربي ط ٣ (بيروت ١٩٨٧م) ج ٤ ص ٥٨٢؛ العمري، ياسين الخطيب (ت بعد ١٢٣٢هـ/١٨١٧م): الروضة الفيحاء في تواريخ النساء، تحقيق: عماد علي حمزة، الدار العالمية، (لام ١٩٧٨م) ص ٢٥٢، ٢٥٠.
٢٨. الطبري: تاريخ ج ٧ ص ٥٧٠.
٢٩. ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ١٨٨.
٣٠. ابن كثير: السيرة النبوية ج ٤ ص ٥٦٩-٥٧٨.
٣١. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي (بيروت لات) مجلد ٣ ص ٤١٧-٤١٨.
٣٢. البلاذري: فتوح البلدان ص ٤٢-٤٧.
٣٣. أحمد بن أبي طاهر (ابن طيفور): بلاغات النساء ص ١٦-١٨؛ سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص ج ٢ ص ٣٥٢-٣٥٣.
٣٤. أحمد بن أبي طاهر (ابن طيفور): بلاغات النساء ص ٢٣-٢٥.
٣٥. اليعقوبي: تاريخ ج ٢ ص ٧٨.

٣٦. اليعقوبي: تاريخ ج ٢ ص ٧٩.
٣٧. ابن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣ هـ ١٠٧٠ م): الاستيعاب في معرفة الاصحاب (مطبوع بهامش الاصابة لابن حجر) دار احياء التراث العربي (بيروت لات) ج ١ ص ٣٧٩؛ العمري: الروضة الفيحاء ص ٢٥٣.
٣٨. هي أسماء الخثعمية (ت ٤٠ هـ ٦٦١ م) بنت عميس بن معد بن تيم بن الحارث: صحابية كان لها شأن. أسلمت قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم بمكة، وهاجرت الى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، فولدت له عبد الله ومحمد وعوناً ثم قتل عنها جعفر شهيداً في موقعة مؤتة (٨ هـ) فتزوجها أبو بكر الصديق فولدت له محمداً ابن أبي بكر، وتوفي عنها أبو بكر فتزوجها علي بن أبي طالب فولدت له يحيى وعون، وماتت بعد الإمام علي وصفها ابو نعيم بمهاجرة المهجرتين ومصلية القبلتين. ينظر: ابن سعد: الطبقات ج ٨ ص ٢٠٥؛ ابن الجوزي: صفة الصفة ج ٢ ص ٣٣-٣٤.
٣٩. اليعقوبي: تاريخ ج ص ٧٨؛ ابو نعيم: الحلية ج ٢ ص ٣٤.
٤٠. ابن عبد البر: الاستيعاب ج ١ ص ٣٩٧.
٤١. ينظر: مسلم صحيح مسلم ص ٤٦٨؛ المسعودي: التنبيه والاشراف ص ٢٨٨؛ ابن عبد البر: الاستيعاب ج ١ ص ٣٧٩-٣٨٠؛ ابن حجر: الإصابة ج ١ ص ٨٣٠.
٤٢. الصوف المنسوب الى آذربيجان، ينظر: المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ ٨٩٨ م): الكامل في اللغة والأدب دار إحياء التراث العربي (بيروت ٢٠١٢ م) ص ١٦.
٤٣. السعدان: نبت كثير الحسك تأكله الإبل، وهو نبت كثير الشوك لا ساق له. ينظر المبرد: الكامل ص ١٦.
٤٤. ابن زنجويه: الأموال ص ١٢٥-١٢٧؛ ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ج ٢ ص ١٧-٢١؛ اليعقوبي: تاريخ ج ٢ ص ٩٣-٩٤؛ المسعودي: مروج الذهب ج ٢ ص ٣٠١.
٤٥. زهير بن المسيب الضبي أحد رجالات العصر العباسي كان مع المأمون في نزاعه مع الأمين، استعمله الحسن بن سهل على چوخی (بين خاتقين وخوزستان) فلما خرج الناس على الحسن ببغداد أسر زهير وقتل ذبحاً سنة (٢٠١ هـ ٨١٦ م) ينظر: ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت ١٩٩٢ م) ج ٢ ص ٢٨.
٤٦. المسعودي: مروج الذهب ج ٣ ص ٢٩٨.

المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠ هـ ١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر بن عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي (بيروت ٢٠١٠م)
٢. أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ ٨٥٥م): فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق حسن حميد السنيد، مطبعة ليل (لام ١٤٢٥هـ).
٣. أحمد بن أبي طاهر المروزي (ابن طيفور)، (ت ٢٨٠ هـ ٨٩٣م): كتاب بلاغات النساء، مطبعة مدرسة والده عباس الأول، القاهرة ١٩٠٨م.
٤. ابن إسحاق، محمد بن يسار (ت ١٥١ هـ ٧٦٨م): سيرة ابن إسحاق، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر (لام ١٩٧٨م).
٥. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ ٨٦٩م): صحيح البخاري، دار الفكر (بيروت، بغداد ١٩٨٦م).
٦. ابن بريال، أبو بكر، عبد الباقي بن محمد (ت ٥٠٢ هـ ١١٠٨م): تاريخ ابن بريال، تحقيق: بهمن صالح، دار الشؤون الثقافية (بغداد ٢٠١١م).
٧. البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ ٨٩٢م): فتوح البلدان، دار الكتب العلمية (بيروت ١٩٧٨م).
٨. البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل (ت ٣٢٢ هـ ٩٣٣م): البدء والتاريخ، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية (بيروت ١٩٩٧م).
٩. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (ت ٥٩٧ هـ ١٢٠٠م): صفة الصفوة، تحقيق: أبو عمر الأثري، دار الغد الجديد، (مصر ٢٠١٣م).
١٠. المنتظم في التاريخ الملوك والامم، دار الكتب العلمية (بيروت ١٩٩٢م).
١١. خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ ٨٥٤م): تاريخ خليفة بن خياط، دار الكتب العلمية (بيروت ١٩٩٥م).
١٢. ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ ١٤٤٨م): الاصابة في تمييز الصحابة، دار احياء التراث العربي (بيروت لات).
١٣. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ ٨٨٨م): سنن ابي داود، دار إحياء التراث العربي (بيروت ٢٠٠٠م).
١٤. ابن زنجويه، احمد بن مخلد (ت ٢٥١ هـ ٨٦٥م): كتاب الأموال، ضبط أبو محمد الأسيوطي، دار الكتب العلمية (بيروت ٢٠٠٦م).
١٥. سبط ابن الجوزي، يوسف بن فزغلي (ت ٦٥٤ هـ ١٢٥٦م): تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة، تحقيق:

- حسين تقي زادة، مطبعة ليلي (لام ١٤٢٦هـ).
١٦. ابن سعد، محمد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ ٨٤٤م): الطبقات الكبرى، دار إحياء التراث العربي (بيروت ١٩٩٦م).
١٧. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (٩١١هـ ١٥٠٥م): تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة (مصر ١٩٥٢م).
١٨. شرف الدين، أبو محمد بن شجاع الدين الشافعي (٦٥٧هـ ١٢٥٨م): مناقب آل محمد، تحقيق: السيد علي عاشور، مؤسسة الأعلمي (بيروت ٢٠٠٣م).
١٩. الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ ٩٢٢م): تاريخ الامم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (لبنان لات).
٢٠. ابن عبد البر، النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ ١٠٧٠م): الاستيعاب في معرفة الأصحاب (مطبوع بهامش الإصابة لابن حجر) دار إحياء التراث العربي (بيروت لات).
٢١. العمري، ياسين الخطيب (ت بعد ١٢٣٢هـ ١٨١٧م): الروضة الفيحاء في تاريخ النساء، تحقيق: عماد علي حمزة، الدار العالمية (لام ١٩٧٨م).
٢٢. ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ ١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار إحياء التراث العربي (بيروت لات).
٢٣. ابن قتيبة، محمد بن عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ ٨٨٩م): الإمامة والسياسة، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية (بيروت ٢٠٠١م).
٢٤. القاسم بن سلام، أبو عبيد (ت ٢٢٤هـ ٨٣٨م): كتاب الأموال، دار الحداثة (بيروت ١٩٨٨م).
٢٥. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء (ت ٧٧٤هـ ١٣٧٢م): تفسير القرآن العظيم، تنقيح محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الصفا (مصر ٢٠٠٢م).
٢٦. السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار الرائد العربي، ط ٣، (بيروت ١٩٨٧م).
٢٧. المسرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ ٨٩٨م): الكامل في اللغة والأدب، دار إحياء التراث العربي (بيروت ٢٠١٢م).
٢٨. محب الدين الطبري، أحمد بن عبد الله (ت ٦٩٤هـ ١٢٩٤م): ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، مكتبة دار التربية (بغداد ١٩٨٤م).
٢٩. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ ٩٥٧م): كتاب التنبيه والإشراف، مطبعة برييل (ليدن ١٨٩٣م).
٣٠. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: يوسف أسعد داغر، دار الأندلس (بيروت ١٩٩٦م).

٣١. مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري
النيسابوري (ت ٢٦١هـ ٨٧٤م): صحيح
مسلم، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، دار
الفا (مصر ٢٠٠٨م).
٣٢. ابن ماجة، الحافظ أبو عبد الله محمد بن
يزيد القزويني (٢٧٥هـ ٨٨٨م): سنن
ابن ماجة، تحقيق: خليل مأمون شيخا،
دار المعرفة (بيروت ١٩٩٨م).
٣٣. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل (ت
٧١١هـ ١٣١١م): لسان العرب، دار
إحياء التراث العربي (بيروت ٢٠١٠م).
٣٤. أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله
(ت ٤٣٠هـ ١٠٣٨م): حلية الأولياء
وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية
(بيروت ١٩٨٨م) النووي الدمشقي،
أبو زكريا يحيى بن أشرف (ت ٦٧٧هـ
١٢٧٨م).
٣٥. شرح صحيح مسلم، تحقيق هاني الحاج
وعماد زكي البارودي، دار التوفيقية
للنشر (مصر ٢٠١٠م) ياقوت الحموي،
شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ
١٢٢٨م).
٣٦. معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي
(بيروت لا ت). اليعقوبي، أحمد بن
إسحاق بن جعفر (٢٩٢هـ ٩٠٤م).
٣٧. تاريخ اليعقوبي، تحقيق: خليل المنصور،
دار شريعت (إيران ١٤٢٥هـ).

كسرُ أفقِ التَّوَقُّعِ
في خُطْبَةِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ (عليها السلام)

**Expectation Breaking
in the Sermons
of Al-Sayada Al-Zahrah**
Peace be upon her

أ.م.د. طلال خليفة سلمان

جامعة بغداد . كلية التربية للبنات
قسم اللغة العربية

Asst. Prof. Dr. Talal K. Salman
Department of Arabic
College of Education for Women
University of Baghdad

خضع البحث لبرنامج الاستئلال العلمي

Turnitin - passed research

ملخص البحث

مفهوم كسر أفق التوقع من المفاهيم المهمة التي طرحها الألماني (هانز روبرت ياوس)، الذي يعدّ هو ومواطنه (وولفجانج إيزر) قطبي نظرية التلقي التي نشأت في أحضان مدرسة كونستانس الألمانية، فهذا المفهوم بمقدوره أن يفعل علاقة المتلقي مع النص، ويسعى إلى أن تكون هذه العلاقة تبادلية تسير فيها عملية القراءة في اتجاهين متبادلين من النص إلى القارئ، ومن القارئ إلى النص، بدل أن تكون هذه العلاقة أحادية من النص إلى القارئ فقط.

سنحاول في هذا البحث أن نطبق مفهوم كسر أفق التوقع على خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام) وهو يمثل منهجنا في تطبيق مناهج تحليل النصوص الحديثة وآلياتها الكثيرة والمتنوعة على النصوص التراثية؛ إيماناً منا بأن تراثنا العربي فيه من العمق والشمول، وتنوع النصوص وغزارتها ودقتها وأهميتها ما يمثل حافزاً مهماً لنا لكي نحاول تأصيل بعض المفاهيم من تراثنا الثري، ولكي نزواج بين التراث والحداثة، ولا سيما بعد التطور في المناهج النقدية الحديثة، النصية منها، وما بعد النصية.

احتوى البحث على مقدّمة نظرية عن نظرية التلقي، ومفهوم أفق التوقع، والمسافة الجمالية، وصولاً إلى مفهوم كسر أفق التوقع الذي سيكون المجال التطبيقي للدراسة، وبعد المقدمة انقسم البحث على ثلاثة أقسام هي: (١) كسر أفق التوقع الاجتماعي. (٢) كسر أفق التوقع الموضوعي. (٣) كسر أفق التوقع الأسلوبي.

وذيّلنا البحث بخاتمة ذكرنا فيها النتائج التي توصلنا إليها.

ABSTRACT

The concept of expectation breaking is one of the most salient concepts Hans Robert Yaws, German, broaches with his fellowman Walchenstun Yzir considered as the pole of the reception theory that emanates from Constasis German school. Such a concept could maintain the rapport between the interlocutor and the text, it is to be in a sate of concomitance between the text and the reader and vice versa in stead of having one-dimensional rapport between the text and the reader only.

In the actual study it is endeavored to bring the concept of expectation breaking into effect in the sermon of Sayadat. Al-Zahrah (peace be upon her) .It is considered as a policy of explication to the modern texts whose devices are so many and multifarious in the mythological texts. It is believed that the Arabic heritage is of depth, universality, text diversity, prolific products, precision and importance that give an essential impetus to study certain concepts of our productive heritage and to yoke the heritage and modernity altogether .As there is a crestive development in the modern critical texts; textual and metatextual.

The research paper contains an introduction about the reception theory, the expectation horizons and the concept of expectation breaking that is to take the practical side of the study:

- 1-Social expectation breaking
 - 2-Objective expectation breaking
 - 3-Stylistic expectation breaking
- Finally the study concludes with the findings.

... المقدمة ...

إنّ خطبة السيدة الزهراء عليها السلام من الخطب المهمة في تأريخ الخطابة العربية بشكل عام، وفي تأريخ الخطابة النسوية بشكل خاص، إذ إنها تعدّ من النصوص المبكرة التي تؤسس لتأريخ الخطابة النسوية في تأريخ الأدب العربي، فضلاً عن أنها تظهر بلاغة المرأة في تلك المدة من التأريخ، وقدرتها على الخروج والخطابة والاحتجاج في ذلك المجتمع الذكوري، الذي كان يحرم المرأة من بعض حقوقها؛ ولاسيما حقها في بيان رأيها صراحةً أمام المجتمع، وقيامها بكشف بعض الأدواء الاجتماعية التي كانت سائدة وقتذاك، وتشخيصها، ومحاولتها علاج تلك الأدواء علاجاً قد يعجزُ بعض الرجال عنه، انطلاقاً من حرصها على هذا المجتمع الذي تشكل نصفه الذي يكاد يكون مغيباً في الكثير من الأحيان.

وتظهر قدرة المرأة على المطالبة بحقوقها كلما أحسّت بالحاجة إلى ذلك، وكلمها رأّت هيمنة المجتمع الذكوري وسعيه إلى السيطرة على مقدراتها، وغضب ما تراه حقاً لها كفلته لها الشرائع السماوية والقوانين الوضعية.

ولأهمية هذه الخطبة من الناحية التاريخية والموضوعية، ولتمييزها من الناحية الفنية، والمنزلة صاحبها عند المسلمين، كيف لا وهي ابنة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، الذي قال: ((أنا أفصحُ العرب بيد أني من قريش))، ولبلاغتها وفصاحتها، ولأثرها الكبير في المتلقي سامعاً كان أو قارئاً، فإننا سوف نخصص بحثنا هذا لندرس كسر أفق التوقع فيها. وموضوعة كسر أفق التوقع من الموضوعات المهمة في نظرية القراءة والتلقي، فقد عني النقد الألماني، ولاسيما أقطاب مدرسة كونستانس بجمالية التلقي،

وأفاد من الكثير من التيارات المعرفية كالفلسفة الظاهراتية وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم اللغة والسيمايائية والتداولية والهرمونوطيقا، ويعدّ هانز روبرت ياكوبس من رواده الذين أرادوا تجاوز النظرية الأحادية في تقويم الأدب، وطالبوا بفهم القراءة على أنها فعل تحاوريّ وجدليّ بين النصّ ومتلقيه، فالنصّ «بنية تقديرية - كما يقول ياكوبس - ولذلك فهو يحتاج إلى دينامية لاحقة تنقله من حالة الإمكان إلى حالة الانجاز ومن حالة الكمون إلى حالة التحقق، بمعنى أنه لا يجوز القول بوجود المعنى الجاهز أو النهائي في النصّ، وإنما معناه المرتقب ناتج عن فعل القراءة ومغالبتها التي هي عبارة عمّا سيتولد بين النصّ وقارئه، بين البنية الأصلية أو السنن الأولى وبين خبرات القارئ أو أفق انتظاره»^(١) وتوقعه.

لقد كان النقد الأدبي حريصا على إعطاء المتلقي الاهتمام الذي يستحقه ويليق به، عبر الوقوف على بعض الظواهر والمنبّهات الأسلوبية التي تسهم في إيقاظ وعيه، وتحقيق مشاركة جيدة وتفاعل إيجابي بعيد عن التلقي السلبي الذي يخلو من الحيوية والتفاعلية والإثارة، وقد أشار بعض النقاد والبلاغيين العرب إلى بعض المسميات مثل الاستغراب والإبهار والإثارة والاستطراف والاستفزاز والمفاجأة؛ لدورها المؤثر والكبير في إظهار الفائدة واللذة والتفاعل في أثناء تلقي النصّ وقراءته من متلقيه^(٢).

يطرح النصّ الأدبي أمام المتلقي تساؤلات كثيرة وفرضيات تبني على العلاقة المفروض قيامها بين منتج النصّ الأول وهو المؤلف، ومنتج النصّ الثاني وهو المتلقي، والفرضية المتوقعة من طريق التحليل هي الفهم، إذ يفترض فان ديك Van Dijk الافتراض الآتي:

حتى يتمكن المتلقي سواء أكان مستمعا أم قارئاً من استعمال نصّ معين في مقام تواصله ما، عليه أن يسعى لفهم هذا النص، لذلك سيركز على ما يسميه (فهم النص)^(٣)، وبهذا يزداد التفاعل بين النص والمتلقي.

يعدّ مفهوم أفق التوقع من المفاهيم المهمة التي طرحها هانز روبرت ياوس في نظرية التلقي، فهو - حسب ياوس - «نظام من المرجعيات المشكّلة بصفة موضوعية وهو مع كل عمل في اللحظة التاريخية التي يظهر فيها، ينشأ من ثلاثة عوامل أساسية: التجربة المسبقة التي اكتسبها الجمهور حول الجنس الذي ينتمي إليه النص، شكل وموضوعاتية الأعمال السابقة التي يفترض معرفتها، والتعارض بين أسلوب اللغة الشعرية وأسلوب اللغة العملية، العالم الخيالي والواقع اليومي»^(٤).

يأتي أفق التوقعات من خبرة قديمة بأعمال سابقة عند القارئ، ويلتقي بالنص الجديد الذي يتلقاه، «وحيثُذ فتوقعاته قد تكون تنوعاً على ما سبق أو تصحيحاً له، أو تبديلاً كاملاً أو مجرد توقعات قديمة تنبعث من جديد»^(٥)، ويشير ياوس في أثناء حديثه عن أفق التوقع إلى أن اعتماد هذا المفهوم في التاريخ الأدبي والنقد الأدبي، من شأنه أن يدفع باتجاه تخلص التجربة الفنية للمتلقي من النزعة النفسية، فضلاً عن أنه يمكن من تحديد القيمة الجمالية للأثر الفني والأدبي دون أن تغفل أنه يسمح عبر إعادة صياغته وبنائه، بطرح الأسئلة نفسها التي يفترض أن ذلك الأثر قد اقترح إجابات لها حينما تُلقَى لأول مرة، وبذلك يتم إظهار الكيفية التي فهم بها القارئ ذلك الأثر في المدة الأولى من تلقيه، وبيان الأثر أو الآثار التي أحدثها فيه^(٦). إذن يمكننا أن نعدّ مفهوم أفق التوقع من المفاهيم الأساسية والرئيسية في نظرية التلقي بحسب رؤية ياوس، فهو يعدّ أفق التوقع أساساً للقراءة والتفسير وأساساً لإبداعية النص، «وهو مفهوم يضع منظومة التوقعات والافتراضات الأدبية والسياقية التي

إن القارئ حينما يواجه تعارضاً وصداماً مع موقفه ووعيه وخبرته، ومع المفاهيم الراكسة لديه، وحينما تُخلخل توقعاته وافتراضاته، تظهر لديه إمكانية التفاعل مع النص، وهذا التفاعل كفيلاً بتفعيل الحس الجمالي لديه، إذ بمقدور اللاتوقع، أو كسر أفق التوقع أن يفعل علاقة المتلقي بالنص، وينأى بها عن أن تكون علاقة أحادية، من النص إلى القارئ، إلى علاقة تبادلية تسير فيها عملية القراءة في اتجاهين متبادلين، من النص إلى القارئ، ومن القارئ إلى النص^(١٤)، وبذلك يحدث التفاعل المرجو بين النص والمتلقي.

تعدّ الطريقة التي بوساطتها يضبط الحوار بين المتلقي والنص من أهم جوانب نظرية الاتصال، وتتمظهر هذه الطريقة في العلاقة الجدلية بين التوقع واللا توقع، فالتوقع هو «انتظار يشوبه التمني»^(١٥)، أما اللا توقع فهو كسر لهذا الانتظار، ومفاجأة تواجه عملية التوقع، وقد ربط نقاد نظرية التلقي، وعلى رأسهم ياوس، قيمة النص وفنيته بمدى احتوائه على انزياحات تتصادم مع معايير القارئ، وتعديله لأفق توقعاته، فالنص لا يؤدي وظيفته إلا بوصفه سلباً للمعايير - كما يرى إيزر- وسيصبح الأدب فارغاً إذا اقتصر على المألوف والمتوقع، وهو يعتقد أن المنطقة المألوفة مهمة لأنها تقود إلى اتجاه غير مألوف ولا متوقع^(١٦)، كما أن كسر الأفق «يسمح بإدراك الخاصية الفنية للعمل، بالقياس إلى المسافة الجمالية، أي بالقياس إلى المسافة بين التوقع والتجربة، بين التقليد والتجديد»^(١٧)، فالنص الجديد عند ظهوره يكشف عن نمط أو طريقة يتجلى بها لجمهوره الأول، فإما أن يستجيب لأفقه أو يتجاوزه أو يدحضه ويكسره^(١٨) فإذا ما كسر هذا الأفق فإنه سينماز بفنية عالية، وبدرجة تلق عالية، وهذا يدل على أهمية هذا العنصر في النص الأدبي مهما كان نوعه؛ لأنه يحفز على إثارة التفاعل بين النص والمتلقي، ويجعل من هذا الأخير متلقياً إيجابياً وليس سلبياً.

بعد أن ظهر لنا أهمية كسر أفق التوقع في إثارة المفاجأة عند المتلقي، وفي جذب انتباهه، ومن ثم تفاعله مع النص الذي يتلقاه، سواء أكان سامعا أم قارئا له، فإننا نحاول في هذا البحث أن نطبق هذا المفهوم على خطبة السيدة الزهراء عليها السلام، وسوف لا تقتصر الدراسة على التركيز على محور كسر أفق التوقع الأسلوبي فقط، الذي يظهر عبر الانزياحات كالتقديم والتأخير والحذف والذكر مثلا - كما رأينا في بعض البحوث التي اطلعنا عليها -، وإنما سنحاول أن نجد روافد أخرى لكسر أفق التوقع ظهرت في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام.

إن إنعام النظر في حدث مجيء السيدة الزهراء عليها السلام إلى المسجد لتلقي خطبتها أمام الناس، وتحليل موضوعات الخطبة، وتسلسلها على وفق نسق معين أرادته وسعت إلى إبانته وتنبه المتلقين عليه، وتحليل لغة الخطبة وبيان الانزياحات الأسلوبية التي ظهرت فيها، يظهر لنا أن ثمة أكثر من نوع من كسر أفق التوقع في الخطبة يمكن أن ندرجه في محاور ثلاثة هي:

١. كسر أفق التوقع الاجتماعي.
٢. كسر أفق التوقع الموضوعي.
٣. كسر أفق التوقع الأسلوبي.

أولا: كسر أفق التوقع الاجتماعي

كان العرف الاجتماعي عرفا ضاغطا على الكثير من مفاصل المجتمع العربي منذ العصر الجاهلي، وكانت المرأة الضحية الأبرز من ضحايا الأعراف الاجتماعية، فكثيرا ما كان النسق الاجتماعي يشكل حائلا مهما وعقبة كؤوداً أمام المرأة وسعيها إلى طلب حقوقها وأخذ دورها الذي أعطاها إياه الله سبحانه في الحياة. وإذا جئنا إلى

العصر الجاهلي سجد مقدار الحيف والضغط الاجتماعي الذي وقع عليها، اذ تصف الكثير من الآيات القرآنية، ولاسيما ما ورد في سورة النساء، صور الظلم وعدم العناية وعدم الاكتراث بهذا الكائن الرقيق، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا * وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾^(١٩)، فالآيتان الكريمتان تشيران إلى أكثر من نوع من الظلم كان يقع على المرأة وهو كما يأتي:

١. وراثه نكاح النساء بالغصب والإكراه، فقد كان أهل الجاهلية إذا ما مات أحدهم جاء ابنه من غير هذه المرأة، أو وليه فورثها كما يرث ماله وما يملك، وألقى عليها ثوبه، فإن أراد تزوجها بمهرها الأول، وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها^(٢٠).

٢. العضل وهو التضيق على المرأة، فقد كان الرجل يضيق على زوجته كثيراً ويؤذيها؛ لكي تطلب منه الطلاق وتعطيه مالا من أجل أن تفك نفسها من ظلمه^(٢١).

٣. الاستيلاء على مهر الزوجة إذا أراد الرجل تطليقها والزواج بأخرى؛ لكي يعطيه للزوجة الثانية، وهذا حرام وبهتان وإثم كان يمارسه الرجل بحق المرأة بدليل الآية الكريمة.

وهناك انتهاك وتجاوز على حرمة زوجة الأب يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٢٢)، فقد كان أهل الجاهلية يتزوجون زوجة الأب، فنزلت الآية وحرمت هذه العادة

البيغضة^(٢٣) التي وصفتها بثلاث صفات متتابعة في قوله تعالى ﴿فاحشمة ومقتاً وساء سبيلاً﴾. فضلاً عما تقدم فإن العرب كانت تعد البنت دون ذنب ارتكبته. قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾^(٢٤)، كما كان الرجل يحس بالحزن الكبير والأسى واسوداد الوجه كناية عن الفشل، أمام المجتمع إذا رُزق بأنثى، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(٢٥).

حينما جاء الإسلام أعطى المرأة حقها كاملاً، وحافظ على خصوصيتها وحرمتها ورقتها، وحماها مما كان يمارس ضدها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٢٦)، فقد أشارت الآية الكريمة إلى أن معيار المفاضلة هو التقوى، وأعلنت قاعدة المساواة بين الناس عموماً أجناساً وفئات، أما الأكرم عند الله جل شأنه فهو ليس الرجل وحده، أو المرأة وحدها، وإنما هو الإنسان المتقي رجلاً كان أو امرأة، كما أن دخول الجنة لا يشمل الرجل وحده، وإنما تشترك المرأة معه بشرط الإيمان وعمل الصالحات لكليهما، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾^(٢٧).

ومع هذه المنزلة المهمة والعناية الخاصة التي أعطاها الإسلام للمرأة، فضلاً عن حقوقها المصونة في جميع نواحي الحياة، إلا أننا نجد العرف الاجتماعي الذي ينهل من البداوة التي طبع عليها لم يلتزم بالكثير من المقررات التي أقرها الشارع المقدس، فهو ينتظر أي وقت يضعف فيه التطبيق الأمثل للنظام الإسلامي، لينقض على فرائسه، ومن أولى هذه الفرائس هي المرأة التي كانت مرمى هذه الأعراف البالية، إلا أن هناك من النساء من آلت على نفسها أن تقف في وجه العرف الاجتماعي الخاطئ

وتسعى إلى الخروج وكسر الحواجز والأستار؛ لكي تطالب بحقها، وبحق المرأة في كل مكان وزمان، عبر مطالبتها بهذا الذي تراه حقاً لها، وهذا ما فعلته السيدة الزهراء عليها السلام حينما كسرت الأطر الاجتماعية والحواجز التي وضعها المجتمع الرجولي بوجه المرأة، وخرجت إلى المسجد ذلك الخروج المدوّي وخطبت خطبتها أمام المجتمع الرجولي بكل ما تملكه من شجاعة وجرأة وقوة حجة وروعة بيان.

بعد مجموعة الأحداث التي حصلت بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، قررت السيدة الزهراء عليها السلام أن تطلب حقها عبر طريقة لم تسلكها المرأة في ذلك الوقت - في حدود اطلاعي - ألا وهي الخروج إلى المسجد وإلقاء خطبة أمام الناس، وسرى الخبر في المدينة، وشاع بين الناس أن ابنة رسول الله تريد أن تلقي خطبة في مسجد أبيها صلى الله عليه وآله، لتبين موقفها من الأحداث التي جرت عليها بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله، وهزّ الخبر أرجاء المدينة المنورة^(٢٨)، وبدأت الأسئلة تراود الناس:

١. هل ستخرج الزهراء فعلاً إلى المسجد لتخطب أمام الرجال؟
٢. لماذا ستخرج إلى المسجد النبوي؟ وما الدوافع المؤدية إلى خروجها؟ ماذا ستقول في خطبتها؟
٣. هل يعقل أن تخرج المرأة إلى المسجد؛ لتلقي خطبة على الرجال؟

هذه الأسئلة وغيرها من الممكن أن تكون قد راودت الناس وقتذاك، فالسيدة الزهراء عليها السلام كانت قاصدةً الذهاب إلى المسجد النبوي؛ لأنه المكان الأنسب لإلقاء خطبتها؛ لذلك لم تختار مكاناً آخر، فالمسجد هو المركز الإسلامي في ذلك الوقت، ومكان اجتماع المسلمين، وقد اختارت الزمان المناسب أيضاً حينما يكون المسجد مليئاً بالناس على اختلاف طبقاتهم من المهاجرين والأنصار، وفضلاً عن ذلك فإنها عليها السلام لم تخرج وحدها إلى المسجد، وإنما خرجت مع مجموعة من النساء، وكأنها في

مسيرة نسوية للمطالبة بحقوقهن^(٢٩)، ولعلّ سبب ذلك هو تنبيه المجتمع وجذب انتباهه إلى هذه الحركة المتمثلة باجتيازها الطريق مع هاتيك النسوة؛ ليجتمعن في المسجد، وليتوجه الناس بعد رؤية هذا المشهد، إلى المسجد ليراو ويستمعوا ما تريده الزهراء وما تطلبه من عملها هذا^(٣٠)، كما أنها أرادت بإخراج النساء معها أن تظهر هذا النصف الذي يريد المجتمع تغييره، أو على الأقل غمط حقوقه.

وإلى هذا الحدث تشير بعض المصادر، منها كتاب بلاغات النساء، إذ ورد فيه ما يأتي: «لما بلغ فاطمة رضي الله عنها إجماع أبي بكر على منعها فذك، لاثت خمارها، وخرجت في حشدة نساءها، ولمّة من قومها»^(٣١)، ومنها كتاب الاحتجاج الذي ورد فيه: «لما أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة عليها السلام فذكاً وبلغها ذلك لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبائها وأقبلت في لمّة من حفدتها ونساء قومها»^(٣٢).

لقد شكّل هذا الحدث كسراً واضحاً لأفق توقع المجتمع ولأفق توقع المتلقي وقتذاك، ومثّل خروجاً واضحاً عن النسق الاجتماعي السائد والحاكم في آنٍ معاً، فلم يتعود المجتمع على خروج المرأة بهذه الطريقة، للمطالبة بحقوقها، ولم يألف وجود امرأة في المسجد وهي تلقي خطبة طويلة ذات مضامين كثيرة، بلغة عالية، وقدرة فائقة، وبلاغة قلّ نظيرها، وبذلك شكّلت خطبة السيدة الزهراء عليها السلام خروجاً عن النمطية السائدة، وخروجاً عن العرف الاجتماعي الذي لا يسمح للمرأة بالتعبير عن نفسها، والمطالبة بحقوقها، ومن ثم كسراً لأفق التوقع المجتمعي ومحاولة لإظهار أحقية المرأة وسعيها للتعبير عن نفسها وبيان حقوقها، وكسراً لأفق توقع المتلقين.

ثانياً: كسر أفق التوقع الموضوعي

كان المتلقي لخطبة السيدة الزهراء يتوقع أن تبدأ خطبتها بمقدمة تقليدية بحمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي ﷺ، ومن ثم تدخل في الموضوع الأساس الذي جاءت من أجله، وتبدأ بالمطالبة بحقها في أرض فدك التي وهبها إياها الرسول ﷺ، إلا أنها فاجأت المتلقي سواء أكان سامعاً أم قارئاً بأنها بدأت الخطبة بحمد الله بطريقتها الخاصة على نعمه التي ابتدأها ومنته التي والاه التي لا تعد ولا تحصى، ثم خرجت إلى الأصل الأول من أصول الدين عند المسلمين، وهو التوحيد، ثم فصلت في التوحيد الاستدلالي، وهدفها من ذلك ليس استرجاع أرض فدك وإنما توجيه الناس وحثهم على عبادة الواحد الأحد والتمسك بحبله المتين، بعد الهزة العقائدية التي حدثت عند بعض المسلمين بعد وفاة الرسول الله ﷺ.

لقد رأت الزهراء ﷺ أن العقيدة بدأت تضعف عند بعض المسلمين، وكأنهم اكتفوا بما قدموه لهذا الدين في حياة النبي الكريم، فكانت بداية الخطبة تركز على إيقاف أثر هذه الهزة العقائدية، وهذا الانحدار^(٣٣)، عبر توجيه أنظارهم ولفت انتباههم إلى توحيد الله والإخلاص له في العبادة، لذلك نراها تبدأ الخطبة بقولها ﷺ: ((الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاهها جم عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدتها، وتفاوت عن الإدراك أبدتها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها، واستحمد إلى الخلاق بإجزالها، وثنى بالنذب إلى أمثالها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها وضمن القلوب موصولها، وأنار في التفكير معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته ومن الألسن صفته ومن الأوهام كيفيته))^(٣٤).

تنتقل السيدة الزهراء بعد ذلك إلى بيان الأصل الثاني من أصول الدين عند المسلمين، وهو النبوة، للمتلقي، وتوضح أسباب بعثة النبي ﷺ بالرسالة، إذ تقول: ((ابتعثه الله إتماماً لأمره وعزيمة على إمضاء حكمه وإنفاذاً لمقادير حتمه...))^(٣٥)، ثم تتحدث عن أهمية القرآن الكريم، ومنزلته السامية عند المسلمين^(٣٦)، ثم تحدثت عن فلسفة العبادات وعلل الشرائع الإسلامية^(٣٧)، وانتقلت إلى الكلام على حال الناس في العهد الجاهلي قبل بزوغ نور الدين الإسلامي وشعاع النبوة الخاتمة^(٣٨)؛ لتقارن بين وضعهم قبل الإسلام، ووضعهم حينما اعتنقوا هذا الدين الذي نزلت تعاليمه على أبيها ﷺ، وهي بذلك تشير إلى الفضل الكبير للنبي العظيم وأثره الواضح في تربية هذه الأمة، وتغيير حالها من ضعف الجاهلية إلى قوة الإيمان، وفي ذلك تقول ﷺ: ((وكنتم على شفا حفرة من النار، مُدققة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان... فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد ﷺ بعد اللتيا والتي))^(٣٩).

إن التأمل في الخطبة يظهر لنا أن الزهراء ﷺ لم تطلب حقها في فدك إلا في الجزء قبل الأخير منها، فقد قسّمتنا الخطبة في خمسة أخماس -بحسب عدد صفحاتها- ووجدنا أنها لم تذكر مسألة إرثها من أبيها ﷺ، وحقها في فدك إلا في الخمس الرابع من الخطبة، أي في الصفحة الرابعة، فهي -كما أشرنا سابقاً- لم تبدأ بهذا الموضوع، في حين أن أفق توقع المتلقي كان ينسجم مع ابتدائها الخطبة بطلب الإرث إلا أنها كسرت أفق التوقع في تسلسل موضوعات الخطبة عند المتلقي، وبذلك حصلت المفاجأة والإدهاش عنده، وهذا ما أرادته منتجة النص، وما سعت إلى تحقيقه، وهنا ظهرت المسافة الجمالية بأجلى صورها، وظهر التعارض واضحاً بين ما قدّمه النص وما توقعه القارئ، بحسب تعبير هانز روبرت يابوس.

وهنا يبرز أمام البحث سؤال مفاده: هل هذا الكسر لأفق التوقع عند المتلقي، في تسلسل موضوعات الخطبة، كان يجري بقصدية واعية من الزهراء (عليها السلام)، أو جاء عفو الخاطر؟ وللإجابة على هذا السؤال لا بد لنا أن نعلم أن هذه السيدة الجليلة هي ابنة البشير النذير الذي لا ينطق عن الهوى، هذا الرجل الذي نقل البشرية من مرحلة جاهلية ممقوتة مظلمة، إلى مرحلة ساد فيها الإسلام، وأثار بنوره الوهاج على الدنيا بأجمعها، ومن باب أولى أن تحرص هذه السيدة على مصير الإسلام والمسلمين، الذي كان ثمرة جهاد أبيها (عليه السلام)، لذلك لم تعتن بمسألة المطالبة بحقوقها، قدر عنايتها بنصح المسلمين، وتوجيههم الوجهة الصحيحة، التي أرادها الله تعالى، ورسوله الكريم (عليه السلام)، لذلك وجدناها في خطبتها لم تركز على المطالبة بفدك في بدايتها «بل انتهزت الفرصة لتفجّر للمسلمين عيون المعارف الإلهية وتكشف لهم محاسن الدين الإسلامي، وتبين لهم علل الشرائع والأحكام»^(٤٠)، ليكونوا أكثر تمسكاً بدينهم، وأكثر ثباتاً على إيمانهم، الذي بدأ يتزحزح بعد وفاة الرسول (عليه السلام)، ولعلّ ردة كثير من الناس - بعد حدث وفاة النبي (عليه السلام) - عن الدين كانت دافعاً مهم للسيدة الزهراء (عليها السلام) لأن تبدأ خطبتها وتستمر في إيراد الموضوعات التي تحث الناس على الالتزام والثبات على ثوابت الإسلام، وبذلك يدلّ هذا الموقف على إثارة الزهراء (عليها السلام) مصلحة الدين ومصلحة الناس على مصلحتها الخاصة؛ حباً منها للإسلام والمسلمين.

ثالثاً: كسر أفق التوقع الأسلوبي

يعدّ العدول عن الأصل في التراكيب اللغوية، والانزياح في النسيج الكتابي الأدبي من المنبهات الأسلوبية المهمة التي تسهم في إيقاظ وعي المتلقي، وشده إلى النص عبر كسر أفق التوقع عنده، وهذا بدوره يؤدي إلى تعميق تفاعله معه، وبذلك يكون عنصراً مفعلاً لدينامية النص، ومتلقياً إيجابياً لا يكتفي بالاستماع أو القراءة،

بل يكون مشاركا مع المنتج من أجل فهم أدق، ووعي أكثر، وتبعاً لذلك فإن هذا الأمر سيعمّق فهم المتلقي للنص؛ ذلك أن مقارنة جمالية التلقي للمعنى تنطلق منطلقاً «يجعل عملية الفهم بنية من بنيات العمل الأدبي نفسه، ليصبح الفهم هو عملية بناء المعنى وإنتاجه، وليس الكشف عنه أو الانتهاء إليه، وبذلك يعدّ المحصول اللساني مؤثراً واحداً من مؤثرات الفهم لا بد من تغذيته بمرجعيات ذاتية قائمة على فعل الفهم من لدن المتلقي»^(٤١).

يتحقق كسر أفق التوقع الأسلوبي عبر بعض الظواهر التركيبية في اللغة، منها التقديم والتأخير، فأصل الكلام أن يكون المقدم مقدّماً والمؤخر مؤخراً، إلا أن ثمة دواعي فكرية ومعنوية ونفسية تطرأ على منتج النص فتجعله يقدم مؤخراً، ويؤخر مقدّماً، وليس ذلك من أجل الترف أو تلوين الكلام وتزيينه أو تعدد صيغته^(٤٢)، فضلاً عن عدم اعتبارية هذا الأمر، وهذا يشير إلى هدف وقصد اتخذه منتج النص ليفهم المتلقي والقارئ فحوى الرسالة التي يريد إبلاغها له، فالعدول عن صيغ الكلام التقليدية، والانزياح عنها إلى صيغ فيها نوع من المغايرة الأسلوبية، يشكل واحداً من أهم المنبهات الأسلوبية التي تلفت نظر المتلقي، وتعمل على إيقاظ وعيه ومن ثم كسر أفق التوقع عنده، وجذب انتباهه، ليفهم النص فهماً أعمق، وينعم الناظر فيه، ثم يتساءل عن سبب هذا التقديم والتأخير والهدف المرجو منه^(٤٣). ومن الظواهر التركيبية التي يتحقق بواسطتها كسر أفق التوقع الأسلوبي عند المتلقي، ظاهرة الحذف، فهذه التقنية الأسلوبية تستدعي البحث والكشف عن الشيء المحذوف، ولعل هذا الكشف والاستجلاء مهمة يقوم بأدائها المتلقي، الأمر الذي يحدد القصد والغاية من الحذف، ولن تكون مشاركة المتلقي حاضرة في النص إلا إذا تعمد منتج النص هذه التقنية؛ وذلك ليشغل ذهنيته ويفعلها، ويدفعها نحو تقدير المحذوف، وليوقظ اهتمامه ويشركه في مجريات النص^(٤٤)، وهذا ما يهدف إليه كسر

أفق التوقع الأسلوبى، الذي يعمد إليه منتج النص بقصدية واعية. إذا جئنا إلى خطبة السيدة الزهراء عليها السلام لنستكنه كسر أفق التوقع الأسلوبى فيها، فإننا سنجد أن هذا الأمر ظهر بشكل واضح عبر تقنية التقديم والتأخير، في حين لم يظهر الحذف بكثرة في الخطبة، بل كان قليل الوجود فيها، لذلك سوف تقتصر دراستنا على تقنية التقديم والتأخير، وأثرها المهم في كسر افق التوقع عند المتلقي.

التقديم والتأخير في خطبة السيد الزهراء عليها السلام

ثمة وظائف كثيرة للتقديم والتأخير، ومن هذه الوظائف، العناية والاهتمام، والاختصاص، والافتخار، والتفاؤل، والتشاؤم، وإفادة القصر، وإظهار التعظيم والتحقير، وتقوية الحكم وتوكيده، والتعجيل المسرّ والمساءة، والمناسبة، والسببية، والتعجب، والتدرج الزمني، والتشويق للمؤخر، ومراعاة الترتيب بحسب الأسبقية، والاستلذاذ، وعود الضمير على مذكور سابق^(٤٥).

هناك صيغ كثيرة للتقديم في اللغة العربية، فقد يُقدّم الخبر على المبتدأ، ويقدم المفعول به، والجار والمجرور، والفاعل على الفعل، والحال، وخبر إن على اسمها، وخبر كان على اسمها... الخ، وعند إحصاء النصوص التي ورد فيها التقديم في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام وجدنا أن بنية التقديم المهيمنة هي تقديم شبه الجملة (الجار والمجرور)، وسندرجها في نقاط:

١. تقديم الجار والمجرور على المفعول به

قالت السيدة الزهراء عليها السلام: ((تربصون بنا الدوائر وتتوكفون الأخبار))^(٤٦)، فقد كسرت أفق التوقع عند المتلقي في هذا النص، إذ إن النسق الطبيعي غير المنزاح

الذي كان يتوقعه المتلقي هو: تتربصون الدوائر بنا، إلا إنها عدلت عنه وقدمت الجار والمجرور (بنا)؛ لبيان أهمية الشيء المقدم.

في نص آخر تقول عليها السلام: ((فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه ومأوى أصفياه))^(٤٧)، وهنا يظهر كسر أفق التوقع جلياً عند المتلقي، إذ كان يتوقع أن تقول: فلما اختار الله دار أنبيائه لنبيه، وبذلك تأتي الجملة مرتبة من فعل وفاعل ومفعول به ثم تأتي بقية الكلمات، إلا أنها انزاحت عن الترتيب التقليدي لها وقدمت الجار والمجرور المتصل بالضمير الهاء الذي وقع مضافاً إليه مجروراً (لنبيه)؛ لتعظيم شأن النبي ﷺ وللعناية والاهتمام.

بدأت السيدة الزهراء ﷺ خطبتها بحمد الله والثناء عليه، ثم انتقلت إلى الأصل الأول من أصول الدين عند المسلمين، وهو التوحيد، وبدأت بالتفصيل في هذا الموضوع المهم، إذ قالت: ((وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها وضمّن القلوب موصولها، وأثار في التفكير معقولها))^(٤٨). ففي الجملة الأخيرة ظهر كسر أفق التوقع الأسلوبي، إذ كان المتلقي يتوقع أن تقول: وأثار معقولها في التفكير، إلا أنها قدمت الجار والمجرور على المفعول به؛ لتقوي أواصر التفاعل بين المتلقي والنص، ولكي تحفز ذهنه وتبعثه على التساؤل عن سبب هذا التقديم والتأخير، وبسؤالها هذا يصبح عنصراً مفعلاً لدينامية النص، وملتقياً إيجابياً يسعى إلى فهمه فهماً صحيحاً، إذا ما أدرك أن هدف هذا التقديم كان الاختصاص؛ لأن من خصوصيات العقل هو التفكير.

هناك نص تقدم فيه الجار والمجرور على المفعول المطلق، فحينما تحدثت الزهراء ﷺ عن وفاة أبيها ﷺ قالت: ((ثم قبضه الله إليه قبض رافة واختيار، ورغبة وإيثار))^(٤٩)، وهنا نجد الانزياح الذي يكسر أفق التوقع عند المتلقي، إذ إن أصل

الكلام: ثم قبضه الله قبض رَأْفَةٍ واختيار إليه، فقد قَدِّمَت الجار والمجرور إليه، الذي يشير إلى الله جلَّ شأنه؛ للتعظيم والاختصاص.

٢. تقديم الجار والمجرور على الفاعل

ظهر هذا النوع من كسر أفق التوقع الأسلوبي في قول الزهراء عليها السلام: ((لا تأخذه في الله لومة لائم))^(٥٠)، إذ إن أصل الكلام: لا تأخذه لومة لائم في الله، إلا أنها قَدِّمَت الجار والمجرور (في الله) على الفاعل (لومة)؛ لتكسر أفق التوقع عند المتلقي، ولتظهر أهمية الشيء المقدَّم؛ ولتعظّمه.

تصف السيدة الزهراء عليها السلام حال بعض المرتدين بعد وفاة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، فتقول عليها السلام: ((فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه ومأوى أصفیائه، ظهر فيكم حسكة النفاق))^(٥١)، فقد تقدم قولها عليها السلام: (فيكم) على الفاعل (حسكة)، وبهذا الأمر سيُكسر أفق التوقع عند المتلقي، وسيتفاعل مع النص، ويبحث عن سبب لهذا الانزياح الأسلوبي الذي ظهر فيه، وقد كان سببه هو التعجب من حال هؤلاء الناس وما حصل لهم بعد وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، وللاختصاص.

٣. تقديم الجار والمجرور على الخبر

ورد هذا النوع من التقديم في قول الزهراء عليها السلام: ((وأنتم في رفاهية من العيشِ وادعون فاكهون آمنون))^(٥٢)، فقد كُسر أفق التوقع عند المتلقي؛ لأنه كان يتوقع أن يأتي الكلام على وفق التوقع بأن تقول: وأنتم وادعون فاكهون آمنون في رفاهية من العيش، إلا أنها عدلت عن الترتيب الطبيعي للكلام، وقَدِّمَت الجارين والمجرورين (في رفاهية من العيش) على الخبر، وبذلك حققت المفاجأة والإدهاش عند المتلقي،

ومن ثمّ حققت تفاعله مع النص. تصف الزهراء عليها السلام حال الناس عند بعثة النبي الأكرم عليه السلام فتقول: ((وأشهد أن أبي محمداً عبده ورسوله، اختاره قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلاق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة))^(٥٣)، فقد قدّمت عليها السلام شبه الجملة من الجار والمجرور على الخبر، إذ إن تقدير الكلام: إذ الخلاق مكنونة بالغيب، ومصونة بستر الأهاويل ومقرونة بنهاية العدم، فقد مارس هذا الانزياح الأسلوبي عملية كسر أفق التوقع عند المتلقي؛ لكي يحفّزه على التفكير والتأمل في سبب هذا التقديم، ومن ثم يتلقى النص بطريقة تفاعلية، بعد أن اكتشف أن هذا التقديم كان لغرض العناية والاهتمام، فضلاً عن الأثر الصوتي الذي يحدثه عبر توافق رؤوس المقاطع واتفاقها في السجعات التي حققت توازياً صوتياً يؤثر في المتلقي تأثيراً واضحاً، ويجذبه إلى النص بشكل أكبر.

... الخاتمة ...

ظهر لنا عبر دراسة كسر أفق التوقع في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام أن هذه الثيمة من الثيمات المهمة في نظرية التلقي، وقد أرسى قواعدها قطب مدرسة كونستانس الألمانية هانز روبرت يابوس، وتعدّ عنصراً مهماً يذكي حالة التواصل والتفاعل بين النص والمتلقي، وإنها تميّز النص الدينامي التفاعلي من النص العادي، وتشير إلى قدرة منتج النص على التلاعب بالألفاظ والأساليب من أجل ديمومة حالة التفاعل بين نصّه ومتلقيه.

ركز أكثر الباحثين الذين درسوا كسر أفق التوقع في دراسات تطبيقية على كسر أفق التوقع الأسلوبي، إلا أننا لم نكتف في هذا البحث بهذا النوع فقط، بل سعينا إلى الاجتهاد في إظهار أنواع أخرى من كسر أفق التوقع، كئنا قد رصدناها في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام؛ لذلك توصلنا إلى أن ثمة ثلاثة أنواع من كسر أفق التوقع، هي كسر أفق التوقع الاجتماعي، والموضوعي، والأسلوبي، فلا ينبغي -عند دراسة أي نص- التركيز على كسر أفق التوقع الأسلوبي فقط، بل على الباحثين التدقيق أكثر في النصوص المقروءة؛ ليجدوا أنواعاً أخرى من كسر أفق التوقع، وهذا ما أدعو إليه في بحثي المتواضع هذا. وتأسيساً على ما تقدّم فقد رصدنا البحث عبر دراسة كسر أفق التوقع في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام، ثلاثة أنواع منه هي:

١. كسر أفق التوقع الاجتماعي، فقد سعت الزهراء عليها السلام إلى كسر القيود المفروضة على المرأة، فقررت الخروج إلى المسجد، هي ومجموعة من النساء؛ لتلقي خطبتها

أمام الملاء، وتبين موقفها، وبذلك شكل هذا الحدث الخارق للعادة خروجاً عن النسق الاجتماعي السائد، وكسراً لأفق توقع المجتمع وقتذاك.

٢. كسر أفق التوقع الموضوعي، إذ توقع المتلقون للخطبة أن تبدأ الزهراء خطبتها بطلب أرض فدك التي نحلها إياها أبوها ﷺ في حياته، إلا أن حرصها على عقيدة المسلمين وعلى بيان أثر النبي الأعظم ﷺ في هذه الأمة، وعلى إظهار فلسفة العبادات والحفاظ على بيضة الإسلام كان أشد من حرصها على المطالبة بأرض فدك، لذلك أخرجت موضوع المطالبة بحقها. هذا الأمر شكلاً كسراً لأفق توقع المتلقين في تسلسل موضوعات الخطبة، ومن ثم أدى إلى تفاعل أكثر معها.

٣. كسر أفق التوقع الأسلوبي، وظهر بشكل جلي بوساطة تقنية التقديم والتأخير، في حين ظهر بشكل قليل عن طريق الحذف والذكر، أما التقديم والتأخير فقد ظهر عبر تقديم الجار والمجرور على المفعول به، وعلى الفاعل، وعلى الخبر، وقد أشرنا إلى أسبابه في أثناء البحث.

١. بحث: فعل القراءة وإشكالية التلقي، محمد خرماش، مجلة علامات في النقد، ع ١٠، ١٩٩٨، موقع سعيد بنكراد على الرابط الآتي: <http://saidbengrad.free.fr>

٢. ينظر: بحث: المتوقع واللامتوقع في شعر محمود درويش، دراسة في جمالية التلقي، د. عبد الباسط الزبيد، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج ١٨، ع ٣٧، جمادى الثانية ١٤٢٧هـ، ٤٣٠.

٣. ينظر: بحث: نظرية التلقي تأطير ونموذج، د. محمد دخيسي، موقع رابطة أدباء الشام على الرابط الآتي: www.odabasham.net

٤. بين الجملة والتاريخ، د. خير الدين دعيش، مجلة المخبر، ع ١، ٢٠٠٩، ٧٨.

٥. بحث: النظرية النقدية ومفهوم أفق التوقع، السيد إبراهيم، مجلة علامات في النقد، مج ٨، ج ٣٢، ١٩٩٩م، ١٦٩.
٦. ينظر: جمالية التلقي، من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، هانز روبرت يابوس، ترجمة: رشيد بنحدو، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط ١، ٢٠٠٤م، ٤٤، ٤٧، ٥١.
٧. القصيدة والنص المضاد، عبد الله الغدامي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٩٤م، ١٦٤.
٨. بحث: قراءة في القراءة، رشيد بنحدو، الفكر العربي المعاصر، مج ١، ع ٤٨، ١٩٩٨م، ٢١.
٩. ينظر: جماليات التلقي، سامي اسماعيل، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط ١، ٢٠٠٢، ٩٥.
١٠. بحث: المتوقع واللا متوقع في شعر محمود درويش، ٤٣٤.
١١. جماليات الأسلوب والتلقي، د. موسى رابعة، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، اربد - الأردن، ط ١، ٢٠٠٠، ٩٣.
١٢. ينظر: جمالية التلقي - من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، ١٢.
١٣. ينظر: جمالية التلقي - من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، ١٢.
١٤. ينظر: جماليات التلقي في السرد القرآني، د. يادكار لطيف الشهرزوري، دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط ١، ٢٠١٠، ٢٣٩. وينظر: جماليات الاسلوب والتلقي، ٨٩، ٩١.
١٥. معجم مصطلحات علم النفس عربي-فرنسي-انكليزي، إعداد د. عبد المجيد سالمى و د. نور الدين خالد وشريف بدوي، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط ١، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨م، ٨٢.
١٦. ينظر: نظرية التلقي - مقدمة نقدية، روبرت هولب، ترجمة عز الدين إسماعيل، كتاب النادي الثقافي الأدبي بجدة، ط ١، ١٤١٥ هـ ١٩٩٤م، ٢٣١.
١٧. Hans Robert Jauss: pour une: herméneneutique litteraire. trad: Maurice. édifion: Gallimard. Paris. 1988. P42. نقلا من: أفق التوقع عند يابوس، ٨٠.
١٨. ينظر: Jauss; pour une esthétique Dela Réception. p 50. نقلا عن: أفق التوقع عند يابوس، ٨٠.
١٩. النساء ١٩-٢٠.
٢٠. ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الدين الفضل بن الحسن الطبرسي، دار القارئ ودار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩م، ٣/ ٤١-٤٢.
٢١. ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣/ ٤١.
٢٢. النساء: ٢٢.

٢٣. ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣/٤٦-٤٧.
٢٤. التكويز: ٨-٩.
٢٥. النحل: ٥٨-٥٩.
٢٦. الحجرات: ١٣.
٢٧. النساء: ١٢٤.
٢٨. ينظر: فاطمة بضعة مني، حسين الشاكري، المؤسسة الإسلامية للتبليغ والإرشاد، إيران، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ١٦١.
٢٩. ينظر: فاطمة الزهراء عليها السلام من المهدي إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ٢٣٤.
٣٠. ينظر: فدك في التأريخ، السيد محمد باقر الصدر، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، إيران، ط٢، ١٤٢٥هـ، ٢٠.
٣١. بلاغات النساء، أحمد بن أبي طاهر طيفور، تحقيق بركات يوسف هيود، المكتبة العصرية، بيروت، د. ط، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٣٢.
٣٢. الاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، دار المرتضى، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ١١٢.
٣٣. ينظر: فدك - أبعادها. دلالاتها. وامتداداتها، د. عبد المجيد فرج الله، دار المحبين للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ١٢٤.
٣٤. يعدّ كتاب بلاغات النساء لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور المتوفى سنة ٢٨٠هـ، من أقدم المصادر التي نقلت خطبة السيدة الزهراء عليها السلام، إلا أننا سوف نعتمد في إيراد الخطبة على كتاب الاحتجاج للشيخ أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي؛ لدقته في نقلها.
٣٥. الاحتجاج: ١١٣، وينظر: بلاغات النساء: ٣٣.
٣٦. الاحتجاج: ١١٣.
٣٧. ينظر: الاحتجاج: ١١٤.
٣٨. ينظر: الاحتجاج: ١١٤.
٣٩. ينظر: الاحتجاج: ١١٥.
٤٠. الاحتجاج: ١١٥.
٤١. فاطمة الزهراء من المهدي إلى اللحد: ٢٣٦.
٤٢. نظرية التلقي - أصول وتطبيقات -، د. بشرى موسى صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٩م، ٢٩.

٤٣. ينظر: أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم، د. شلتاغ عبود، دار الرسول الأكرم ودار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٨٤-٨٥.
٤٤. ينظر: مستويات السرد الوصفي القرآني -دراسة أسلوبية-، د. طلال خليفة سلمان، دار الرافد للمطبوعات، بغداد، ط١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ٢٣٢-٢٣٣.
٤٥. ينظر: مستويات السرد الإعجازي في القصص القرآني، شارف مزارى، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، ٢٠٠١، ١٨٩.
٤٦. ينظر: البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، كمال الدين الزمكاني، تحقيق: د. خديجة الحديثي ود. أحمد مطلوب، منشورات رئاسة ديوان الأوقاف، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ٢٩٠. وينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت، ١/١٧١-١٨٠. وينظر: معاني النحو، د.فاضل صالح السامرائي، منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، د.ط، د.ت، ١/١٦١ وما بعدها. وينظر: التقديم والتأخير في القرآن الكريم، حميد أحمد العامري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٦م، ١٣ وما بعدها.
٤٧. الاحتجاج ١/١١٥.
٤٨. الاحتجاج ١/١١٥.
٤٩. الاحتجاج: ١/١١٣.
٥٠. الاحتجاج ١/١١٣.
٥١. الاحتجاج: ١/١١٥.
٥٢. الاحتجاج: ١/١١٥.
٥٣. الاحتجاج: ١/١١٥.
٥٤. ينظر: الاحتجاج: ١/١١٣.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
١. الاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، دار المرتضى، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
٢. أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم، د. شلتاغ عبود، دار الرسول الأكرم ودار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٣. البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، كمال الدين الزملكاني، تحقيق: د. خديجة الحديثي ود. أحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
٤. بلاغات النساء، أحمد بن أبي طاهر طيفور، تحقيق: بركات يوسف هيود، المكتبة العصرية، بيروت، د. ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٥. التقديم والتأخير في القرآن الكريم، حميد أحمد عيسى العامري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٦م.
٦. جماليات الأسلوب والتلقي، د. موسى ربابعة، مؤسسة حمادة للدراسات، أربد، الأردن، ط١، ٢٠٠٠م.
٧. جماليات التلقي، سامي إسماعيل، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط١، ٢٠٠٢م.
٨. جماليات التلقي في السرد القرآني، د. يادكار لطيف الشهرزوري، دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠١٠م.
٩. جمالية التلقي - من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، هانز روبرت يابوس، ترجمة: رشيد بنحدو، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط١، ٢٠٠٤م.
١٠. فاطمة بضعة مني، حسين الشاكري، المؤسسة الإسلامية للتبليغ، إيران، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
١١. فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، محمد كاظم القزويني، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
١٢. فذك - أبعادها دلالاتها وامتداداتها، د. عبد المجيد فرج الله، دار المحبين للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
١٣. فذك في التاريخ، محمد باقر الصدر، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، إيران، ط١، ١٤٢٥هـ.
١٤. القصيدة والنص المضاد، عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٤م.
١٥. مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الدين الفضل بن الحسن الطبرسي، دار القارئ ودار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

١٦. مستويات السرد الإعجازي في القصص القرآني، شارف مزارى، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، ٢٠٠١م.
١٧. مستويات السرد الوصفي القرآني -دراسة اسلوبية-، د. طلال خليفة سلمان، دار الرافد للمطبوعات، بغداد، ط١، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م.
١٨. معاني النحو، د.فاضل صالح السامرائي، منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، د.ط، د.ت.
١٩. معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.
٢٠. معجم مصطلحات علم النفس عربي- فرنسي - انكليزي، إعداد د. عبد المجيد سالمى و د. نور الدين خالد وشريف بدوي، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٩٨م.
٢١. نظرية التلقي -أصول وتطبيقات-، د. بشرى موسى صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٩م.
٢٢. نظرية التلقي - مقدمة نقدية، روبرت هولب، ترجمة: عز الدين اسماعيل، كتاب النادي الثقافي الأدبي بجدة، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٢٣. أفق التوقع عند ياوس ما بين الجملة والتاريخ، د. خير الدين دعيش، مجلة المخبر، ع١٤، ٢٠٠٩.
٢٤. فعل القراءة وإشكالية التلقي، محمد خرماش، مجلة علامات في النقد، ع١٠، ١٩٩٨م.
٢٥. قراءة في القراءة، رشيد بنحدو، الفكر العربي المعاصر، مج١، ع٤٨، ١٩٩٨م.
٢٦. المتوقع والسلا متوقع في شعر محمود درويش، دراسة في جمالية التلقي، د. عبد الباسط الزبؤد، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج١٨، ع٣٧، جمادى الثانية ١٤٢٧هـ.
٢٧. نظرية التلقي تأطير ونموذج، د. محمد دخيسي، موقع رابطة أدباء الشام على الرابط الآتي: www.odabasham.net.
٢٨. النظرية النقدية ومفهوم أفق التوقع، السيد إبراهيم، مجلة علامات في النقد، مج٨، ج٣٢، ١٩٩٩م.

صُورَةُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ
فِي شِعْرِ نَاصِرِ خَسْرُو الْقَبَادِيَانِي

Portrayal of Fatima Al-Zahrah
Peace be upon her
in the Poetry
of Nasir Khasru Al-Qabadeiyani

أ.م.د. ناصِر قاسمي
أ.م.د. مجتبي عمراني بؤر
جامعة طهران . فرديس فارابي

Asst. Prof. Dr. Nasar Qasami
Asst. Prof. Dr. Mujtaba Umrani Burr

Tahran University
Vardees Farabi

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research

ملخص البحث

يقوم هذا البحث على التعبير عن شخصية السيدة الزهراء عليها السلام في شعر الشاعر الإيراني ناصر خسرو القبادياني مستفيداً من المنهج الوصفي التحليلي. فالشاعر القبادياني أحد الوجوه الأدبية المتألّقة في الأدب الفارسي في القرن الخامس من الهجرة الذي اعتنق المذهب الشيعي بواسطة التغيّرات التي طرأت على حياته وتعرّفه الفاطميين في مصر أيضاً، إذ جعل شعره في خدمة أهل البيت عليهم السلام والدفاع عنهم.

يتبيّن من دراسة شعر هذا الشاعر أنه وإن كان شعره يكاد يكون خالياً من وجود امرأة وخصائصها، ولكن قد اختص السهم الأكبر بوجود السيدة الزهراء عليها السلام في شعره وخصائصها. وقد تعصّب الشاعر لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله لا سيما السيدة الزهراء عليها السلام تعصّباً شديداً وافتخر بمذهبه في شعره بالإشارة إلى فضائل السيدة الزهراء عليها السلام ومحاسنها وقد لعن غاصبي حق أهل البيت عليهم السلام ولا سيما غاصبي فدك، ويرى أن المنقذ الوحيد للبشر هو اتباع سبيلهم.

وقد أشار الشاعر في شعره إلى فضائل الزهراء عليها السلام العديدة؛ منها: ابنة النبي صلى الله عليه وآله، وسيدة نساء العالمين، ووارثة فدك، وزوج الإمام علي عليه السلام، وأمّ الحسين عليه السلام، ومنهل العلم ووارثة العلم النبوي، وشفاعتها في يوم القيامة.

ABSTRACT

The current study focuses upon the personality of Sayadat. Al-Zahrah (Peace be upon her) in the poetry of the Iranian poet, Nasir Khasru Al-Qabadeiyani, exploiting the analytic descriptive approach. Al-Qabadeiyani is one of the brilliant faces in the Persian literature in the fifth century Hegira believed in the Shiite denomination as for the conditions in his life and being in line with Al-Fatimains in Egypt . That is why he renders his poetry into the bud of Ahalalbajt and into shielding them.

When reconnoitering his poetry, there is no mention to a woman but he gives a great priority to Sayadat. Al-Zahrah in his poetry. He exerts himself into tackling Ahalalbajt in particular Al-Zahrah; he glorifies his denomination and refers to her traits and damns those who usurp the right of Ahalalbajt, Fadik usurpers. The real succor is to adhere their path. In his poetry he manipulates the virtues of Al-Zahrah; the daughter of the prophet, the lady of the world, Fadik heritage, the wife of Imam Ali (peace be upon him), the mother of Al-Hussein, the fount of science, the inheritor of the prophetic science and the intercessor in the doomsday.

... المقدمة ...

الأدب مرآة تمام ظاهر الإنسان، وترائي وتبين كل مظاهر حياته وتعكس أفكاره وعقائده. لهذا فإن كتابات الأدباء وآثارهم هي خير دليل على تفكيرهم ومنهجهم وإن كانت في بعض الأحيان لا توضح وتصور مسلكهم الحقيقي.

الأدب الفارسي من أغنى الآداب في العالم. فبعد تعرف الإيرانيين الإسلام، أصبح الشعر الفارسي ساحة ظهور الفكر والعقائد والتعاليم الإسلامية وتبينها عند الشعراء الإيرانيين. ناصر خسرو والقبادياني، هو أحد شعراء الفرس المشهورين الذين قالوا الشعر في خدمة تفكيرهم وزينوه بالدفاع عن عقائدهم. شعر ناصر خسرو ومفعم بالحكمة والدفاع عن المذهب الفاطمي والتشيع. ووجود شخصيات شيعية كالإمام علي عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام ومدح هؤلاء العظماء والدفاع عن حقهما يتبلور في شتى صفحات ديوان شعره.

خلفية البحث

ولم يتطرق أحد إلى هذا الموضوع بشكل خاص وكان الموضوع بكرة إلى حد ما، فإن الباحث لم يجد من المصادر ما يسعفه في دراسته هذه إلا إذا استثنينا ما يأتي:

١. مقالة سيمای حضرت فاطمه عليها السلام در آينه شعر حكيم سنائي و ناصر خسرو (السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في مرآة شعر حكيم سنائي وناصر خسرو)، دكتور محمد رضا يوسفی، طليعة عشقي، شيعه شناسی، ربيع سنة ١٣٨٦، العام الخامس، رقم ١٧

٢. مقالة زن در آيينه شعر فارسی ابومعین حمیدالدین ناصر خسرو (المرأة في مرآة الشعر الفارسي - ابومعین حمیدالدین ناصر خسرو نموذجاً)، اکرم جودي نعمتي، مطالعات راهبردی زنان (کتاب زنان سابق)، رقم ٢٤، صيف سنة ١٣٨٣.

كلتا المقاليتين باللغة الفارسية ولا يمكن استفادة القارئ العربي منهما فضلاً عن أن كليهما لم تتناول شخصية فاطمة الزهراء (عليها السلام) في شعر ناصر خسرو باستقلالية.

أسئلة البحث

هذا المقال في صدد اكتشاف أجوبة الأسئلة الآتية:

١. أين تكمن منزلة المرأة في شعر ناصر خسرو؟
 ٢. كيف عُرفت فاطمة الزهراء في شعر ناصر خسرو؟ بعبارة أخرى ما خصائص المرأة الإسلامية التي يتوجه إليها الشاعر الإيراني؟
- قد اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي واقتضى البحث أن يقسم على قسمين: القسم الأول تناول فيه الباحث حياة الشاعر الفارسي وشعره، وأما القسم الثاني فقد اختص بشخصية فاطمة الزهراء (عليها السلام) وانطباعها في مرآة شعر هذا الشاعر.

١. حياة ناصر خسرو^(١)

وُلِدَ ابو معین ناصر بن خسرو بن حارث القبادياني البلخي، المعروف بـ (ناصر خسرو) بذي القعدة من عام ٣٩٤ هـ. ق في قرية قباديان في بلخ وترعرع في أحضان

عائلة ثرية والتي كما يبدو كانت تشتغل بالأمر الحكومية والديوانية. هو يقول عن هذا الموضوع:

بگذشته زهجرت پس سيصد نود وچار
بنهاد مرا مـــــادر بر مرکز اغبر^(٢)

«بعد مضي ثلاث مئة وأربع وتسعين سنة ولدتني أُمي».

اشتغل ناصر خسرو، منذ بدء شبابه بتحصيل العلوم والفنون والأدب وكان متبحراً في جميع العلوم النقلية والعقلية آنذاك. فدرس الفلسفة والأديان، وتبحر حتى في العلوم الطبية، والنجوم، والموسيقى، والحساب أيضاً:

به هر نوعي كه بشنيدم زدانش نشستم بـــــدر در او من مجاور
نماند از هيچگون دانش كه من زان نكردم استفادات بيش وكمتر^(٣)

«بأي نوع من العلوم اذا سمعت ذهبت وجلست عند بابيه بحيث لم يبق علم إلا واستفدت منه إما قليلاً أو كثيراً».

ودخل البلاط الحكومي الغزنوي في شبابه ومن ثمّ البلاط السلجوقي وبقي في البلاط الحكومي حتى ٤٣ سنة من عمره واشتغل في الديوان. واعتزل هذا العمل عندما بلغ الثالثة والأربعين من عمره، فقد رأى حلماً غريباً أدى إلى تغير أحواله وحدث انقلاب كبير في حياته. وقد عبّر في «سفرنامه» عن هذه الصحوة بقوله: «حتى إذا كانت ذات ليلة رأيت في المنام رجلاً يقول لي إلى متى تشرب هذا الشراب الذي يسلب لب الرجال خير لك أن تصحو» فأجبت «إن الحكماء لا يستطيعون شيئاً غير هذا يقلل هموم الدنيا». فأجاب «أن التسرية عن النفس لا تتأتى بفقد الشعور والعقل والحكيم لا يستطيع أن يقول إن الرجل المسلوب الفؤاد يصلح هادياً للناس

بل ينبغي عليه أن يبحث عما يزيد العقل والحكمة» قلت «وأنى لي هذا؟» قال «من جد وجد» ثم أشار إلى القبلة ولم يقل شيئاً. فلما صحوت من النوم كانت هذه الرؤيا ماثلة بأكملها أمامي وقد أثرت فيّ فقلت لنفسي صحوت من نوم البارحة وينبغي أن أصحو من نوم أربعين سنة خلّت وأمعت الفكر فوجدتني لن أسعد ما لم أعدل عن كل سلوكي.

وفي يوم الخميس من جمادى الآخرة سنة ٤٣٧ متتصف شهر ذي من السنة الفارسية ٤١٠ من التقويم اليزدجدي اغتسلت وذهبت إلى الجامع فصليت ودعوت الله تبارك وتعالى أن يعينني على أداء الواجب وعلى ترك المنهيات والسيئات كما أمر الحق سبحانه تعالى.^(٤)

وعلى إثر ذلك شدّ رحال السفر إلى الديار المقدسة متوجهاً من بلدته صوب مهبط الوحي، ومهد الرسالة، مكة المكرمة. وذهب عن طريق «مرو» في سفرته الطويلة هذه التي استمرت سبع سنين زار مصر وتعرف الفاطميين المصريين وعقائدهم وضمن قبول تلك العقائد انتخب مبلغ الفاطميين في خراسان من لدن الحاكم الفاطمي المستنصر بالله أبي تميم معد بن علي ولقب بـ«الحجة» أو «حجت خراسان».

وعند عودته إلى بلخ بدأ يدعو إلى المذهب الإسماعيلي (الفاطمي) بشكل علني، ويناقش وينظر فيه العلماء والفقهاء في عصره. وبطبيعة الحال وبما أن السلاطين الإيرانيين كانوا سنة، فقد واجه ناصر خسرو احتجاجات واعتراضات المتعصبين، فعزم الأمراء السلجوقيون على إيذائه، واضطهاده حتى ضاق ذرعاً بذلك، وذاق منهم الأمرين. فاضطر إلى أن يتخفى، ويتنقل من مدينة إلى أخرى مواجهاً في ذلك الكثير من المصاعب، والآلام، حتى استقر به المقام أخيراً في قلعة يمعان بالقرب من

مدينة بدخشان، حيث اعتزل فيها الناس، حتى توفي سنة أربعمئة وواحد وثمانين من الهجرة.

عقيدة الشاعر

في البداية كان ناصر خسرو سنياً وبعد ثلاث وأربعين سنة ذهب إلى حج بيت الله في سفره الذي استمر سبع سنين كان منطلق تحول الفكرية والأخلاقية والتعاملي. فصرم جبل الشراب واللهو وعزف عن سفر ناء وطويل. وفي سفره هذا مر من مصر وتعرف عقائد الفاطميين وأطلقوا عليه لقب الحجة حينها. وبعد رجوعه من سفره بدأ بتبليغ المذهب الإسماعيلي. فكان ناصر خسرو متعصبا كثيرا ومتشددا بالنسبة لمذهب التشيع. وفي شتى مواضع ديوانه وطياته يلحظ عشقه وحبه في تبعيته وتشيعه للإمام علي عليه السلام والإطاعة له ويعرف في ديوانه كل مذهب بصراحة مطلقة مثالا يشير في بيت إلى ولاية الامام علي عليه السلام ويمزجه بشجاعته التي تؤتي المؤمنين أملا ونورا ورحمة وتنزل على المنافقين والكافرين بالبؤس والنقمة ويقول:

من تولا به علي دارم كز تيغش بر منافق شب وبرشيعه نهار آيد^(٥)

«أنا أوالي عليا، أبا الحسنين الذي من سيفه للمنافق الويلات ولشيعته الفرج».

مؤلفاته

للحكيم ناصر خسرو مؤلفات ومصنفات عدة وللأسف بعض منها ضاعت ولم تصل إلينا في زمننا هذا كما يقول في هذا الموضوع:

منگر بدین ضعیف تنم زانکه در سخن

زین چرخ پرستاره فزون است اثر مرا^(٦)

«لا ترون إلى ضعف جوارحي فإن سنان لساني جوارح وفي سماء الكلام المزدهر
بالنجوم تلمح آثاري».

ومن جملة كتبه ومؤلفاته:

١. ديوان أشعار بالفارسية و طبعت مرات في طهران
٢. ديوان أشعار بالعربية لم تصل اليينا. وهو يقول في ديوانيه:
اين فخر بس مرا كه با هر دو زبان حكمت همى مرتب و ديوان كنم^(٧)
«يكفيني فخرا أني قلت الحكمة في قالب الشعر باللغتين الفارسية والعربية».
وقال في موضع آخر:
- بخوان هر دو ديوان من تا بينى يكي گشته با عنصري بحترى را^(٨)
- «اقرأ ديواني كليهما بالعربية والفارسية حتى ترى أنني في الفارسية على رتبة
عنصري من فحول الشعراء الإيرانيين وأشعاري بالعربية تضاهي البحترى».
٣. جامع الحكمتين - رسالة نثرية باللغة الدرية في تبين العقائد الإسماعيلية.
٤. خوان الإخوان - كتاب نثري باللغة الدرية يتحدث عن الأخلاق والحكمة
والموعظة.
٥. زاد المسافرين - كتاب في حكمة الله باللغة الدرية.
٦. گشايش ورهايش (الفرج والخلص) - رسالة بالنثر الدردي تشمل ثلاثين
سؤالاً مع أجوبتها.
٧. وجه دين (وجه الدين) - كتاب بالنثر الدردي أيضا يدور موضوعه حول
المسائل الكلامية وباطن العبادات وأحكام الشريعة.
٨. دليل المتحرمين - مفقود (في بيان الأديان، ذكره أبو المعالي).

٩. بستان العقول - مفقود.

١٠. سفرنامه - هذا الكتاب يشتمل على ما شاهده في سبع سنين ويحسب أحد الكتب الجغرافية التاريخية. وناصر خسرو هو أول من كتب خط سير حجه. وكان ابن جبير من غرناطة اسبانيا ثاني من كتب (بعد مئة وخمسة وثلاثين بعد ناصر خسرو) والكتاب الثالث هو ابن بطوطة المراكشي الذي كتب بمئتين وست وثلاثين سنة بعد ناصر خسرو. يذكر أن ماركو بولوى المشهور قبل مئتين وأربع وعشرين سنة كتب خط سيره ولكن ليست بمستوى ما كتبه ناصر خسرو فليست فيها تلك الدقة والتوضيح ويوجد في خط سير الشاعر ناصر خسرو وبلغة أخرى كانت طريق بيانه بسيطة جدا. وبعد هؤلاء الأشخاص الثلاثة، كان هناك كثيرون مسلمون وغير مسلمين ممن كتبوا خط سيرهم في الحج، لكن ناصر خسرو ليس أول من كان في هذا الخط سباقا لودعيا بل خط سيره وسفره كان غير منقوص وكاملا تماما شافيا كافيا. ترجم هذا الكتاب على يد يحيى الخشاب بالعربية و طبع في القاهرة.

١١. سعادت نامه (رسالة السعادة) - رسالة منظومة تحتوي على ثلاث مئة بيت.

١٢. روشنايى نامه (رسالة النور) - أيضا رسالة منظومة. (٩)

وكثير من الرسائل والكتب غير التي ذكرت منسوبة لناصر خسرو ولكن أكثر المستشرقين الذين حققوا ودرسوا وبحثوا آثاره شككوا في وجود هذه الرسائل والكتب.

عنوانات هذه الكتب وأسمائها هي

(أكسير أعظم) في المنطق والفلسفة و(قانون أعظم) في العلوم الغربية، و(المستوفى) في الفقه، و(دستور أعظم) في تفسير القرآن، و(رسالة در علم يونان) كتاب في السحر، (كنز الحقايق) رسالة معروفة بخط السير للشرق ورسالة مسماة بـ (سر الأسرار). إضافة إلى هذه الكتب والرسائل هناك أيضا كتب أخرى نسبت لناصر خسرو من جملتها: رسالة الندامة إلى زاد القيامة وغيرها.

شعر ناصر خسرو

كان ناصر خسرو يقول الشعر باللغتين: الفارسية والعربية ولكن ومع الأسف الشديد لم نحصل على ديوانه باللغة العربية وكما يذكر بأن كتاباته العربية ضاعت ولم يبق سوى الفارسية. وقد استعمل ناصر خسرو كلمات وتراكيب بعينها كثير منها مأخوذ من القرآن والحديث والتراث العربي^(١٠)، وكان استلهامه من هذه المصادر مميّزاً لأنه وضع شعره في خدمة التبليغ الديني وجعله أداة لترويج معتقداته، وجعله قلباً للوعظ والحكمة والنصيحة والأخلاق، ووسيلة لجذب الناس إلى الطهارة والنقاء وتجنّبهم الضلال والرجس، وأولى أهمية خاصة لتأويل الآيات لأنه كان من دعاة الإسماعيلية الذين يعتقدون أن الإمام هو من كان واقفاً على هذا التأويل^(١١). عدّ ناصر خسرو أحد شعراء الأسلوب الخراساني واحتلّ منزلة كبرى في الأدب الفارسي، وكان يطالب بمجتمع مثالي سليم بعيد عن مفاسد الأخلاق وقتل البشر والسرقة والخيانة والرشوة والتملق والنفاق، ويرى أن مجتمعاً كهذا لا يقوم إلا في ظلّ الدين، ومن هنا امتاز أسلوبه الشعري بالعقلانية وكانت نظرتة إلى الغزل والتشبيب سلبية، وكان يضيق بأسلوب الشعراء التقليدي الذي يبدأ القصائد بالتشبيب مع أنه

كان في بداياته من أهل الشيب ووصف المعشوق^(١٢). وكان المدح كذباً ويضيق بمن يمدح الأمراء والسلاطين من الشعراء.^(١٣) وقد استعمل ناصر خسرو قصائده لخدمة الفكر وأعطاهم لوناً فلسفياً، ويتضح انضباطه الفكري وأسلوبه الواضح، ويدلّ التأمل في آثاره على أن أغراض شعره تنحصر في: مدح العلم والعقل، وذمّ الجهل وعدم المعرفة، وتكريم الأخلاق والحرية، وذمّ النفاق والتملق، والاعتبار بالطبيعة، وبيان أفكاره ومعتقداته الدينيّة، والترغيب بالزهد وذمّ الدنيا.^(١٤)

وفي ديوانه لم يمدح سوى كبار رجال الدين والعظماء، والخلفاء الفاطميين، وتطرق قليلاً إلى وصف الطبيعة. فمجمل ما قاله هو موعظة وتبيان للخير والتنوير. وبعض الأحيان نرى أنه تطرق إلى بعض علوم زمانه ك (الفلسفة، الطب، النجوم وبدائع الخلق) ومزجها بقصائده كي يجعل القارئ يتفكر فهو كان يجب كل شعر مرصع بشئ من الحكمة الذي يدع القارئ يبحر ويتأمل في الله. فكانت مدائحه دينية في مجملها؛ مستوحاة من إخلاصه لآل بيت النبي، وتشير هنز بيرغر «فقد ميّز هو نفسه بين مدح شخص يستحق المديح، وبين مجرد التملق لشخص يُمسك بيديه زمام كيس نقوده».^(١٥)

وكان ناصر خسرو لا يقول الشعر لكل من هب ودب ولا يبخره حقه، فكلامه كالدرّ، إذ يقول بفخر وغرور:

من آنم كه در پای خوكان نريزم مر اين قيمتي در لفظ درى را^(١٦)

«أنا الذي لا أقول الشعر لأهل الرذائل ولا أبخره حقه، فشعري الدرّي كالدرّ ثمين».

٢. فاطمة الزهراء عليها السلام في شعر ناصر خسرو

وإن كان ناصر خسرو قليلا ما ذكر المرأة بأشعاره لكن هذا لا يُفسر بعدم حضور السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في شعره.

ناصر خسرو في ديوانه أشار وتطرق إلى بعض النساء ك (فاطمة الزهراء، عائشة، مريم، زليخا، منيجه وليلي)^(١٧) ولكن من بين تلك النساء كانت فاطمة الزهراء عليها السلام هي القمر المنير والكوكب اللامع في ديوانه. وتطرق الشاعر إلى جوانب وخصائص مختلفة من شخصيتها؛ وهذه الخصائص هي مشتركة عموما عند كثير من المذاهب الإسلامية فههدف الشاعر هو إثبات حق هذه المرأة العظيمة وأحقية مذهبه. ومن الخصائص التي ذكرها في شعره:

فاطمة الزهراء عليها السلام وفاطميو مصر

الفاطيون في مصر يعتقدون بأن سلالتهم ترجع إلى إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ولكنَّ مخالفيهم لا يقبلون هذا الانتساب ويقولون إنهم (عبديون) وينتمون لعبيد الله المهدي مؤسس السلالة الفاطمية. وبعض ينسبونهم لعبد الله بن ميمون القداح الذي كان أول المدافعين عن المذهب الإسماعيلي.

وكانت ذروة الخلافة الفاطمية في عصر الخليفة الثامن الفاطمي، المستنصر الذي أطلق على ناصر خسرو لقب (حجة خراسان) ومن أجل تبليغ مذهبه الإسماعيلي عزف نحو وطنه. فبادر ناصر خسرو في بداية عهد السلاجقة، إلى ترويج الفكرة الإسماعيلية، وبما أنه كان ملما بالأفكار الدينية والفلسفية التي كان يحملها كبار علماء الإسماعيلية ودعاتهم ممن سبقوه، كلفه المستنصر بالله، حاكم الفاطميين الدعوة إلى هذه الأفكار في جزيرة خراسان بوصفه مبلغا. وتعدَّ خراسان إحدى الجزر الإثنتي

عشرة التي اختارتها الفرقة الإسماعيلية لنشر أفكارها فيها.^(١٨) يشير ناصر خسرو في أشعاره في أماكن عدة الى أمومة السيدة الزهراء (سلام الله عليها) بالنسبة للإسماعيليين المصريين ويقول:

من همي نازش به آل حيدر وزهرا كنتموهمي نازش به سند و هند بد گوهر كني
گر ببيند چشم تو فرزند زهرا را به مصر آفرين از جانت بر فرزند و بر مادر كني^(١٩)
«أنا أفتخر واعتز بأهل البيت عليهم السلام والسيدة الزهراء عليها السلام وأنت تباهي وتفتخر بهند
وسند أمهاتك. فلو أن عينا لك أبصرت في مصر ابن فاطمة لقلت أنعم واكرم به أمماً
وابناً (أي السيدة الزهراء عليها السلام وخليفة الفاطميين)».

وفي مكان آخر يلمح في شعره إلى التعاليم والنسبة التي ذكرت و يبين قبول هذه العقيدة من الخليفة الفاطمي ويقول:

ش—نودم ز میراث دار محمد سخن های چون انگبین محمد
ز فرزند زهرا و حيدر گرفتم من اين سيرت راستين محمد^(٢٠)

«هناك الدرر والحكمة في مهبط الوحي ومنزل القرآن والكلم (بلاد الفاطميين)،
دار محمد المصطفى أحاديث كالعسل المصفى والنور الساطع أخذتها عبر الحبل
المستقيم والصراط القويم علي وفاطمة وأبنائهما».

وقد استعمل ناصر خسرو الطبيعة خدمة لعقيدته وأشار إلى عظمة الفاطميين
واقتردهم آنذاك وقال:

معزول گشت زاغ چ—نين زیرا چون دشمن نيره زهرا شد
خورشيد فاطمی شد و باقوت برگشت واز نشيب به بالا شد^(٢١)

«هل تعرف لماذا أصبح الغراب منعزلاً وغير محبذ بين الناس، لأنه كان معارضاً وعدواً لأولاد السيدة الزهراء وأحفادها عليهم السلام، ومن لم يك في قلبه ودّ لفاطمة عليها السلام سيعزل ويطرده ولأن الشمس فاطمية أشرقت من جديد».

ويلحظ من قوله أن أولاد فاطمة عليها السلام هم الحكام الفاطميون في مصر الذين كان يراهم من سلالة الإمام جعفر الصادق عليه السلام ومن ثمّ أولاد فاطمة الزهراء عليها السلام. هذه العقيدة كانت تأتي بالقدسية للفاطميين إذ كان أتباعهم مثل ناصر خسرو يودونهم ودّاً شديداً، وكانوا يرون حبهم مقارناً للجزاء والثواب يوم الحشر والخلاص. «چون به حب آل زهرا روی شستی، روز حشر نشنود گوشت ز رضوان جز سلام و مرحبا»^(٢٢) «إذا كنت محبا لآل فاطمة فلن تسمع أذنكفي الجنة إلا التحية والسلام».

علم السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

كان ناصر خسرو يعتقد بأنه يجب أن يؤخذ العلم من مظانه ويُنْتَهَل من مناهله وأنّ على المرء أن يجتنب القيل والقال، من ثم يرى بأن عين العلم الحقيقي الربّاني هو نبي الرحمة محمد الأمين عليه السلام الذي أودع علمه أسباطه وأهل بيته عليهم السلام ويوضح بأنهم ليسوا إلا فاطمة وبعليها وبنيتها:

علم را از جایگاه او بجوی	سرتاب از عمرو و زید و قال و قال
قال اول جز پیمبر کس نگفت	وانگهی زی آل او آمد مقال
جز که زهرا و علی و اولادشان	مر رسول مصطفی را کیست آل ^(٣٢)

«اطلب العلم من محلّه ودع عنك القيل والقال فمصدر العلم هو النبي عليه السلام وبعده آله: علي وفاطمة وأبناؤهما عليهم السلام».

وفي أبيات أخرى يعرف الشاعر النبي ﷺ شجرة الحكمة وأهل بيته ﷺ أشجار الحكمة المثمرة، ثم يتكلم الشاعر على أولاد علي ﷺ بأنهم أولاد النبي ﷺ:

شجر حكمت پیغمبر ما بود و برو
هریک از عترت او نیز درختی ببرند
پسران علی امروز مرو را به سزا
پسرانند چو مر دختر او را پسرند
پسران علی آنها که امامان حقند
به جلالت به جهان در چو پدر مشتهرند^(٢٤)

«النبي ﷺ هو شجرة الحكمة وأهل بيته هم أشجار الحكمة فأولاد علي ﷺ في الحقيقة أولاد النبي ﷺ لأنهم من ولد بنت النبي ﷺ».

ويشير الشاعر في بيت آخر إلى أن السيدة الزهراء هي خزينة الأسرار للعلم الإلهي والنبوي قائلاً:

دخت ظهور غیب احد احمد ناموس حق و صندوق اسرارش^(٢٥)
«إن السيدة الزهراء هي تحمل أسرار النبوة وأسرار الكون ومافيه».

فدك

فدك قرية في الحجاز وتبعد عن المدينة ما يقارب مئة وستين كيلومترا وكان فيها من البساتين والعيون والأنهار والنخيل فكانت أرضها خصبة لذا كانت إحدى الأراضي الغنية التي يعتمد عليها في محاصيلها في الحجاز. فدك قرية لخبير ونظراً لموقعها الاستراتيجي كانت ركيزة عند اليهوديين في الحجاز. وبعد ان هزم

الجيش الإسلامي اليهود في خيبر أصبحت فدك للمسلمين. وبعد نزول الآية (وَأْتِ ذَالْقُرْبَىٰ حَقَّهُ) أهدى النبي ﷺ فدكا ابنته وهذا القول موجود في شتى كتب التفسير والحديث والكلام واللغة. لكن بعد استشهاد الرسول ﷺ والتحاقه بالرفيق الرفيع الأعلى غضبت فدك من السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام).^(٢٦)

وقد تطرق ناصر خسرو في أبيات إلى هذا الموضوع وأشار إليه ووصفها بالشرك ونمط من الوثنية:

بتگر بتی تراشد و او را همی پرستد
 زو نیست رنج کس رانه زان خدای سنگین
 تو چون بتی گزیدی کز رنج و شر آن بت
 برکنده گشت و کشته یکرویه آل یاسین؟
 آن کز بت تو آمد بر عترت پیمبر
 از تیغ حیدر آمد بر اهل بدر و صفین
 لعنت کنم بر آن بت کز امت محمد
 او بود جاهلان را ز اول بت نخستین
 لعنت کنم بر آن بت کز فاطمه فدک را
 بستد به قهر تا شد رنجور و خوار و غمگین
 لعنت کنم بر آن بت کو کرد و شیعت او
 حلق حسین تشنه در خون خضاب و رنگین
 پیش تواند حاضر اهل جفا و لعنت
 لعنت چرافرستی خیره به چین و ماچین؟^(٢٧)

«يبين أن هذا النوع من الوثنية أتى بعد وفاة رسول الله وفي بيان جميل له يوضح بأن هذه الأصنام أضرت بأهل البيت (عليهم السلام)، كما كان سيفاً أضرب أهل بدر و صفين. من ثم يلعن هذه الأصنام والأوثان التي غضبت فاطمة حقها وتسببت في وجدها»

و غضبها و غضب النبي ﷺ و بالتبعية بسخط الرحمن. و يجمع بين الوثن الذي قتل الحسين ﷺ بكر بلاء و بين من اغتصبوا حق فاطمة الزهراء ﷺ، و لا يميز بينهما بشئ و يحتمل أنه يريد أن يقول بأن كل ما وقع في كربلاء كان سببه الرئيس هو غضب فدك».

سيدة نساء العالمين

أحد ألقاب فاطمة الزهراء ﷺ هو «سيدة نساء العالمين». وأشار ناصر خسرو في ديوانه إلى هذا اللقب و باستفهام استنكارى يتساءل هل كان هناك كفاء لفاطمة الزهراء ﷺ غير علي بن أبي طالب ﷺ و يبين أن الحسين السبطين هما ودائع الرسول ﷺ و يقول:

گزين و بهين زنان جهان کجا بود جز در کنار علی
حسين و حسن يادگار رسول نبودند جز يادگار علی^(٢٨)

«فاطمة الزهراء هي أشرف و أزكى سيدات نساء العالم و بنوها هم البقية و ودائع الرسول على الأرض».

تبع الإمام علي ﷺ

ناصر خسرو في بيان فضائل الإمام علي ﷺ علاوة على شجاعته و فضائله اللامعة في سماء الفضل ذكر استحقاقه و كفاءته في تبع السيدة فاطمة الزهراء ﷺ و لا يرى أحدا يضاهي منزلة زوج الإمام علي ﷺ و ابنيها حيث يقول: «ذوالفقار ايزد سوى كه فرستاد به بدر زن و فرزند كه را بود همچو زهرا و شبير»^(٢٩) «من أتى بذئ الفقار له جبريل في بدر؟ و من له ولد و زوجة كفاطمة الزهراء و الحسين؟».

وتجدر الإشارة إلى أن غرض الشاعر من ذكر زوجة الإمام علي عليه السلام هو ذكر أحقية علي عليه السلام بالخلافة وذلك أنه كان عالماً و شجاعاً وأقرب من النبي صلى الله عليه وآله بين الناس. وفي مكان آخر أشار هذا الشاعر إلى علاقة السيدة الزهراء بعلي عليه السلام وقال إن أفضل نساء العالم هي زوجة علي عليه السلام وأم الحسين وأن شجرة النبوة تستمر في أولاد الإمام علي عليه السلام والسيدة الزهراء:

گزين و بهين زنان جهان کجا بود جز در کنار علی
حسين و حسن يادگار رسول نبودند جز يادگار علی^(۳۰)

«السيدة الزهراء هي أفضل نساء العالم وأن الحسن والحسين هما ذرية النبي صلى الله عليه وآله واستمرار النبوة».

ويذكر في بيت آخر أن علياً عليه السلام هو كفاء السيدة الزهراء وإن لم يكن علي لما كان احد كفاء وزوجا للسيدة الزهراء عليها السلام:

کفوی نداشت حضرت صديقه گر می نبود حيدر کرارش^(۳۱)

«لو لا علي عليه السلام لم يكن لها كفوء».

وأشار الشاعر في قصيدة مدح فيها النبي صلى الله عليه وآله إلى صلة القرابة بين النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام، ويذكر أنه قرين النبي صلى الله عليه وآله ويستحق بالزواج من قررة عين النبي صلى الله عليه وآله:

قرين محمد كه بود؟ آنكه جفتش نبودی مگر حور عين محمد
از اين حور عين و قرين گشت پيدا حسين و حسن سين و شين محمد^(۳۲)

«من كان قريناً للنبي صلى الله عليه وآله؟ هو الذي كان زوجاً للسيدة الزهراء عليها السلام، ونتاج هذا الزواج هو الحسن والحسين عليهما السلام أحفاد النبي صلى الله عليه وآله».

محبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

إن ناصر خسرو محبّ أهل البيت وديوانه الشعري حافل بهذه المحبة والإخلاص، ويذكر أن حبّ أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله والسيدة الزهراء عليها السلام سبب خلاص العذاب الأخروي ودخول الجنة دون حساب. فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: ((من أراد دخول الجنة بغير حساب فليحب أهل بيتي)).^(٣٣) «چون به حب آل زهرا روى شستى، روز حشر نشنود گوشت ز رضوان جز سلام و مرحبا»^(٣٤) «إذا كنت محبا لآل فاطمة فلن تسمع أذن كفي الجنة إلا التحية والسلام». وقد تجاوز الشاعر عن هذا الحد ونسب هذا الحبّ إلى غير البشر مؤكداً أن الخصومة مع أولاد السيدة الزهراء سبب الشقاوة والخذلان في الدنيا والآخرة:

معزول گشت زاغ چنين زیرا چون دشمن نبیره زهرا شد^(٣٥)

«هل تعرف لماذا أصبح الغراب منعزلاً وغير محبذ بين الناس، لأنه كان معارضاً وعدواً لأولاد السيدة الزهراء وأحفادها».

شفاعة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام يوم القيامة

ناصر خسرو عندما يرسم للمتلقي كيفية الجزاء في يوم القيامة وتجسيد الأعمال وبالتلميح للموت ونكباته والخوف والوحشة من ذلك اليوم العظيم الهائل ويشد الأمل بشفاعة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ويعلق أنامله بأطراف ثيابها تشفعا ورجاء، ويقول:

آن روز بیابند همه خلق مکافات هم ظالم و هم عادل بی هیچ محابا
آن روز در آن هول و فزع بر سر آن جمع پیش شهدا دست من و دامن زهرا
تا داد من از دشمن اولاد پیمبر بدهد به تمام ایزد دادار تعالی^(٣٦)

«في ذلك اليوم يكافأ الورى جميعا من ظالم وعادل دون محاباة أو تفریق ومن شدة الأحداث والأهوال يُسْتَشْفَعُ بالشهداء وبأهل البيت عليهم السلام حتى يأخذ الله تعالى الحق من أعداء النبي وآله منهم غيظا من شفاعة أهل البيت عليهم السلام لمحبيهم». وأوصى الشاعر في أبيات أخرى باتباع أهل البيت وأولاد السيدة الزهراء، الذين هم أولاد النبي صلى الله عليه وآله وشفعاء محبيهم في الآخرة:

پسران على آنها كه امامان حقند
به جلالت به جهان در چو پدر مشتهرند
سپس آن پسران رو پسرا زانكه تو را
پسران على و فاطمه زآتش سپرند
سپری كرد توانند تو را زآتش تيز
چون همی زیر قدم گردن كيوان سپرند^(۳۷)

«عليكم بالتبعية والتشييع والإطاعة لأوامر أهل البيت عليهم السلام ونواهيهم، فإن النجاة ليست إلا بهم فهم الجوشن الكبير والدرع والحصن الحصين من العذاب الأليم».

... الخاتمة ...

فمن خلال مسيرة البحث، أمكننا أن نصل إلى جملة من النتائج، وهي على النحو الآتي:

١. كان ناصر خسرو سنيافي الأوائل من عمره ثم قام بالسفر إلى حج بيت الله، فكان سفره هذا منطلق تحوله الفكري والأخلاقي والتعاملي. فترك الشراب واللهو ثم تعرف عقائد الفاطميين وبدأ بتبليغ المذهب الإسماعيلي.
٢. لم يمدح الشاعر سوى كبار رجال الدين والعظماء، والخلفاء الفاطميين، فكانت مدائحه دينية في مجملها؛ مستوحاة من إخلاصه لآل بيت النبي ﷺ.
٣. وأشار الشاعر في شعره إلى جوانب وخصائص مختلفة من شخصية السيدة الزهراء (عليها السلام)؛ وكان الهدف من ذلك إثبات حق هذه المرأة العظيمة وأحقية مذهبه.
٤. ومن الخصائص التي ذكرها الشاعر هي؛ علم السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، ومسألة فدك، وسيدة نساء العالمين، وتبعل الإمام علي (عليه السلام)، ومحبة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وشفاعة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) يوم القيامة.

١. ديوان، ناصر خسرو، تصحيح مجتبي مينيوى و مهدي محقق، انتشارات دانشگاه تهران، طهران، چاپ اول، ۱۳۵۳ ش، ص ۵۰۷
٢. ديوان، ص ۵۳۸
٣. ديوان، ص ۱۶۲

٤. ديوان، ص ١٢
٥. ديوان، ص ٣٧٢
٦. ديوان، ص ١٤٤
٧. ديوان، ص ١٤٣
٨. ديوان، ص ١٣٠
٩. ديوان، ص ٣٣٩
١٠. ديوان، ص ٧٣-٧٤
١١. ديوان، ص ٦٦
١٢. ديوان، ص ٢٣٦
١٣. ديوان، ص ١٨٦
١٤. ديوان، ص ١٨٦
١٥. ديوان أشعار، ص ٢٠٩
١٦. ديوان، ص ١٢٩
١٧. ديوان، ص ٣٣٩
١٨. ديوان، ص ٦
١٩. ديوان، ص ٦٦

المصادر والمراجع

1. أثر اللغة العربية وأدبها في شعر ناصر خسرو، ندى حسون، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٦، العدد ٤٣، ٢٠١٠م، ص ١١٣-١٧٤.
2. أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، دار التعارف، بيروت، ١٣٧١ ق.
3. سفرنامه، ناصر خسرو علوي، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٣م.
4. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق محمد إبراهيم، دار الكتاب العربي، بغداد، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ ق.
5. فتوح البلدان، أحمد بن جابر البلاذري، تحقيق عبدالله أنيس الطباع و عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٧ ق.
6. فذك في التاريخ، محمد باقر الصدر، دار التعارف، بيروت، ١٤١٠ ق.
7. معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧ ق.
8. بحار الانوار، علامه محمد باقر مجلسي، تحقيق وتعليق: سيد جواد علوي، ناشر: دارالكتب اسلامية، تهران ١٣٦٢ ق.
9. تاريخ ادبيات در ايران، ذبيح الله صفاء، انتشارات فردوس، طهران، چاپ دهم، ١٣٦٩ ش.
10. تاريخ ادبيات ايران (از فردوسی تا سعدی) ادوارد براون، ترجمه: فتح الله مجتبابي، انتشارات مرواريد، طهران، ط ٥٥، ١٣٧٣ ش.
11. تاريخ نظم و نثر در ايران، سعيد نفيسي، فروغی، طهران، ١٣٤٤ ش.
12. تحليل اشعار ناصر خسرو، مهدي محقق، انتشارات دانشگاه تهران، تهران، چاپ دوم، ١٣٤٩ ش.
13. ديوان اشعار، تصحيح سيد نصرالله تقوي، گلشن، طهران، ١٣٤٨ ش.
14. ديوان، ناصر خسرو، تصحيح مجتبی مینوی و مهدي محقق، انتشارات دانشگاه تهران، طهران، چاپ اول، ١٣٥٣ ش.
15. «زن در آينه شعر فارسي / ابومعین حميدالدين ناصر خسرو»، اکرم جودي نعمتي، مطالعات راهبردي زنان (کتاب زنان سابق)، رقم ٢٤، صيف سنة ١٣٨٣.
16. سبک خراساني در شعر فارسي، محمد جعفر محجوب، انتشارات فردوس، تهران ١٣٤٥ ش.
17. سبک شناسی، سيروس شميسا، انتشارات فردوس، تهران، ١٣٦٧ ش.
18. سخن سخنوران، بديع الزمان فروزانفر، انتشارات خوارزمي، تهران، ١٣٥٠ ش.
19. ناصر خسرو، ياقوت بداخشان، أليس هانزبرجر، مترجم: ف. بدري، فرزانه، تهران، ٢٠٠١م.

الصَّيغُ الصَّرْفِيَّةُ وَأَثْرُهَا الدَّلَالِي فِي خُطْبَةِ الزَّهْرَاءِ (عليها السلام)

**Derivational Patterns
and Their Semantic Impact
on Al-Zahrah Sermon**
Peace be upon her

م.م. مُحَمَّدٌ فَيْصَلُ حَسَنَ الْمُوسَوِيِّ

جامعة القادسية

مديرية تربية القادسية

Asst. Lecturer. Mohammed F. Al-Moosawi

Al-Qadisiya University
Al-Qadisiya Educational Directorate

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research

ملخص البحث :

يلتفت الدارس إلى أن كل لفظ يحتاج إلى معناه، فإذا جردته عنه أصبح كأنه قشرة بالية، أو قل طعام بلا ملح، والمعنى هو صورة الشيء وحقيقته التي قد يصل الباحث بها إلى معرفته، فلا تُعرف الأشياء بملفوظاتها بل بمعانيها وحقيقتها.

من هنا كان لا بد لدارس الصرف أن يقف على دلالات الأبنية الصرفية التي تكوّن بمجموعها تلك النصوص التي يستعملها بنو البشر أساساً للتفاهم فيما بينهم؛ لأنك إذا جردت الصيغ أو البنى، وأرجعتها إلى أصوات منفردة لا تجد تواملاً بشرياً يوحي إلى التفاهم والتأقلم مع الآخرين، فإذا نُطقت بمجموعها دلتك على شيء تستطيع به فهم المراد.

إذ إنّ هذه الدراسة الموسومة (الصيغ الصرفية وأثرها الدلالي في خطبة الزهراء عليها السلام)، عبارة عن عرض مُيسر لبعض معاني الأبنية في الخطبة، تلك التي قدمت لنا درساً في جزالة المعنى وفصاحة القول، وأبانت لنا قدرة الزهراء عليها السلام اللغوية والمنطقية. وقد عرض البحث في بدايته الدلالات التي تدل عليها صيغ معينة في الخطبة، ثم تطرق إلى دراسة معنى الصيغة وسط سياقها، فلا تتغير دلالة الصيغة إلا لمعرفة ما يدل عليه سياقها اللغوي.

... التمهيد ...

الحمد لله رب العالمين حمداً يكون دليلاً عليه، وصلى الله على رسوله محمد ﷺ
تجلت معاني الحقيقة فيه، صلا
وطهرهم تطهيراً.

وبعد ... سنتسير دراستنا هنا على أربع نقاط مهمة هي:

(١) مفهوم الصيغة لغةً واصطلاحاً

لكل دراسة حديثة أو قديمة معرفة أولية بسيطة تساعد على الإحاطة بالموضوع
من جميع جوانبه وفهمه فهماً صحيحاً قائماً بحد ذاته على اللغة والاصطلاح لمفهوم
المفردة المدروسة، فالصيغة لغة: «صاغ يصوغ صوغاً، وصاغ الشيء يعني سبكه»^(١)،
فالمقصود من الصيغة هي: «هيئتها الحاصلة من ترتيب حروفها وحركاتها والجمع
صيغ»^(٢). أمّا الصيغة اصطلاحاً هي: «معيّار أو ميزان يُتخذ أساساً لمجموعة من
الكلمات، وتبين من خلالها أصل الكلمة وما يعترضها من تغيير»^(٣). يُفهم من هذا
أنّ صيغة الكلمة تُعدّ عنصراً من العناصر الأساسية التي تحدد معناها، ولولا الصيغ
لالتبست الألفاظ المشتقة من مادة واحدة ك (كاتب، ومكْتُوب، وكتابة).

(٢) مفهوم الدلالة لغةً واصطلاحاً

إنّ المعنى المعجمي الأوّل لأي لفظ في اللغة العربية يمثل اللبنة الأولى له، على
اعتبار البداية لهذه اللفظة تمثل محيطها الدلالي، فالدلالة لغة: «الدليل ما يستدل به،

والدليل الدال، وقد دله على الطريق يدلّه دَلالة ودِلالة ودُلالة، والفتح أعلى^(٤)، وأشار الفيروز آبادي للوضع اللغوي للفظة الدلالة قائلاً: «الدالة ما تدل به على حميمك، ودله عليه دلالة ويُثَلَّث، ودلولة فاندل: سدد إليه»^(٥). حرصنا هنا على الاختصار لمدلول الدلالة اللغوي كونها تدل على معنى واحد في جميع المعاجم اللغوية بيد أنّها مختلفة من حيث التعبير، فلا حسنة تُذكر في الإطالة.

أمّا الدلالة اصطلاحاً: فهي: «كون الشيء بحيث يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والأول الدال، والثاني المدلول»^(٦). وهذا معنى عام لكل رمز إذا علم، كان دالاً على شيء آخر ثم ينتقل بالدلالة من المعنى العام، إلى معنى خاص بألفاظ معينة، ونجد أنّ هناك ارتباطاً بين معنى (الدلالة) في الاصطلاح وبين معناها في اللغة، إذ انتقلت اللفظة من معنى الدلالة على الطريق وهو معنى حسي إلى معنى الدلالة على معاني الألفاظ وهو معنى عقلي مجرد. ويعرفها بعضهم بأنّها دراسة المعنى أو العلم الذي يدرسه المعنى أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى أو يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى^(٧). ويتكون علم الدلالة من ثلاثة عناصر هي: المعنى الوظيفي، ويمثل: النحوي، والصرفي، الصوتي، والمعنى المعجمي، والمعنى السياقي^(٨)، وما لا تلت عليه الدراسة هنا هو المعنى الوظيفي مقتصرة على الدلالة الصرفية للصيغة في خطبة الزهراء عليها السلام.

٣) مفهوم وظيفة الصيغة

إنّ تعدد معاني الصيغة الصرفية له علاقة بالمضمون أو بالوظيفة؛ ويتعدد معناها في المبنى الواحد^(٩)، يقول المبارك: «إنّ قوالب الألفاظ وصيغ الكلمات في العربية أوزان موسيقية أي أنّ كل قالب من هذه القوالب، وكل بناء من هذه الأبنية ذو نغمة موسيقية ثابتة»^(١٠).

٤) مفهوم الدلالة الصرفية

لا بد أن نشير هنا إلى مفهوم الدلالة الصرفية؛ ذلك أنها محور الدراسة التي سينطوي عليها البحث لإبراز المعنى المراد من الصيغ في الخطبة المراد دراستها، فالدلالة الصرفية هي: «الدلالة التي تستمد كينونتها من الصيغ وأبنتها»^(١١)، وهي نوع من أنواع الدلالة الفرعية؛ لأنها تمثل معنى الوزن، إذ فيه زيادة لم تكن موجودة في اللفظ نفسه^(١٢).

وسماها ابن جني بالدلالة الصناعية، قال: «الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قبل أمّتها وإن لم تكن لفظاً فإنّها صورة يحملها اللفظ، ويخرج عليها ويستقر على المثال المعتزم بها، فلمّا كانت كذلك لحقت بحكمه وجرت مجرى اللفظ المنطوق به فدخلا بذلك في باب المعلوم بالمشاهدة»^(١٣). يُفهم من هذا أنّ الدلالة الصرفية (الصناعية) لها علاقة باللفظ، فهي صورة حملها هذا اللفظ، وهو ما أراده ابن جني وأشار إليه.

التطبيق الصرفي للصيغ وأثرها الدلالي في الخطبة

يُعدّ التوجيه الدلالي الصرفي من وسائل معرفة الدلالة وخاصة في النص الخطابي، إذ يوجه به المعنى اعتماداً عليه وهناك مجموعة من الصيغ واضحة وجلية في الخطبة تحتاج إلى تأملات ودقة في تناولها؛ كونها تدل على معان جمة؛ لأنّها صدرت من بنت النبي ﷺ صاحبة البلاغة والكمال الرباني التي تجلّ الوجود فيها، ونالت الرفعة والسمو والعلم اللدني من أبيها ﷺ، وكذا الموقف العصيب الذي تلت فيه هذه الخطبة ومطالبتها بحققها من غاصبيها، فهي بذلك تحمل في طياتها كثيراً من الدلالات والمعاني التي يجدر بنا أن نقف عليها، ونبين مواضعها، لمعرفة المغزى

من وراء ذلك، ورصد تلك الصيغ ودلالاتها بهذه البنية والميزان، بغية الوصول إلى المعنى، وقد وقفنا على الصيغ الأكثر وروداً في الخطبة، ومنها:

١: صيغة (فَعْلانِ وَفَعْلانِ)

تقترن الألف مع النون لتشكّل هذه الصيغة ومن هذه المعاني هي الصفة المشبهة للمذكر على وزن (فَعْلانِ)، بفتح الفاء وسكون العين، قال سيبويه: «وَأَمَّا فَعْلانِ إِذَا كَانَ صِفَةً وَكَانَتْ لَهُ فَعْلٌ فَإِنَّهُ يَكْسَرُ عَلَى فِعَالٍ بِحَذْفِ الزِّيَادَةِ الَّتِي فِي آخِرِهِ، كَمَا حَذَفَتْ أَلْفُ إِنَاثٍ... وَذَلِكَ: عَجْلانِ»^(١٤).

نفهم من كلام سيبويه أنّ صيغة (فَعْلانِ)، هي من (فَعِلَ)، مفتوح الفاء مكسور العين، لسببين هما:^(١٥).

١. إنّ (فَعِلَ)، أقرب إلى جمع التكسير في الصفة.
٢. لقلّة هذا الوزن (فَعِلَ) في الصيغ الصرفية.

ولو تتبعنا هذه الصيغة في خطبة الزهراء عليها السلام، لوجدنا أنّ لها نصيباً في خطبتها، فمن ذلك قولها عليها السلام: «وَقَبْسَةُ الْعَجْلانِ»، و«سُرْعان ما أحدثتم وَعَجْلانِ ذَا إِهَالَةٍ»^(١٦).

أرادت الزهراء عليها السلام بالموضع الأول أن تبين مدى الاستعجال تمثيلاً بالمقتبس الذي يدخل الدار بيده النار، أي ينال بغيته منكم بلا مؤنة على عجلة^(١٧). وفي الموضع الثاني بيّنت الزهراء عليها السلام العجلة في عدم حفظها ومزاولة حقها، وعجلة ما جاءوا بموت دين النبي صلى الله عليه وآله، والتعجب من تعجيل الأنصار على إحداث البدع وترك سنة النبي صلى الله عليه وآله، ورفض الأحكام والتخاذل عن نصرته عترة النبي صلى الله عليه وآله^(١٨).

يبدو لي أنّ هذا المعنى متأً للصيغة من مناسبة الحركة والاضطراب والسرعة^(١٩).

وذكرت هذه الصيغة في خطبتها بلفظ آخر هو (الشيطان)، غير مرة، فمن ذلك قولها ﷺ: «اطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم...» (٢٠).

يفهم من هذا بيان أصل من يمثل الشيطان الذي كان متخفياً خوفاً من الحق وإحقاقه، بعدما مالت النفوس نحو الباطل، تشبيهاً بالقنفذ الذي يظهر رأسه بعد زوال الخوف (٢١)، قال ابن منظور: «... الشيطان فعلان من شاط يشيط إذا هلك واحترق مثل هيئان...» (٢٢). وقال ابن منظور: «الشيطان (فعل من شطن... لسان العرب (شطن) وكل متمرد يسمى شيطاناً ومنه سميت الحية (شيطاناً)).

ويبدو لي أن كثرة استعمال الزهراء ﷺ، هذه اللفظة بتلك الصيغة ما هو إلا بيان لمن تمثل بهذا المخلوق الخبيث وبعده عن الحق المضمون لاصحابه.

أما إذا جئنا إلى الصيغة الأخرى (فعلان)، مكسورة الفاء ساكنة العين، الدالة على الجمع السماعي للكثرة، على (فعل) بفتحاً وهو تسكين الثاني، مثل (رضو) (٢٣)، فنجد هذا في خطبتها، إذ تقول ﷺ: «قد حُفَ بالملائكة الأبرار ورضوان الرب الغفار ومجاورة الملك الجبار» (٢٤).

نلاحظ من كلامها ﷺ، في حق أبيها رسول الله ﷺ، أنها أرادت أن تبرز معنى الكثرة للفردوس المحمدي الذي جاهد من أجله ليقيم دورة الحياة الانسانية بأسلوب خالد، ورفرفت روحه الطاهرة بمجاورة الملك الجبار، والظفر برضوان الله (٢٥)، والرضوان جاء هنا بمعنى الاختيار، وعدم السخط، والمدح والثناء على الطاعة من قبل الله (٢٦).

وجاءت هذه الصيغة بلفظة (السنان)، قالت ﷺ: «ووخز السنان في الحشا» (٢٧). إذ أشارت الزهراء ﷺ إلى الآلام الروحية الملقاة عليهم جرأ ما فعله الأعداء، والمعنى واضح في إعطاء الشدة في الطعن بالسنان، فهو علامة على المحن والمصائب

التي تراكمت على أهل البيت (عليهم السلام)؛ لما شاهدوا من تعريض جهود النبي (صلى الله عليه وآله) إلى الخطر باسم الدين، فشبهت ذلك بمن يُذبح ويُطعن في الحشا^(٢٨).

٢: صيغة (فَعِيل)

تُعَدُّ صيغة (فَعِيل) من الصيغ كثيرة الدوران في اللغة العربية، وقد تُستعمل في معانٍ عدة: منها ما جاء اسماً، ومصدرًا، وصفةً، وظرفًا، وتوكيدًا، ونجد لهذه الصيغة حظًا في خطبة الزهراء (عليها السلام)، إذ جاءت ظرفًا بلفظة (قريب)، وهذه يستوي فيها المذكر والمؤنث، قال أبو عبيدة موضحًا لفظة (قريب): «هذا موضع يكون فيه المؤنثة والثنتين والجميع منها بلفظ واحد، ولا يدخلون فيها الهاء؛ لأنه ليس بصفة ولكنه ظرف... في قريب وبعيد...»^(٢٩). قالت (عليها السلام) في معرض خطبتها: «هذا والعهد قريبٌ» و«قريباً من رسول الله»^(٣٠).

إذ أشارت (عليها السلام) أنه لم يمضِ وقت طويل على رحيل النبي (صلى الله عليه وآله)، ولم يلتئم الجرح، والمقصود أنكم فعلتم هذه الأمور وارتكبتم المحذور بعد وفاة أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكانت المدة قريبة بينكم وبينه^(٣١). وكذلك أرادت (عليها السلام) أن تبين مدة قرب الإمامة من النبوة، كقرب علي (عليه السلام) من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، من حيث النسب والمعرفة أي القرب المادي والمعنوي^(٣٢).

وجاءت في خطبتها (عليها السلام) لفظة (وَيْبِل) بمعنى (وابل)، أي (فَعِيل) بمعنى (فاعل)، وإذا وردت للتأنيث تكون علامتها، وتفيد هنا السلبية أو الاضطرارية؛ لأنها تدل على الصفة المشبهة^(٣٣). قالت (عليها السلام): «وَوَيْبِلًا»^(٣٤)، أرادت بذلك العذاب الثقيل والمكروه في الآخرة كوابل المطر الشديد، والعاقبة السيئة لهم، وهذا إشارة إلى شدة الميل إلى المخاطب والاحتجاج عليه^(٣٥).

يُفهم من هذا أنّ العدول من (فاعل) إلى (فَعِيل)، يفيد المبالغة في الشيء، والشدة والقوة في الوصف والثبوت، لذا نجد معنى الحدث أكثر وقوعاً وأشد قوة من غيره^(٣٦).

٣: صيغة (فَاعِل)

مصطلح يُراد به الصيغة المأخوذة من الفعل على وزن (فَاعِل)، فإن كان لازماً فلا يقال في اسم الفاعل منه فاعلاً إلا سماعاً^(٣٧)، وعندما نتوقف على التركيب المقطعي لهذه الصيغة نجد أنّ (فَاعِل)، تشكل بعد الصائت الأول القصير في الأصل الثلاثي (فَعَلَ)^(٣٨)، ومعلوم أنّ (فَاعِل) بكسر العين أشهر أوزان اللغة العربية وأكثرها دوراناً، وكان لهذه الصيغة اثر في خطبة الزهراء عليها السلام، فمن ذلك مثلاً: «كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع...»^(٣٩).

أرادت الزهراء عليها السلام، بهذه الصيغة المتكررة في هذا المورد بيان دلائله التي تبصرون بها الهدى من الضلالة الظاهرة، والمراد هنا الإمام علي عليه السلام، أو مطلق العترة بجعل الكتاب القرآن الصامت والإمام علي عليه السلام الكتاب الناطق بقريئة الكلمات (الناطق - الصامت)، أو المراد به الناطق بالأحكام، وبيان كل شيء من الحلال والحرام، ودلائله الواضحة والساطعة اللامعة^(٤٠).

يُفهم من هذا أنّ هذه الصيغ جاءت من الفعل الثلاثي اللازم (فَعَلَ) (نَطَقَ - صَدَقَ - سَطَعَ) و (فَعَلَ) (لَمَعَ)، التي جاء الوصف منها على (فَاعِل) من باب (فَعَلَ) (فَعَلَ) دلالتها في الغالب الأعم على العمل سواء في ذلك ما كان فعلاً لازماً أم متعدياً، بمعنى أنّ الوصف من هذه الأفعال يدل على الفاعل حقيقة أي الذي يوقع الفعل، فقد ارتبطت هذه الصفات في غالبها بذوات قادرة على إيجاد الفعل أو ما

يصح أن ينسب الفعل إليها^(٤١). ومن هذا الباب أيضاً لفظة (كَاطِم) جاءت هذه الصيغة في خطبتها عليها السلام، قالت: «ونطق كَاطِمِ الغاوين...»^(٤٢).

المراد من هذا الساكت من خوف عقاب النبي عليه السلام، المضمّر لعداوته، أو من جهة مهابته؛ لأنهم غارقون في الجهل والظلام، والموضع هنا كناية أي بعدما رحل النبي عليه السلام عن الدنيا ظهر ما كان يخفيه بعض الناس في صدورهم من النفاق وعدم التقوى^(٤٣).

يفهم من هذا لفظة (كَاطِم) هي اسم فاعل من (كَظَمَ كُظُوماً) إذا احتبس نفسه (بفتح الفاء)، فمعنى (كَاطِم): لا يستطيع كلاماً، فعلى هذا التأويل عوامل معاملة الفعل اللازم «فهو تمثيل للإمساك مع الامتلاء، ولا شك في أن أقوى القوى تأثيراً في النفس القوة الغاضبة فتستهي إظهار آثار الغضب، فإذا استطاع إمساك مظاهرها، مع الامتلاء منها، دل ذلك على عزيمة راسخة في النفس، وقهر الإرادة للشهوة»^(٤٤) ويقال: (كَظَمَ كُظُوماً)، إذا سد شيء مجرى ماءً أو باباً أو طريقاً فهو (كَاطِم)، فعلى هذا يكون المعنيقلوبهم فيها شدة الاضطراب^(٤٥).

وفي موضع آخر لفظة (ضَارِب)، قالت: «ضَارِباً تَبَجَّهَم»^(٤٦). أي بمعنى ثبج سادة وعظماء المشركين، وإعراضه عن طريقهم، فأصابهم الهلك والموت^(٤٧). وهذا يدل على أن لفظة (ضَارِب) فيها معنى الضرب؛ لأنّها متضمنة في بنائها مادة (ضرب)، ويفهم منها أيضاً نسبة هذا المعنى إلى ذات، وهذه النسبة هي التي يعبر عنها باتصاف الذات بالحدث، واسم الفاعل في هذه الدلالة، أي الدلالة على معنى ينسب إل ذات لا يفترق عن باقي الصفات^(٤٨).

٤ : صيغة (فَعَالٌ وَفِعَالَةٌ وَفِعَالَةٌ)

تشارك صيغة (فَعَالٌ) بعدة معانٍ منها: العيوب، والامتناع، والإباء، والمباعدة، وانقضاء أوان الشيء، وقرب شيء من شيء، والأثر، والوسم^(٤٩). وكان لهذه الصيغة أثر في خطبة الزهراء عليها السلام، إذ قالت: «ثم استنهضكم فوجدكم خِفَافاً»^(٥٠). بمعنى وجدكم الشيطان مسرعين إلى أغراضه ومطالبه بلا تثاقل، فهي وسام وعلامة لهم^(٥١). يتضح من هذا أن صيغة (فَعَالٌ)، تكون لأسماء الوسوم «والفَعَالٌ بالكسر غالب في السمات...»^(٥٢). وفي موضع آخر ورد المصدران قالت عليها السلام: «يهتف في أفئيتكم هُتَافاً، وَصُرَاحاً»^(٥٣). بينت عليها السلام في هذا الموضع أنكم سمعتم القرآن بلغة العرب وبأحسن قراءة، تشبيهاً لموقفها كالصياح الشديد أي المستغيث أي: صوت بكائها مشتملاً على الشدة^(٥٤).

أما صيغة (فِعَالَةٌ) جاءت في خطبتها بلفظة (زِيَادَةٌ وَحَيَاشَةٌ)، قالت عليها السلام: «وزيادة لعباده عن نعمته، وَحَيَاشَةٌ لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ»^(٥٥). رفقت الزهراء عليها السلام، هنا إلى توضيح معنى الطرد والمنع من الأعداء لها، والانتقام منها، وجاءت بتعبير (الْحَيَاشَةُ) لنفور الناس بطبعهم عما يوجب دخول الجنة^(٥٦)، وهي هنا أعطت المقابلة بين اللفظتين أي الإبعاد والتقريب^(٥٧). ونجد أن هذه الصيغة تدل على القيام بالشيء والاستيلاء عليه «إنما هي بمنزلة الولاية للشيء والقيام به»^(٥٨)، وقد انضح هذا المعنى في كلامها عليها السلام، خلال القيام بطردها وعدم القرب من الجنة.

٥ : صيغة (فَعَالٌ)

تُعَدُّ صيغة (فَعَالٌ) من الصيغ التي تدل على المبالغة في الفعل، فضلاً على معنى آخر وهو أن يكون الموصوف بها كأنه ذو حرفة وصنعة؛ لشدة اتصافه بها، فإن قيل

هذا (ضَّرَاب) فكأنه امتهن صنعة الضرب، وتقتضي الاستمرار والتكرار، والإعادة والتجدد، والملازمة^(٥٩). وقد استعملت الزهراء (عليها السلام) هذه الصيغة غير مرة في خطبتها، مثلاً: «رَضوانِ الرَّبِّ العَفَّارِ ومجاورة الملك الجَبَّارِ»^(٦٠).

هذا إن دلَّ فإِنَّه يدل على المبالغة في الغفران، وستر الذنوب عن العباد، والتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم، أي المحو في الأصل، أمَّا صيغة (الجَبَّار) مبالغة في الجبر والإصلاح التكويني لا التشريعي^(٦١).

٦: صيغة (فَعَّلَ وَتَفَعَّلَ وَاسْتَفَعَلَ)

وهذه الصيغة الأولى ثلاثية زيد فيها حرف واحد بالتضعيف (فَعَّلَ)، وأكثر ما تكون لتكرير الفعل وتكثيره والمبالغة فيه^(٦٢)، ودلالة هذا البناء على معنى التكثير ذكرها الصَّرْفِيُّونَ^(٦٣) إلا أنهم غالباً ما يكتفون بذكر مصطلح التكثير لا غير. وقد جاءت في خطبة الزهراء (عليها السلام)، بقولها: «والثناء بما قَدَّم» و«ضَمَّن القلوب موصولها» و«فَبَلَّغ الرسالة صادعاً بالندارة»^(٦٤).

ويبدو لي أنَّ صيغة (فَعَّلَ) تدل على الكثرة والمبالغة، أي تقديم الخير الكثير، أمَّا موضع التضمين، فهذا من باب العلم الغزير للفقوِّاد أو العقل والاحتواء له والدلالة عليه، والتبليغ بمعنى الكثرة والمبالغة فيه والإظهار له والتكلم به جهاراً، والإعلام عنه تخويفاً لهم^(٦٥). وهذا يدل على تكرير الحدث بربط بناء الفعل ودلالته على التكثير، إذ جعلوا تكرير العين دليلاً على تكرير الحدث «ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلاً على تكرير الفعل، فقالوا: كَسَّرَ وقَطَّعَ، وفتَّحَ، وغلَّقَ. وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلاً المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل، والعين أقوى من الفاء واللام»^(٦٦).

أما صيغة (تَفَعَّل) فجاءت لمعانٍ عدّة منها «للمطاوعة نحو كَسَّرته فتكسر، وللتكلف نحو تشجّع وتحلّم، وللاتخاذ نحو توسّد وللتعجب نحو تأمّم وتحرّج، وللعمل المتكرر في مهلة نحو تجرّعته ومنه تفهّم، وبمعنى استفعل نحو تكبّر وتعظّم»^(٦٧).

واجترحت خطبة الزهراء عليها السلام بهذه الصيغة، قالت عليها السلام: «أنار في التّفكر معقولها» و«وتعبداً لبريته»^(٦٨). وضحت عليها السلام بالموضع الأول: التأمل في حركة النفس بالقوة والقصد، وهذه الحركة تسمى فكراً في المعقولات، وفي المحسوسات تسمى خيالاً، والتضعيف هنا للمبالغة لا للتعدي^(٦٩)، أمّا المورد الثاني: ففيه إشارة إلى العبودية لله تعالى أي جعله عبداً له، واتخذه عبداً له، وهذا غاية التكلف في الخضوع والتذلل لله تعالى، وكذا تعطي دلالة النسك، والدوام على العبادة^(٧٠).

وفيما يبدو أن صيغة (تَفَعَّل) هنا جاءت بمعنى التكلف في التفكير والتعبد. أما صيغة (اسْتَفَعَلَ) فتكون متعدية وغير متعدية^(٧١)، وجاءت في خطبتها غير متعدية، قالت عليها السلام: «واستحمّد إلى الخلائق بإجزالها»^(٧٢). أرادت الثناء باللسان على الجميل الاختياري بقصد المبالغة والتعظيم والتبجيل للممدوح على نعمه، فالحمد أعم من جهة المتعلق، وأخص من جهة المورد^(٧٣).

وورد بناء (اسْتَفَعَلَ) متضمناً معنى أصله الثلاثي (فَعَلَ)، نحو قرّ واستقر، إذ يُراد بهما شيءٌ واحد، لاسيما في مورد الخطبة (اسْتَحَمَد) بمعنى (حَمَد)، وأنّ اسْتَفَعَلَ وإن كانت بمعنى فَعَلَ، نحو قرّ واستقر إلاّ أنّه لا بد في استقر من معنى المبالغة؛ لأنّ استقر فيه قوة، واللفظ إذا كان ذا قوة فهو ينبئ عن قوة المعنى^(٧٤).

... الخاتمة ...

١. تعدّ خطبة الزهراء عليها السلام من النصوص الخطابية التي جمعت صيغها شرائط النص اللغوي التام، الذي اشتمل عليه الموضوع العام لقضية الإرث، وهذا ما يسمى بالجو العام للخطبة.
٢. كشفت الدراسة عن حشد دلالي لصيغ ذات أهمية، تحتاج إلى عقل بشري واع يقترب من فهم مضمون الخطاب لمعرفة المفردات المشكلة في التركيب.
٣. أظهرت الدراسة روعة التعبير الخطابي في الخطبة في استعمال الصيغ الصرفية التي تناسب الموضوع المطروح.
٤. عالج البحث مفاهيم عدّة لها علاقة بالبحث مثل: (الصيغة، والدلالة، والوظيفة، والدلالة الصرفية).
٥. إنّ الدراسة أخذت منهجاً مهماً في دراسة الصيغة الصرفية، وهو البيان الدلالي للصيغ، في الإطار العام الذي يجمعها، ثم يأتي بعد ذلك دلالات الصيغ التي تنضوي تحتها أبنية متعددة اشتركت في هذه الدلالة، فنبداً بإعطاء تعريف موجز عنها ثم تبيان اتفاق الأوزان في هذه الدلالة أو اختلافها، ثم نتناول الصيغة بالتفصيل، وهذا المنهج حقق لنا أكثر من فائدة.
٦. أوضحت الدراسة أنّ الصيغ التي جاءت تحت هذه الدلالات تتسم بفروق دلالية دقيقة فيها، فمثلاً: دلالة التكلف، والمبالغة، والحركة والسرعة، السمة، وتقريب الشيء... الخ، وهذا يضع أمامنا أمراً مهماً، هو أنّ لكل بناء دلالته التي تميزه من الآخر.

٧. أوضحت الدراسة مجيء الصيغ الصرفية للخطبة بأشكال مختلفة بحسب اختلاف الموقف الخطابي، وهذا ما يسمى بالتحويل في الصيغ، مما أدى الأثر للمعنى في الخطبة مثل: (فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ)، (اسْتَفْعَلٌ بِمَعْنَى فَعَلٍ).
٨. بيّنت الدراسة تداخل المعاني الصرفية مع بعضها في الصيغ التي تعطي دلالة واحدة، والبناء الواحد يدل على عدّة معانٍ تكون مترادفة في بعض الأحيان، مث ل: (فَعَلُوا تَفَعَّلُوا اسْتَفَعَّلُوا).
٩. للصيغ الصرفية أهمية في معرفة الجذر أو المادة اللغوية التي تتألف منها حروف الكلمة، وقيمة هذه الكلمة، ومعرفتها أعربية كانت أم دخيلة؟

١. لسان العرب: ٧ / ٤٤٢ (صوغ).
٢. المعجم الوسيط: ١ / ٥٢٩.
٣. مناهج الصرفيين منذاهبهم: ٢٢.
٤. لسان العرب: ١١ / ٢٤٩ (دلل)، وينظر: الصحاح: ٤ / ١٩٩٨ (دلل).
٥. القاموس المحيط: ١ / ١٠٠٠.
٦. شرح السعد المسمى مختصر المعاني: ٤ / ٤، وينظر: التعريفات: ٥٥.
٧. ينظر: علم الدلالة السلوكي (جون لاينز): ٩.
٨. ينظر: العربية وعلم اللغة الحديث: ١٨٢ - ١٨٤.
٩. ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٦٣.
١٠. فقه اللغة وخصائص العربية: ٢٨٠.
١١. علم اللسانيات الحديثة: ٥٢٦ - ٥٢٧، وينظر: دلالة الألفاظ: ٤٧.
١٢. ينظر: أوزان الفعل ومعانيها: ٤٢، وعلم الدلالة العربي النظرية والتطبيق: ٢١.
١٣. الخصائص: ٣ / ١٠٠.
١٤. الكتاب: ٤ / ١٤ - ١٥.
١٥. ينظر: لسان العرب: ١١ / ٤٢٥ (عجل).
١٦. خطبة الزهراء (ع): ٢١ - ٣٠.
١٧. ينظر: الاحتجاج: ١ / ١٣٥، ومناقب أهل البيت (ع): ٤٣٠.

١٨. ينظر: جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام: ١/١٦١، وشرح خطبة الزهراء عليها السلام: ٢٢٧.
١٩. ينظر: الخصائص: ١/٥٠٥.
٢٠. خطبة الزهراء عليها السلام: ٢٣.
٢١. ينظر: شرح خطبة الزهراء عليها السلام: ٢١٣، وشرح الأخبار: ٣/٤٩، والاحتجاج: ١/١٣٧.
٢٢. لسان العرب: ١٣/٢٣٨ (شطن).
٢٣. ينظر: العين: ٧/٥٧ (رضو)، وصيغة فعلا نواستعمالها في اللغة العربية (بحث): ٤٠.
٢٤. خطبة الزهراء عليها السلام: ١٥.
٢٥. ينظر: فذك في التاريخ: ١٢٤.
٢٦. ينظر: اللمعة البيضاء: ٤٧٩.
٢٧. خطبة الزهراء عليها السلام: ٢٦.
٢٨. ينظر: شرح خطبة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام: ٢٢٣.
٢٩. مجاز القرآن: ١/٢١٦.
٣٠. خطبة الزهراء عليها السلام: ٢٢-٢٤.
٣١. ينظر: اللمعة البيضاء: ٦٣٦.
٣٢. ينظر: شرح خطبة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام: ٢٠٩، واللمعة البيضاء: ٦٢٢.
٣٣. ينظر: دراسة في بعض الصيغ (بحث): ٩٥.
٣٤. خطبة الزهراء عليها السلام: ٤٢.
٣٥. ينظر: اللمعة البيضاء: ٧١٠.
٣٦. ينظر: معاني الأبنية في العربية: ٦٠-٦١.
٣٧. ينظر الأصول ٢/٨٨، وشرح ابن عقيل ٢/١٠٨.
٣٨. ينظر: العربية الفصحى: ١٤٤.
٣٩. خطبة الزهراء عليها السلام: ١٥.
٤٠. اللمعة البيضاء: ٥١٠.
٤١. ينظر: معاني الأبنية في العربية: ١٧٥-١٧٦.
٤٢. خطبة الزهراء عليها السلام: ٢٣.
٤٣. ينظر: نفس المصدر: ٢٣.
٤٤. التحرير والتنوير: ٤/٩١.
٤٥. ينظر: نفس المصدر: ٤/٩١.
٤٦. خطبة الزهراء عليها السلام: ١٩.

٤٧. ينظر: اللمعة البيضاء: ٥٨٦.
٤٨. ينظر: شرح ابن عقيل: ١٠٨-١٠٩ / ٢.
٤٩. ينظر: الكتاب: ٤ / ١٢-١٣، وارتشاف الضرب: ١ / ٢٢٣، والظواهر اللغوية والنحوية في كتب الغريبيين: ٢١٢-٢١٣، ومعاني الأبنية في العربية: ٢٨-٢٩.
٥٠. خطبة الزهراء (ع): ٢٣.
٥١. فدك في التاريخ (الهامش): ١١٣، واللمعة البيضاء: ٦٢٢، وشرح خطبة الزهراء (ع): ٢١٤.
٥٢. شرح شافية ابن الحاجب: ١ / ١٠٨.
٥٣. خطبة الزهراء (ع): ٣١.
٥٤. ينظر: اللمعة البيضاء: ٦٦٥.
٥٥. خطبة الزهراء (ع): ١٣.
٥٦. ينظر: اللمعة البيضاء: ٤٢٠.
٥٧. ينظر: خطبة الزهراء (الهامش): ١٣.
٥٨. أدب الكاتب: ٤٧١.
٥٩. ينظر: شرح المفصل: ٣ / ٤٨٠، ومعاني الأبنية في العربية: ١٠٩-١١٠.
٦٠. خطبة الزهراء (ع): ١٥.
٦١. ينظر: اللمعة البيضاء: ٤٧٥.
٦٢. ينظر: المنصف: ١ / ٩١، والمحتسب: ١ / ٨١.
٦٣. ينظر: الكتاب: ٤ / ٦٤، والمقتضب: ١ / ٢٥٧، والمفتاح في الصرف: ٤٩.
٦٤. خطبة الزهراء (ع): ١١-١٢، ١٩.
٦٥. ينظر: اللمعة البيضاء: ٣٤٧-٣٦٦-٥٩٢.
٦٦. الخصائص: ٢ / ١٥٧.
٦٧. الممتع في التصريف: ١ / ١٨٣-١٨٥.
٦٨. خطبة الزهراء (ع): ١٢.
٦٩. ينظر: اللمعة البيضاء: ٣٦٦.
٧٠. ينظر: نفس المصدر: ٣٩٨.
٧١. ينظر: الكتاب: ١ / ٧٧.
٧٢. خطبة الزهراء (ع): ١١.
٧٣. ينظر: اللمعة البيضاء: ٣٤٧.
٧٤. ينظر: الكتاب: ٤ / ٧٠، وأدب الكاتب: ٣٠٥.

المصادر والمراجع

١. الاحتجاج: الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) تحقيق: السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف الاشرف ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م.
٢. أدب الكاتب: عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ): تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحמיד، ط٤، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م.
٣. ارتشاف الضرب من لسان العرب: محمد بن يوسف أبي حيان الاندلسي (ت ٧٤٥هـ) تحقيق: د. رجب عثمان محمد، مراجعة د. رمضان عبد التواب، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
٤. الأصول دراسة أستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
٥. الأصول في النحو: محمد بن السراج النحوي (ت ٣١٦هـ) تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
٦. أوزان الفعل ومعانيها: هاشم طه شلاش، مطبعة الآداب النجف الاشرف ١٩٧١م.
٧. تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: احمد عبد الغفور العطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
٨. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
٩. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي ؑ: ابن الدمشقي (ت ٨٧١هـ) تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، ط١، مجمع الثقافة الاسلاميه، قم، إيران ١٤١٥هـ.
١٠. الخصائص: عثمان بن عبدالله بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، ط٥، القاهرة الهياة المصرية العامة للكتب، ٢٠١٠-٢٠١١م.
١١. خطبة الزهراء ؑ: زهراء الخرسان، مطبعة الكلمة الطيبة ١٤٣٠هـ.
١٢. دلالة الألفاظ: د. إبراهيم أنيس، ط٢، مكتبة أنجلو المصرية، ١٩٧٢م.
١٣. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: بهاء الدين عبدالله بن عقيل الهمداني (ت ٧٦٩هـ)، ط١٤، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.
١٤. شرح الأخبار: القاضي النعمان المغربي (ت ٣٦٣هـ) تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلاي، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، (د. ت).
١٥. شرح السعد المسمى مختصر المعاني: في علوم البلاغة: مسعود بن عمر بن عبد

٢٢. علم الدلالة السلوكي، جون لاينز، ترجمة: مجيد عبد الحميد الماشطة، الموسوعة الصغيرة، بغداد ١٩٨٦م.
٢٣. علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، د. فايز الداية، ط١، دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٢٤. علم اللسانيات الحديثة: د. عبد القادر عبد الجليل، دار الصفاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م.
٢٥. العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، ط٢، مؤسسة دار الهجرة، ايران، قم.
٢٦. فذك في التاريخ: السيد محمد باقر الصدر، تحقيق: عبد الجبار شرارة، ط١، مركز الغدير للدراسات الاسلامية، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.
٢٧. فقه اللغة وخصائص العربية: محمد مبارك، ط٧، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
٢٨. القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م.
٢٩. كتاب التعريفات: السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، بيروت، لبنان ١٩٨٥م.
٣٠. الكتاب: عمرو بن عثمان سيبويه (ت ١٨٠هـ) تحقيق: عبد السلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٨٠هـ ١٩٨٨م.
- الله سعد الدين التفتازاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبه ومطبعه محمد علي صبيح وأولاده، (د.ت).
١٦. شرح المفصل: يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ) إدارة الطباعة المنيرية، مصر، (د.ت).
١٧. شرح خطبة الصديقة فاطمة الزهراء (ع): الشيخ محمد طاهر آل شبير الخاقاني، تعليق: محمد كاظم محمد طاهر آل شبير الخاقاني، ط١، منشورات انوار الهدى، قم، ١٤١٢هـ.
١٨. شرح شافية ابن الحاجب (الرضي): محمد بن الحسن رضي الدين الاستربادي (ت ٦٨٨هـ) تحقيق: محمد نور الدين، ومحمد الزراف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، دار المجتبي، ايران، قم، ١٣٩٠هـ، ٢٠١٠م.
١٩. الظواهر اللغوية والنحوية في كتب الغريبيين: د. ميثم محمد علي، ط١، المركز الوطني لعلوم القرآن، العراق - بغداد، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٢٠. العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد: د. هندي فليش، ترجمة: د. عبد الصبور شاهين، ط٢، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٣م.
٢١. العربية وعلم اللغة الحديث: محمد داود، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠١م.

٣١. لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور، مطبعة نشر آداب الحوزة، قم، إيران، ١٤٠٥هـ.
٣٢. اللغة العربية معناها ومبناها: د. تمام حسان، دار الثقافة، المغرب ١٩٩٤م.
٣٣. اللمعة البيضاء: التبريزي الأنصاري (ت ١٣١٠هـ) تحقيق: هاشم الميلاني، ط ١ مؤسسة الهادي، قم، إيران ١٤١٨هـ.
٣٤. مجاز القرآن: معمر بن مثنى التيمي (ت ٢١٠هـ) تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٠م.
٣٥. المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: عثمان بن عبدالله بن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف و د. عبد الفتاح اسماعيل، القاهرة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
٣٦. معاني الأبنية في العربية: د. فاضل السامرائي، جامعة الكويت، كلية الآداب، (د.ت).
٣٧. المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ط ٤، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
٣٨. المفتاح في الصرف: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٤٧١هـ) تحقيق: د. علي توفيق الحمد، ط ١، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
٣٩. المقتضب: محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، القاهرة ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.
٤٠. الممتع في التصريف: علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ط ١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان ١٩٩٦م.
٤١. مناقب أهل البيت عليهم السلام: المولى حيدر الشيرازي (ق ١٢) تحقيق: الشيخ محمد الحسون، مطبعة المنشورات الاسلامية، ١٤١٤هـ.
٤٢. مناهج الصرفيين ومذاهبهم في القرنين الثالث والرابع من الهجرة: حسن هندايوي، دار القلم، دمشق، (د. ت)
٤٣. المنصف شرح تصريف المازني: عثمان بن عبدالله بن جني، تحقيق: ابراهيم مصطفى، وعبدالله أمين، ط ١، دار أحياء التراث القديم، ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م.
٤٤. دراسة في بعض صيغ اللغة: د. إبراهيم أنيس، ج ٢٢، القاهرة، مجلة المجمع اللغة العربية.
٤٥. صيغة فعلان واستعمالاتها في اللغة العربية: مصطفى أحمد النحاس، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.